الموسوعة الشعرية

لأمير البيان

ديوان

وحي العبقرية (١)

الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م

الموسوعة الشعرية
لأمير البيان

ديوان وحي العبقرية (١)

الموسوعة الشعرية لأمير البيان

"ديوان وحي العبقرية (١)"

المؤلف: الشيخ عبدالله بن علي الخليلي

المحقق: سعيد بن سالم النعماني

الناشر: أنجال المؤلف

رقم الإيداع لحقوق المؤلف الفكرية: ٣١٦٦
لدى دائرة الملكية الفكرية
وزارة التجارة والصناعة بسلطنة عمان.
رقم إيداع الترخيص المحلي: ٢٠١٨/١٦.
رقم الإيداع الدولي (ISBN): ٩٧٨-٩٩٩٦٩-١-٧٧٩-٠
لدى دائرة المطبوعات والنشر
وزارة الإعلام بسلطنة عمان.

الإخراج وتصميم الغلاف: أيمن الزعبي.
الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م.

لمزيد من المعرفة حول حياة وأدب أمير البيان وأعلام آل الخليل

ولتحميل الموسوعة الشعرية زر الموقع: www.amiralbayan.com

جميع حقوق الطباعة والنشر محفوظة، لا يسمح باعادة نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال

المَوْسُوعَةُ الشِّعْرِيَّةُ لِأَمِيرِ البَيَانْ

الشيخ عبدالله بن علي الخليلي

ديوان وحي العبقرية

الجزء الأول

ديوان القصائد الإخوانية

تحقيق

سعيد بن سالم النعماني

الطبعة الأولى ١٤٣٩هـ/٢٠١٨م

أمير البيان

الشيخ عبدالله بن علي الخليلي

٧من محرم ١٣٤٠هـ - ٢٨من ربيع الثاني ١٤٢١هـ

الموافق .../.../١٩٢٠م - ٣٠ من يوليو ٢٠٠٠م

الإهداء

إلى من فجّر ينابيع الحياة عذبة تروي العالم وخلاياه وذراته بكل ما تحمله كلمة الحياة من معنى وفلاح. ومن نَمَّى المواهب في نفوس الموهوبين فحملوا له من الحب والإخلاص ضعف ما حملته نفوسهم من المواهب. ومن هو غني عن التصريح بومضات التلويح أسأله تعالى إضعاف الفضل لِمن يحمل خير الصفات من خلقه وصفات الخير. وإلى أخي العربي المؤمن في مشارق الأرض ومغاربِها أقدم ديواني (وحي العبقرية) هدية حب ووئام والحمد لله أولا وآخرا.

عبد الله بن علي الخليلي[1]

٢٩ من ذي الحجة ١٣٩٧هـ

١٩ من ديسمبر ١٩٧٧م

---

(١) التاريخ المدون تحت إمضاء أمير البيان هو تاريخ الطبعة الأولى لديوان وحي العبقرية في مجلده غير المُجَزَّأ.

المحتويات

المحتويات

المقدمات

١. كلمة الشيخ سعيد بن خلف الخروصي ١٥
٢. مقالة الشيخ سليمان بن خلف الخروصي ١٧
٣. مقالة الشيخ سالم بن حمود السيابي ٢٣
٤. مقالة الشيخ سعود بن علي الخليلي ٣٩
٥. مقدمة أمير البيان ٤٧

اسم القصيدة ..... القافية ..... رقم الصفحة

الإخوانيات الأولى

١. هبة العليم ..... اسْتَجْلاؤُهُ ٥٩
٢. أبا داود ..... الْمُهَذَّبِ ٦٣
٣. روضة الأدب ..... الحَسَبِ ٦٥
٤. الحُب العميق ..... الصَّيْدِ ٧٠
٥. لحن الحب ..... تَوَدّهُ ٧١
٦. روضة الإخاء ..... السِّرِّ ٧٢
٧. تحية الإخاء ..... تُنِيْرُ ٧٦
٨. الدهرُ الفظّ ..... غليظا ٧٨
٩. إلى البهلاني ..... السَّقَم ٨٠
١٠. لشيخ الشريعة ..... مُلْجَمَا ٨٢
١١. أخا ضَبَّة ..... مُدَامَا ٨٧
١٢. السر الخفي ..... إقْدَامهْ ٩١
١٣. عواطف الإخاء ..... سِيْنَا ٩٤
١٤. منزل الشأن ..... الشانِ ٩٩

الإخوانيات الثانية

١. حلبة الربيع ..... الدَّأَبُ ١٠٩
٢. على شعر ابن الدُّمَيْنَة ..... رقيبُ ١١٣
٣. سعد وسعيد ..... فَتَنَهَّدَا ١١٧
٤. لغة العز ..... المُسَوَّدْ ١٢٢
٥. لشيخنا أبي عبيد ..... الزهرِ ١٢٥
٦. بين العزاء والبكاء ..... المُؤْسِفِ ١٢٨
٧. سباق الأعنّة ..... باسِلِ ١٣٣
٨. بين الهوى والتَّجَمُّل ..... فأحْجَمَا ١٣٩
٩. حلبة الرشيد ..... مَصونُ ١٤٢
١٠. لَفْحُ الأسَى ..... فيهِ ١٤٦

الإخوانيات الثالثة

١. اجْتِلاءُ العيد ..... التَّمْجيدِ ١٥٣
٢. نبأة الهناء ..... النحْرُ ١٥٥
٣. رَدُّ التهنئة ..... بمُنْسَجِمِ ١٥٨
٤. ذكرى الأخوَّة ..... أُؤديهـا ١٦٠
٥. هو العيد ..... مساؤُهُ ١٦٢
٦. عسعس الليل ..... رهيب ١٦٥
٧. الصنَّاجة ..... هَزَجُ ١٦٧
٨. أبو مسلم ..... نشوانُ ١٧١

الإخوانيات الرابعة

١. رأيُ الجمهور ..... طبيبُ ١٨١
٢. صَبَا الأسحار ..... الأنهارِ ١٨٦
٣. جلالُ الغابرِ ..... الحاضرِ ١٨٩
٤. ماءُ الحُسْن ..... أنيقا ١٩٦
٥. تكاليف الغرام ..... الفلك ١٩٩

٦. المُغْرَم ..... فَضَّلَهْ ٢٠٣
٧. الوصال ..... فنَّانَا ٢٠٥

الإخوانيات الخامسة

١. العُتْبَى ..... بجَنْبِي ٢١١
٢. جواب على سؤال ..... السما ٢١٥
٣. بين السدر والضال ..... سَيَّال ٢٢٠
٤. حُلل الهدى ..... صفاؤه ٢٢٢
٥. البيان ..... الحب ٢٢٤
٦. ساحة النصر ..... الكَرّ ٢٢٨
٧. خانني الجد ..... دوائي ٢٣١
٨. الشرفُ الأسمى ..... طواها ٢٣٢
٩. عالي الجناب ..... الوثَّاب ٢٣٥
١٠. الخال ..... مُرْتَقِب ٢٣٧
١١. عَرْفُ سمائل ..... إعْرَابِه ٢٤٠
١٢. جَرَّدَتْهُ ..... تفريدا ٢٤٢
١٣. الإخاء ..... أنوارُ ٢٤٥
١٤. الغايات ..... الثقلانِ ٢٤٧
١٥. الفؤاد العبقري ..... الشجي ٢٥٠
١٦. الشادي المرح ..... قَرِح ٢٥٤
مصادر التحقيق ٢٥٩

* * * * *

كلمة فضيلة الشيخ سعيد بن خلف الخروصي[١]

في صدفة من الزمن منَّ المنان عليَّ بمنَّة من أسنى المنن ألا وهي اطلاعي على ديوان أمير البيان بقطر عُمان عين الأعيان أوحد الأقران الشيخ أبي علي عبد الله بن علي الخليلي[٢]، الديوان الذي أسماه (وحي العبقرية) وإنه وأيم الحق لاسم وافق مسماه وسهم سدَّد غرضه ومرماه هو شعر أوحاه الضمير الحي بل حكم ألقاها في روع عبقريته الخبير الحي ذلك والله النظم بل الشعر كلا بل هو الحكمة والسحر، سحر حلال هو روح البيان وحقيقة حكمة تشهد لربها أنه لقمان هذا الأوان. سبحان واهب الحكمة لأرواح العباقرة ومنوِّر عقولهم بها تنويراً ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾[٣] ، ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[٤].

(١) فضيلة الشيخ سعيد بن خلف بن محمد بن نصير الخروصي، عالم فقيه، وقاض نزيه، وشاعر أديب أريب فصيح. ولد بولاية بركاء يوم التاسع من صفر ١٣٤٤هـ، ونشأ في موطن أسرته ولاية نخل. تلقى علوم الدين واللغة عن مشايخ عصره. قضى الشطر الأكبر من عمره خادما للشرع الحنيف قاضيا من عام ١٩٦١م حتى عام ١٩٨٧م، ثم مساعدا للمفتي العام لعمان من عام ١٩٨٧م حتى عام ٢٠٠٩م. توفاه الله عزوجل يوم الثاني من ربيع الآخر ١٤٣٨هـ، الموافق الأول من يناير ٢٠١٧م. عاش رحمه الله سيرة من أنصع السير، وكان مثالا عاليا في حسن معاملة الناس. له عدد من المؤلفات في المسائل الفقهية، كما له ديوان شعر. للمزيد من ترجمته أنظر ديوانه: الدر المنتخب في الفقه والأدب، الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص٢-٩.

(٢) هو أمير البيان صاحب هذا الديوان.

(٣) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

(٤) سورة الجمعة، الآية ٤.

مقالة الشاعر الأديب
الشيخ سليمان بن خلف الخروصي[١]

حضرة أمير البيان، عين الأعيان، عبد الله بن علي الخليلي الموقر .. اطلعت على ديوانكم (وحي العبقرية)، فإذا هو معجزة الأمة العربية، فأقسم بالشفق، والليل وما وسق، إن ناظم تلك القلائد، ومدبج هاتيك القصائد، لمن أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وجلبت إليه من مخدرات البلاغة ما توارت عن غيره بالحجاب. كيف لا وهو الفرع المتهدل من دوحة الأئمة، الصلت بن مالك[٢]،

---

(١) الشاعر الشيخ سليمان بن خلف بن محمد بن نصير الخروصي، ولد يوم الحادي عشر من شعبان من عام ١٣٥١هـ، وتوفي يوم العاشر من يناير سنة ٢٠١٩م. عمل كاتبا بالمحكمة الشرعية بمسقط، ومدرسا بمدرسة سلطان بن أحمد بمطرح، كما عمل بوزارة الإعلام، ووزارة التراث القومي والثقافة، ثم عُيِّنَ بمرسوم سلطاني مستشارا في مكتب مستشار جلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، ثم عضوا بمجلس الدولة. له حضوره البارز في ساحة الأدب العماني، له ديوان شعر، وكتاب ملامح من التاريخ العماني. للمزيد من ترجمته أنظر ديوانه: قلائد الدهر، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص ٦-١٧.

(٢) هو الإمام الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي من بني خروص بن شاري بن اليحمد، بويع إماما للدولة يوم ١٦ من ربيع الثاني سنة ٢٣٧هـ/٨٥١م، وبقي في منصب الإمامة إلى سنة ٢٧٢هـ/٨٨٥م. وفي عهده غزا الأحباش جزيرة سقطرى وفعلوا في أهلها العرب وحرائرهم فضائع فكتبت الزهراء واسمها فاطمة بنت أحمد بن محمد الجهضمية ابنة الوالي العماني على سقطرى قصيدة الاستغاثة المشهورة ووجهتها للإمام الصلت قائلة فيها من ضمن ما قالته:

قل للإمـــام الذي ترجى فضائله ... إبـن الكـــرام وابـن السـادة النجب
أمست سقطرى من الإسلام مقفرة ... بعـد الشـرائع والفرقـان والكتب
واستبدلت بالهـدى كفرا ومعصية ... وبـالأذان نواقيسا مـن الخشـب
جَارَ النصارى على واليك وانتهبوا ... من الحـريْم ولَم يألـوا من السلب
وأخرجـوا حرم الإسـلام قاطـبة ... يهتفن بالـويل والأعـوال والكـرب
قل للإمـام الذي ترجى فضـائله ... بـأن يغـيث بنـات الديـن والحسـب

والخليل[١]، والفاروق الثاني[٢]، والخليل بن عبد الله[٣]والمحقق الخليلي[٤]والإمام أبي خليل[٥]. وكم وكم من أجداده من سيد وعلاَّمة

فهب الإمام الصلت لنجدة المسلمين هناك وأرسل أسطولا بحريا تذكر كتب التاريخ أن عدد سفنه ناف على المئة سفينة وأسفرت الحملة عن إجلاء الحبشة عن سقطرى. جدير بالذكر أن بعض الأراضي الواقعة الآن تحت سيادة اليمن كانت في عهد الإمام الصلت تخضع لسيادة عمان مثل المكلا وحضرموت وسقطرى. تحفة الأعيان للإمام عبدالله بن حميد السالمي، مكتبة الإستقامة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، الجزء الأول، ص١٦٠-٢١٢.

(١) هو الإمام الخليل بن العلامة شاذان بن الإمام الصلت بن مالك الخروصي. أورد الإمام السالمي في تحفة الأعيان سيرة هذا الإمام في الصفحات من ٢٩٦-٣٠٥.

(٢) هو الإمام عمر بن الخطاب بن محمد بن شاذان بن الصلت بن مالك الخروصي. أنظر سيرته في تحفة الأعيان ص٣٧٨-٣٨٣.

(٣) هو الإمام الخليل بن عبد الله بن عمر بن محمد بن الإمام الخليل بن العلامة شاذان بن الإمام الصلت بن مالك بن أبي العرب الخروصي. أورد الإمام السالمي في تحفة الأعيان نبذة يسيرة جدا عنه في ص٣٤٠. وأورد الشيخ سالم بن حمود سيرته في صفحتين من كتابه: عمان عبر التاريخ، وزارة التراث القومي والثقافة، مطابع سجل العرب، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، الجزء الثالث ص٨٠-٨١.

(٤) المحقق الخليلي هو الشيخ سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح الخليلي، من نسل الإمام الخليل بن العلامة شاذان بن الإمام الصلت بن مالك الخروصي. ولد في قرية بوشر بمسقط سنة ١٣٣٦هـ. كان كثير الخلوة والتبتل والتلاوة، مجتهدا في طلب العلم، وقد انعكس ذلك فيما تركه من الكتب. أنظر سيرته في كتاب: نهضة الأعيان بحرية عمان لأبي بشير محمد شيبة بن نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، مكتبة التراث، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، بدون تاريخ نشر، ص٣٨١-٣٨٨. للشيخ سعيد ديوان شعر تضمن قصائد في السلوك إلى الله تعالى، كما تضمن قصائد في منجزات دولة الإمام عزان بن قيس (١٢٨٥هـ- ١٢٨٧هـ). وسيطالع القارئ الكريم جميع أعماله الشعرية في ديوان الخيال الوافر ضمن الموسوعة الشعرية لأمير البيان الشيخ عبدالله بن علي الخليلي.

(٥) هو العلامة المحقق الإمام محمد بن عبدالله بن سعيد بن خلفان الخليلي. كان مولده بولاية سمائل سنة ١٢٩٩هـ. بويع بإمامة الدولة يوم الجمعة الثاني عشر من ذي القعدة سنة ١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م، وبقي في الإمامة إلى يوم وفاته رحمه الله، وكان ذلك يوم الإثنين ٢٩ من شعبان ١٣٧٣هـ/١٩٥٥م. أنظر سيرته في كتاب: نهضة الأعيان بحرية عمان ص٣٧٧.

وإمام جليل، ثم أبت نفسه الأبية، وأنفت همته العلية، أن يقف على تليد مفاخره، حتى شفعها بطريف مآثره، فبلغ من المعاني الآيات، وأخرس من تصدى لإحصاء تلك الكمالات، فهو الكوكب الزاهر والأمير الشاعر.

أمَّا الإمارة فقد غُذي بلبانها، ورتع في ميدانها، وكرع من غدرانها، وتمسك بأشطانها، ولا غرو فهو نجل الأئمة الأعلام، والقادة الكرام، الذين أضاءت بأنوار عدلهم حنادس الظلام، ونشروا راية الأمن والسلام، رضوان اللّٰه عليهم. فهم كما قال شاعرنا الأمير في مقصورته إذ يتحدث بالنعمة:

وأسـرة أمنـعُ في عـزتـها ... من تُبَّعٍ إنْ يكنِ الفخرُ التُّقَى
سلسلةٌ من راشدٍ فمرشدٍ ... فصالحٍ فمصلحٍ فمُرتضى
فحاكمٍ فعادلٍ فعالمٍ ... فعاملٍ فمؤمنٍ فَمُقْتَفَى
سلسلةٌ ليس لها إرادةٌ ... إلا إرادة الحكيم كيف شَا
لا تعرفُ اللؤم ولا تأخذه ... ولا تَهُون لِخسيْسٍ لو سَمَا
لباسُها التقوى وتاجُها الهدى ... وحِلْيُها الْجود ودرعُها العزا

إلى أن قال:

إن يكن الفخر بجد وأب ... فمحتدي كالشمس منبع الضيا
وإن يكن بشرف مكتسب ... فمكسبي أشرف مما يُقْتنى

وقوله في قصيدته ذات الخمارين:

لك الخير يا ذات الْخمارين إنني ... لَمِنْ جوهر أنْمَى على كل جوهر
أَلَسْتُ من القوم الذين تحكموا ... على الكون في عيص النجار الْمُطَهَّرِ

إلى أن قال فيها:

أولئك أشياخي الذين تربَّعُوا ... بعرش المعالي عن كبيرٍ لأكبرِ
هُمْ ذَلَّلُوا الدنْيا ومَنْ في ربوعها ... على طاعةِ الرحمن تَحت السّنَوَّرِ

هُمُ القومُ أفْنَوْا في رضا اللّٰه عُمْرَهُم ولَمْ يَهِنُوا للحادث الْمُتَغَشْمِر
همُ القومُ عينُ اللّٰه غيرُ سخيةٍ بهم وقضاءُ اللّٰه غيرُ مُغَيّر
سلي الدهرَ والأملاكَ في سبحاتها سلي القَمَرَيْن عن عُلاَ القوم تُخْبَري

وحسبك ما يقوله فيهم شاعر العرب أبو مسلم البهلاني[١]:

لا ينكرُ الناسُ ما للقوم من شرفٍ وكيف يلحقُ عينَ الشمس نكرانُ
أحسابُهُم ومعاليْهِمْ ودينهُمُ كواكبٌ وهداياتٌ وبرهانُ

وما أجدرهم بقول الشريف الرضى في آبائه:

آباؤك الغُرّ الذين تفجرت بهم ينابيع من النعماء
من ناصرٍ للحق أو داعٍ إلى سبل الهُدى أو كاشف الغمَّاء

فشاعرنا الأمير إليه يشار بالحديث في القديم والحديث ولسان حاله يقول[٢]:

إنَّا وإنْ أحسابُنا كرُمَتْ لسنا على الأحساب نَتَّكِلُ
نبني كما كانت أوائلُنا تبني ونفعل مثلما فعلوا

أمَّا مقامه الأدبي، فقد أذعنت لبلاغته جهابذة النقد، وسلَّمَ لفصاحته أهل الحَلِّ والعَقْد، فأصبح شاعر عمان، وغير مبالغ إن قلت شاعر

(١) هو العلامة الفقيه الشاعر الكبير أبو مسلم ناصر بن سالم بن عديّم بن صالح بن محمد بن عبدالله بن محمد البهلاني الرواحي، المكنى بأبي مُسْلِم، والملقب بحسَّان عمان وشاعر العرب. ولد أبومسلم حوالي سنة ١٢٧٣هـ بقرية السيح بوادي محرم. للمزيد بشأن سيرته أنظر مقدمة ديوانه: النفس الرحماني، بقلم سماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد الخليلي، مكتبة مسقط، ط١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م، ص ٦-٨.

(٢) البيتان للشاعر المخضرم المتوكل الليثي. أنظر كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه، لمؤلفه أبي على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت: ٤٦٣هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ-١٩٨١م، الجزء الثاني، ص١٤٦.

قحطان وعدنان. ومن يتأمل شعره بقلب سليم، فكأنما يتلو قوله عز وجل: ﴿وأنَّ الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[١]. فمقصورته كل بيت منها بيت القصيد، فلا بدع إن كلل شاعرنا الأمير تاجه من جواهر عقدها الفريد، وأختها ذات الخمارين، التي فازت بالحسنيين. وحسب كل همام أبي، أن يحتسي من قصيدته كأس الكمي، بل إنَّ قصائده كلها كالحلقة المفرغة، لا يُدْرَى أين طرفاها، فقد بزّت ما للأوائل والأواخر، وصدق عليها المثل: كم ترك الأول للآخر.

وإجمالا فهو شاعر البيان، والمشار إليه بالبنان، وقد كفانا العلامة العبقري، والدراكة الألمعي، الذي فاز بأشقره المجلي، في المجالين الفقهي والأدبي، الشيخ سالم بن حمود السيابي[٢]، وعلامتنا الكبير الأوحد، الشيخ إبراهيم بن سعيد العبري[٣]، إمام العربية وعميد البيان، وإمام الفقه الذي لا يزال يكثر من ذكره، ويثني على نظمه ونثره، وناهيك بها شهادة من عالمين جليلين.

فهيا أبناء العروبة إلى التجول في رياض شعره، والتنزه في حدائق غياضه، فإنَّ هدفه الوحدة وجمع الشمل، والبلوغ إلى المقام الأكمل.

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢٩.

(٢) أنظر التعريف به في صفحة تالية.

(٣) هو العلامة الشيخ إبراهيم بن سعيد بن محسن بن زهران العبري، ولد في ولاية الحمراء بالمنطقة الداخلية سنة ١٣١٤هـ. تلقى العلم على أيدي نخبة من كبار علماء عصره. قَلَّدَه الإمام سالم بن راشد قضاء الرستاق وهو ابن عشرين سنة. كما تقلد مشيخة جماعته إثر وفاة شيخهم. وفي دولة الإمام محمد بن عبد الله الخليلي عُيِّنَ واليا على عبري. وبعد وفاة الإمام محمد أصبح قاضيا في مسقط في دولة السلطان سعيد بن تيمور. وبعد أن تولى السلطان قابوس بن سعيد مقاليد الحكم عَيَّنَه مفتيا عاما للسلطنة في عام ١٣٧٣هـ واستمر في هذا المنصب إلى وفاته سنة ١٩٧٥م. أنظر سيرته في كتاب: الآثار العلمية لسماحة الشيخ العلامة إبراهيم بن سعيد العبري، جمع وترتيب الدكتور علي بن هلال العبري وآخرون، مطبعة الألوان الحديثة، ط١، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، مج١، ص ٢٩ وما بعدها.

مقالة الفقيه المؤرخ الشاعر النسابة الأديب الشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابي[١]

الحمد لله الذي جعل الشعر ديوان العرب على اختلاف طبقاتهم، وتباين نشأتهم وأغراضهم، ونزعاتهم الخاصة منها والعامة، يجمع مبتكرات أفكارهم، ويحفظ مستخرجات أبكارهم، ويعُرب عن حسن لهجاتهم، فكان حادي موكب الأمة في سيرها وسُراها.

والصلاة والسلام على القائل: "إنَّ من الشعر لحكمة، وإن من البيان لسحراً". وعلى آله وأصحابه الغر الميامين، الذين كانوا زعماء دولة الشعر جاهلية وإسلاماً، وإليهم انتهت روايته فكانوا يرفعون له أعلاما.

أما بعد، فقد وقفت على ديوان الشاعر البارع، حامل لواء شعر الأمراء، القائم على منبر دولة الشعراء، الشيخ عبد الله بن علي الخليلي العماني الشهير المنحدر من سلالة الأئمة الأعلام أعيان عمان بلا امتراء.

---

(١) الشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابي، القاضي الفقيه والمؤرخ النسابة الأديب، عمل قاضيا ووالياً في دولة الإمام محمد بن عبدالله الخليلي، وفي دولتي السلطانين سعيد بن تيمور وقابوس بن سعيد. ترك عددا من الآثار العلمية أمدت ولا تزال تمد الساحة العلمية في عمان بمعرفة زاخرة، وقد أصبحت بعض كتبه مراجع هامة في دراسة تاريخ عمان وأنسابها، مثل كتابه عمان عبر التاريخ، وإسعاف الأعيان بأنساب أهل عمان، وغيرها. كما أن الشيخ سالم خلّف ديوان شعر لا يزال مخطوطا وقد اطلعت عليه وهو في عهدة نجله الكاتب البارع الأستاذ حمود بن سالم السيابي الذي شغل منصب رئيس تحرير جريدة عمان، ثم عُيِّنَ بمرسوم سلطاني عضوا بمجلس الدولة. للمزيد حول سيرة الشيخ سالم أنظر كتاب: العلامة سالم بن حمود السيابي سيرة وعطاء، إعداد وتحرير خميس بن راشد العدوي، الناشر النادي الثقافي ضمن البرنامج الوطني لدعم الكتاب، مكتبة الغبيراء، ط١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

فأمعنت النظر فيه بحسب الإمكان، وأعملت فيه أعمال معارف القلب والجنان، فإذا هو شعر وُضع على أعمدة البلاغة، وأُلبس حُلي الجمال بإتقان الصياغة، فوجب أن أقول فيه والحق يقال.

* * * * *

التعريف بصاحب الديوان

هو الشيخ الرئيس زعيم عبس[١]، عبد الله بن علي بن عبد الله بن سعيد بن خلفان بن أحمد بن صالح بن أحمد بن عامر بن ناصر بن عامر بن أبي سالم بن أحمد الخليلي، تتصل سلسلة نسبه بالإمام الخليل بن عبد

(١) زعيم عبس: كان العلامة المحقق الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي عاين ما أصاب دولة السلطنة في عصره من تمزق بسبب اغتيال السيد سالم بن ثويني أباه السلطان ثويني بن سعيد واستيلائه على الحكم، وتدخل الإنجليز لعزله، وتحرك عمه تركي بن سعيد ضده، وعجز حكومة السلطنة بسبب خواء خزينة الدولة، الأمر الذي أضرَّ بمصالح البلاد، وحرَّك أطماع الغزاة الوهابيين الذين سيطروا على البريمي وجعلان بني بوعلي، واقترفوا كثيرا من أعمال القتل والنهب والسلب فأضيرت مصالح المواطنين، وفقد الأمن. أنظر تحفة الأعيان، ج٢، ص ٢٤٩ وما بعدها. انطلاقا من تلك الحيثيات تحرك الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي بدافع من واجباته الدينية بصفته شيخ الإسلام في عصره، فسعى لنصب إمام للدولة يقوم بحفظ مصالح الوطن، ولكنه احتاج للنصراء فخرج من بوشر إلى سمائل مؤملا أن يجد بغيته هناك. وقد كان بنو رواحة العبسيون وهم غالبية سكانها عند ظنه فيهم، فآزروه في مسعاه، لِمَا اطمأنت إليه نفوسهم من أنه ما كان يسعى لمغنم شخصي، أو مطمح أسري، فقد عرض عليهم مبايعة رجل من البيت البوسعيدي الحاكم هو السيد عزان بن قيس أحد أصلح الرجال في وقته. فظهرت لهم نزاهة الشيخ بتحريه مصلحة الوطن والمواطنين، فَكَبُرَ قَدْرُهُ في نفوسهم، وارتفعت مكانته عندهم، فقاموا لنصرة مسعاه. من هنا كان منشأ العلاقة بين آل الخليل وبني رواحة. علاقة حب وإجلال للعالم القدوة الذي ارتفع بعلمه وسيرته النزيهة إلى هذا المقام. حتى إنَّ بني رواحة ارتضوا بعد ذلك أن يكون الشيخ عبدالله نجل الشيخ سعيد بن خلفان مرجعا لهم. وهذا معنى وصف الشيخ سالم بن حمود لأمير البيان الشيخ عبدالله بن علي بن عبدالله بن سعيد بزعيم عبس. أما آل الخليل اليوم فيقولون إن تلك العلاقة لم تكن علاقة زعامة بالمعنى المتعارف عليه بين القبائل فلبني رواحة زعاماتهم المعروفة، وإنما شكلت شخصية الشيخ سعيد بن خلفان، وأسرته من بعده ملتقى للجميع في إطار طاعة الله ورسوله، والموالاة فيهما، وتحت سقف الود والمحبة والاحترام، يجتمعون لديهم على كلمة واحدة ورأي واحد، فهي علاقة أبوّة وأخوّة وبنوّة. هذا ما قاله لي نجل أمير البيان الشيخ محمد بن عبدالله الخليلي.

الله[١] بن عمر بن محمد بن الإمام الخليل بن العلامة شاذان بن الإمام الصلت بن مالك بن بلعرب الخروصي.

ونسب خروص معروف كما وصفناه في كتابنا[٢] مسلسلا إلى قحطان بن هود عليه السلام فهو خليلي خروصي أزدي.

عُمره الآن[٣]

هو الآن في غرة العقد الخامس من عمره، وقد لاح عليه طالع الشيب، مربوع القامة، أسمر اللون، خالص النسب من جهتيه، إذ كان جده لأمه الشيخ العلامة المجتهد الرضي أحمد بن سعيد بن خلفان الخليلي، قدوة أهل الفضل وعمدة أهل الدين ورجال التقوى.

(١) هذا حسب رأي الشيخ سالم بن حمود السيابي وإلا فالأشهر هو أن الإمام الخليل بن عبدالله مثله مثل بقية آل الخليل كلهم ينحدرون من صلب الإمام الخليل بن شاذان بن الإمام الصلت بن مالك.

(٢) يشير الشيخ إلى كتابه أسعاف الأعيان في أنساب أهل عمان.

(٣) وقت كتابة الشيخ سالم لهذا التقريض، وكان ذلك بتاريخ ١٤ من شوال ١٣٨٢هـ.

نشأته

نشأ هذا الأمير المطاع، والشاعر الموهوب، في عهد مملوء بالنور، مغمور بالمسرات، في طالع سعيد بالإمامة، إذ كانت ضاربة أطنابها بعمان، الوطن الحبيب، والبلد العربي الأصيل، الذي يتحلى بالنجدة والاستقامة، تحت أروقة الإمامة العادلة، التي تبنى أسسها على دعائم كتاب الله، وسنة رسوله صلوات الله عليه، وإجماع السلف الصالح.

وكان إذ ذاك إمام عمان، العلامة الرضي محمد بن عبد الله بن سعيد بن خلفان الخليلي قائماً على منبرها، متسنماً صهوتها، رافعاً علمها، وهو من عرفه الدهر والتأريخ والعدالة، وهو عم هذا الشاعر البليغ، أجمعت الحنيفية السمحة على إمامته، واعترف العلماء الأعلام بسبق علاَّميته، وتقدمه على أقرانه، فنشأ ابن أخيه هذا وليد الإمامة ورضيع لبانها، متقلبا في أحضانها، مستنيراً بهداها، راشفاً من سلافها وحُمَيَّاها.

وكان أبوه الشيخ الأمير علي بن عبد الله بن سعيد بن خلفان الخليلي، أحد الشخصيات البارزة، والأمراء الكبار، مطاعا في قومه، وكان كهمزة الوصل بين الإمامة وبين حكومة مسقط، معولا عليه في جميع المهمات، لرجاحة عقله، وبعد غوره، ومكانته المكينة، ومقامه الرفيع الباذخ.

درج صاحب الديوان في مهد الإمامة، ومشى في دوحة الزعامة، آخذاً من كلتيهما بقسط وافر، إذا نزل إلى والده نزل في عرش إمارته، وإن انقلب إلى عمه مرح في فرش إمامته، فكان متغذيا بأوفى ملاذ الأمراء، متحلياً بأجمل لباس الزعماء، وكان يقضي أكثر حياته بالقرب من عمه الإمام الصالح، وفي خدماته وتحت رايته.

فلم يزل بين عالم وأمير وإمام، وقد ارتسمت في وعيه صور الأدب، وعلق في ذهنه شعر العرب، فجاشت نفسه الواعية بما وقع في مخيلتها العارمة، وطمى لج ذهنه بأسمى ما يلج في أذهان النبغاء وتخيلاتهم، فكان في عهدنا هذا هو المقدم على أقرانه.

إني لا أمدحه بهذا، بل تكفل شعره الخالد بمدحه، وصرح أهل الأدب عنه بذلك، فأنا أحكي عنه فقط عين الواقع ولا ريب، فقد سُقيت أصوله ينابيع من جائشة الإمام الفقيه، علامة عصره، شاعر الحقيقة والطريقة، وإمامهما الشيخ سعيد بن خلفان الخليلي، الذي كان قطب رحا النهضة الدينية الصادقة، لإمامة الرجل الصالح عزان بن قيس بن عزان البوسعيدي[1]، الذي ينتمي إلى الإمام أحمد بن سعيد جد العائلة المالكة الآن.

كما تغذت نفسه العبقرية بالبيان الفياض، الذي ورثه من جديه أحمد بن سعيد، إمام العلم، وشاعر الحقيقة، وناظم الأثر. ومن جده الشيخ الرئيس عبد الله بن سعيد، شاعر الركب العربي الحر، فهم الأبحر التي تمده بفيضها المتدفق، وهم الأقمار بل الشموس التي تضيء على مرآة فكره الوقاد، وعقله الرزين. والجوهر الفرد، الذي هو واسطة العقد، عمه الإمام الخليلي، رجل العلم والعمل والبناء، فلا غرو أن جاء نابغتنا هذا أوحد النوابغ وجوهرة الأدباء. سيما وإنه أخذ في مرافق شعره مأخذاً لم يُسْبق إليه، ونهج به منهجاً لم يُتَقدّم عليه، ولئن افتخر العصريون بشعر شوقي والرصافي والزهاوي وأمثالهم، وافتخر القطر

(١) هو الإمام عزان بن قيس بن عزان بن قيس بن الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي، بويع بالإمامة سنة ١٢٨٥هـ/١٨٦٨م، وسقط شهيدا سنة ١٢٨٧هـ/١٨٧١م، في حرب نشبت بينه كإمام للدولة وبين أسرته التي لم ترض بحركته. تحفة الأعيان، الجزء الثاني ص٢٥٣ وما بعدها.

العماني بالشاعرين الكبيرين البهلاني والسالمي[١]، فإننا نفتخر في جيلنا هذا بشاعرنا عبدالله بن علي الخليلي، فقد جاءنا بما لم يأت به أولئك، وأسمعنا ما لم نكن نظن أن نسمعه في شعر مَّا.

ولئن افتخر شوقي بهمزيته التي يقول في مطلعها:

وُلد الهدى فالكائنات ضياء وفم الزمان تبسم وثناء

فإن عهدنا الحالي يفتخر بهمزية شاعرنا التي يقول في مطلعها:

يا لحالي فالداء فيها عياء غير أن الصبور للداء داء

ولولا أن تلك في المديح النبوي، لم نقل إنها تقارب همزية شاعرنا بحال أو تكاد، فقد جاء بجواهر فيها تتجلى للذهن تجلي النجوم الزهر. وفيها من الوعي أقباس مشتعلة، ولها ضياء وقاد لمن يعرف ذوق الشعر، فإنها الآية الوحيدة في بابها، والجوهرة اليتيمة بين أترابها، فإن كل بيت منها مصباح من مصابيح الأدب، وكل جملة منها أشبه بدارة القمر في صحو الأفق، أنظر إلى قوله فيها:

مَنْ لأمر تكاد تنشق أو تخْـ ـسف منه الخضراء والغبراء
ويميد الكرسي والعرش إشفا قاً وتَفْري أديمها الدَّأمـــاء

(١) السالمي: يكنى بأبي نذير ويلقب بشيخ البيان لتمكنه من المعاني وإحكامه القوافي. اسمه محمد بن شيخان السالمي. ولد في بلدة الحوقين بولاية الرستاق سنة ١٢٨٩هـ/١٨٦٨م، وتوفي بها سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م. تلقى العلم على يد عمدة العلماء في زمانه الشيخ راشد بن سيف اللمكي، واستكمل علوم اللغة والكلام على يد ابن عمه العلامة الشهير الإمام نور الدين عبدالله بن حميد السالمي. هاجر من الرستاق إلى المضيبي واستقر فيها، ومن هناك اتصل بالسلطان فيصل بن تركي ومدحه بقصائد، وكذلك السلطان تيمور بن فيصل. ثم رحل إلى إمارات الخليج واتصل بشيوخها. ثم عاد إلى الرستاق واشتغل بتدريس الادب والتاريخ والفقه في جامع البياضة حيث أخذ العلم عنه عدد أصبحوا في عداد العلماء. للمزيد أنظر: ديوان ابن شيخان السالمي، جمع قصائد الديوان الشيخ محمد بن عبدالله السالمي، تحقيق: عبدالستار أبو غدة، الناشر: المجموعة الصحفية للدراسات والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/١٩٧٩م.

إني لا أرى لهذه الهمزية في بابها شبيهاً ولا لمعانيها مثيلا أنظر إلى قوله فيها:

يا لقومي وكل أتباع خير الـ خلق قومي أين التقى والإباء

لا يقدر العقل مهما كان قوياً واعياً، أن يعرب عما في خيال هذه الأبيات المتسلسلة بجوهرها الزاهر، المتجملة بكل جزالة ونبل في مرامها الباهر. وإذا ألقيت نظرة في عينيته النبوية، رأيت عظيما مما تحتوي عليه من الشمائل الغراء، والفضائل الزهراء، فقد ترى فيها أنواعاً جمالية، وأوضاعاً خيالية، يزهو النور النبوي على مفرداتها، ويشرق الضياء المحمدي بحد ذاتها.

إنك لتجد عائلة أحمدية بارزة، وأمة خليلية بمكارم التوفيق فائزة، وكأن الأنبياء في مجتمعهم حول إمامهم المصطفى، والرسل في مقامهم بين أعلام الصدق والوفاء، وأبطال المجد وعباهل الشرف على ذاك الحمى. وكأن يعقوب النبي وأسباطه في أحرفها الجامعة ظاهرون، وكأن يوسف الصديق على عرش مصره غير متأثر من نَصَبِ إخوته، وكأن بقية الأنبياء وهم بدائرتها قائمون، وعلى حظيرة لهجتها طائبون، وكأن موسى المصطفى، وعيسى المرتضى، ومحمد المجتبى عليهم الصلاة والسلام بها مجتمعون.

وكأن أهل مديح رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يعرفوا بعد، وكأن بدائع الثناء تتوالى بضيائها الوقاد، وأعلام الإطراء كشفت براقعها عما يراد، وكأن أدلة النبوة لم يعرفها الناس إلا رمزا، فاجتلى بدرها شاعرنا هذا فنال منها الأعز، وكأن اجتلاء ضياء النبوة ينتظر بيئة هذا الشاعر ليراه فيتحدث عنه في شعرياته الغراء.

وكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضر أمام القارئ، يجدد أحوال العرض لنفسه على ثقيف بطلب النصرة لدين الله، وكأن خيل الله للغزوات قد ألجمت، وللغارات المتوالية قد أسرجت. وكأن دماء بدر الأولى تجري زلالا صافياً لسقي تلك الأرواح الطاهرة قبل سقي الكوثر لها. وكأن بني قينقاع وبني النضير ومن إليهم من بني المصطلق والخندق وقريظة والحديبية سلاسل مصبوغة بدم أولئك الأكارم الأبطال في رضى الله عز شأنه. وكأن كتبه عليه الصلاة والسلام تخرج من فم القارئ سهاماً تدهش قلوب ملوك الأرض، حاملة إليهم من بدائع الفضل: الهدى والرشد. وكأن جيش الفتح قد أزدحم، وسيوف رجاله مسلولة، وليوث حزبه بمأمولها باسمة، وكأن حنيناً وتبوك وأضرابهما يتراءاهما السامع من خلال العبارات التي يفوه بها القارئ.

ولا ريب فإن قصيدته المعنونة بين القبر والمنبر فيها ما يحير الذهن من البدائع الشعرية ويدهش اللب من المواقف الأدبية التي هي في نفسها من سنته عليه الصلاة والسلام. إنَّ هذه الشاعرية التي أوتيها هذا الزعيم في الشعر لشاعرية كبيرة هي في نفسها معجزة الشعراء وآية البلغاء وإذا أَعَرْتَ نظرة رائيته التي يقول في مطلعها:

إليك فقد أقْدَمْتُ عزمي مُشَمِّرا إلى خطة تسمو على المجد مَظهرا

إذا أَعَرْتَها نظرة وأردت أن تعرف مقامها بين مقامات الأشعار، رأيت لها مقام معلقات زهير وأضرابه. إنها وأيم الحق لتنطق عن لسان البلاغة، وتعرب عن فصاحة كاملة، وتنكشف عن خيال وكمال وأدب، يعجب بها عباقرة الرجال. ولن يجد القارئ في شعر شاعر مهما كان ما فيها من روعة ومتانة، وجودة أسلوب، وسعة مقصد، وسلامة عبارة، وتناسب جمل، هي أشبه بكواكب السماء في تلألؤها، وبعقود من الدر

في انتظامها، وإنها لتعرب عما للشاعر إليه من قوة شعور نفسي، رام أن يتحدث عنه في غضونها لمن أبرز آيات الشعر الكبرى، ومن أبهج الأدبيات الزهراء، وكل إنسان يتحدث عما يجيش في نفسه، ولقد جاء بالصفات الحميدة المطلوبة، والكمالات الجليلة المحبوبة. وإذا وقف الناظر على قصيدته التي يقول فيها:

وَوَادٍ كأني منه في فَمِ ضَيْغَمٍ أُكابِدُهُ ثَبْت الحِجا غير ريعان

إذا وقف الناظر هنا لمحة وقف حائرا مندهشاً، لما يلاحظه في هذا المقام، فيكاد أن يكون له حراك، فيرى نفسه كأنه أمام أمر مهول، لا يجسر عليه إلا أجلة القادة الفحول، ويرى السامع كأن امرأ القيس في عبقرية شاعريته، أو النبهاني[1] في روعته وبلاغته، أو أبا فراس في خطورة موقفه. فقد جاء بالعَجَبِ العُجَاب. وناهيك بما قد مدح به فيها إمام المسلمين الخليلي رحمه اللّٰه ورضي عنه وأرضاه. فمن لقائل أنْ يستطيع مثل ذلك المقال، في رصانته وجزالته ومتانة معانيه، إنها الآية التي هي السجدة في سجل الشعراء، فيجب أن يسجدوا لها ثم يطوف فيها بالعالم الروحي راكعاً وساجداً وطائفاً وعابداً، واللسان ترجمان الجنان، وإنها لتعبر عما فيه من هاجس إيمان وباعث أشجان. لقد أوتي شاعرنا هذا ما لم يؤت غيره من النوابغ.

(١) هو السلطان سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني أحد سلاطين دولة بني نبهان العمانية (تأسست سنة ٣٦٣هـ)، وبقيت حتى مستهل القرن الحادي عشر الهجري سنة ١٠٣٤هـ. وهم من نبهان الأزد وليسوا من نبهان طي. ولد السلطان الشاعر سليمان بن سليمان في النصف الاول من القرن التاسع الهجري، وتوفي سنة ٩١٥هـ/١٥١٠م. يعد من أهم شعراء عمان في القديم، حيث يرفعه بعض دارسي الأدب إلى مرتبة الشعراء الجاهليين لبلوغ شعره مستوى أشعارهم سبكا وجزالة معان. ترك ديوان شعر شاهد على شاعريته العظيمة، طبعه الشيخ سليمان بن حمير النبهاني، وأعادت طبعه وزارة التراث القومي والثقافة في عمان في طبعة ثانية سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م. للمزيد أنظر: ديوان النبهاني، تحقيق عز الدين التنوخي، وزارة التراث والثقافة، مسقط.

ولئن نبغ أمرؤ القيس بـ"قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل"، والنابغة الذبياني بـ"عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار"، وابن أبي سلمى المزني بـ"أمن أم أوفى دمنة لم تكلم"، وعنترة العبسي بـ"هل غادر الشعراء من متردم"، وعمرو بن كلثوم بـ"ألا هبي بصحنك فاصبحينا"، وطرفة بن العبد البكري بـ"لخولة أطلال ببرقة ثهمد"، وأبو بصير أعشى قيس بـ"ودّع هريرة إن الركب مرتحل"، وابن حلزة اليشكري بـ"آذنتنا ببينها أسماء"، ولبيد ابن ربيعة العامري بـ"عفت الديار محلها فمقامها"، وعلقمة الفحل التميمي بـ"طحا بك قلب في الحساء طروب"، ونحوها. فقد نبغ شاعرنا هذا بقصائده كلها لا بواحدة فحسب، ومن لا يرى ذلك فهنا شعره، فليزنه بميزان الشعر، وليتعرفه بمعارفه، يجد الحق واضحا.

وإن تأريخيته التي يقول في أولها:

قف على العالم حول الواقفين وتأملـــــه بعـــين المبصرين

لمن أعجز أعجوباته الواعية، فقد جاء فيها بدرر زاهرة، وأضاء فيها من كواكب التأريخ بدورا سافرة، يخبر فيها عن عمان مهد الشرف، ومحط الفضل، وحظيرة الإمامة، ومعدن التقوى، ومركز الزعامات الحرة، وعن أئمتها الأولياء الصالحين، وعن ديمقراطيتهم واستقامتهم، وذكر بعض أدوار البلاد مما يدل على شرفها ومكانتها، فليقل من استطاع أن يقول مثله في الوطنيات، إذ كان هو من أبناء هذا الوطن المجيد.

فإذا سمعت صوته يدوي بقوله:

أهاجك البرق لما لاح مقتربا فبت تسقيه من عينيك منسكبا

سمعتَ شيئا يستثيرُ منك الجامد، ويحركُ الساكن، ويجمع المتفرق، ويثير العواطف الحرة نحو الواجب الوطني، والمروءة والإنسانية. ولا

شك أن لك في صحف الحياة حياة واعية فقد قال في أولها:

ركب الحضارة في الحياة يسير والوعي مزدهر الجناب مطير

إنَّ جواهر هذا الشعر غالية القيمة عند أهلها، وإنَّ درر هذا الوعي الأدبي عزيزة المنال لعز أربابها، ولقد فتح الله لهذا الشاعر في الشعر فتوحات عظيمة، وقلده إمارة الأدب الشعرية وافية القيمة، وفي قصيدته التي وسمها بالحقيقة الراهنة، من بواعث الشعور لَأَصْواتٌ داوية، وومضات سامية، وخطوات باهرة، ونفثات مصدور يقذفها ذلك الشعور.

انظر منها قوله فيها:

إلى جيل الشباب وكل جيل يعز عليه أن يحيى دفينا

فإنها لسان يعبر عن وعي متراكم، وإدراك متعاظم، وفي ناشد الحرية نسيب غض، وتشبيب لطيف، وغزل رقيق، وحسن انسجام، وبعد مغزى، ووطنية عميقة، ونداء الحياة وما أدراك ما نداء الحياة، شعر من جيد الشعر، ونظم يفوق النظم والنثر، ودعايات معنوية، وأقوال جدية، ولمحات حية، تنبعث من عميق شعوره. فيا لها من معارف قد نحاها، ولطائف قد انتحاها، وعواطف أبداها، وعوارف ألقاها، وإليك مبعث الأسا فإنها ترياق الأسا، وزفرة المحزون التي يقول في أولها:

خليلي ما للدهر للشر يجنح وما لليالي بالمصائب تجمح

سر فيها عنده ترى ما يفضي بك إلى الإعجاب، ويأتيك بالعَجَبِ العُجاب، إلى أن تراه يقول في أخرياتها:

هلم إلى حسن العزاء فإنه لأحمد مما تقتنين وأمدح

إنها حائية حاوية، وسلسلة متوالية، واسعة الحلقات في معانيها، ثابتة الدعامات في مبانيها.

وإليك قصيدته العدوان على مصر وأخواتها، نفض فيها كنانة بيانه، ورمى فيها برمح بلاغته وسنانه، وأجلب فيها بخيل قلبه ولسانه، فهي تحية روحية، وكلمة إخائية، وقد أجاد فيما لمح وصرح، وفيما شرح ووضح، وحرض ورشح. وله في لامية الإكليل مقام جليل، ومقال نبيل، ولقد أيقظ من وعي الأخوة ما لا ينكره الأريب، ولا يتعامى عنه إلا كل غبي عن حقائق مساعي الأديب، أدب لساني، وانتباه بياني، يدعو كل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

وفي نكبة زنجبار وعربها الأماجد، سال سيل بيان هذا الشاعر متدفقا، وفاض غيث شنشنته زاخرا مغرقاً، فقد صرخ صرخة الحزين المصاب، ونادى نداء المنكوب في ذلك الرحاب، فكأن أقلامه سيوف مسلولة، وكأن لسانه صوت أبي طلحة في الجيوش المجاهدة، وكأن غليان صدره تئز مراجله أزيزا، فقد كشف فيها القناع عن الحقيقة، وأبان فيها الإجماع على تلك العقيقة. وكذلك تحيته الجزائرية وأسعد بمطلعها الفخم:

يا طاوي البيد على رجله ما أنت من بدر ولا أهله

فكر في بلاغة هذا الكلام، تجده بعيد المرمى، عظيم الفحوى، واسع المجال، جامع مقاصد الخيال، مديح وثناء، وتحية وولاء، إنها لمطربة معجبة. كما جاء في فلسطين ما يليق بذلك الجيل السامي، والقومية العربية الحرة العالية، وفي نكبتها التي ما زالت ترن في الآذان. وإذا وقفت على باكستانيته، وما أبداه فيها، وأعرب عنه في أبياتها، ودعا إليه بجملها ومفرداتها، ترى أخوة صادقة دينية، وحبا عميقاً عاما لكل أهل لا إله إلا الله كيف كانوا. ويا لله تلك اللطائف التي فيها، والنزعات التي يرمي إليها، ولقد آمن ذلك الشعر بمجموع الإسلام، بل بجميعه

وحسبك منها قوله في آخرها:

يا ساري البرق يحدو كل مرزمة حيِّ الجلال ومن أضحى يعانيه

إلى قوله:

يا رب حفظا لباكســـتان منك إذ التـــأريخ ربي تحـــــدوه غواشيه

ألا تعجب أيها السامع من حسن هذا الكلام، ولطفه وسلاسته وتناسب معانيه. وإذا التفت إلى مطارحته الأدباء، ومجاراته لفريق من الشعراء، وما يُحَيِّيْ به أهل الأدب، ويداعب به أهل الذوق، ويبعث به لأهل وداده، رأيت كلمات ضاحكة تمرح عبر الأثير المتموج، فكلما وقفت على قلب ملأته سرورا واستبشاراً، وألقت إليه ضروب الأنس أسرارا، وأفعمته لشعور السرور أطوارا. وإذا انتحيت رأيت عجبا، وإذا وقفت على شواطئ تلك الأنحاء رقصت طربا، تعرفه عند الشيخ صقر بن سلطان حاكم الشارقة[1]،

(١) هو الشيخ صقر بن سلطان بن صقر القاسمي حاكم سابق لإمارة الشارقة. تولى مقاليد الحكم فيها عام ١٩٥١. كان شاعرا وأديبا، وعُرِفَ بتوجهاته القومية، وبسببها أزيح عن حكم الإمارة. تقول ابنته الشاعرة ميسون بنت صقر عن تنحيته: "عُرِفَ بتوجهاته القومية، ومساندته لحرية الشعوب العربية، وتأييده لسياسة القوميين العرب وعلى رأسهم الرئيس المصري الأسبق جمال عبدالناصر. وفي اليوم الذي حُدِّدَ لافتتاح فرع جامعة الدول العربية في الشارقة، أبعد الشاعر الأمير عن إمارته وموطنه، حيث كان للبريطانيين دور واضح في تنحيته عن الحكم في ٢٤ يونيو ١٩٦٥م، وعُـيِّنَ بدلا منه ابن عمه الشيخ خالد بن محمد بن صقر القاسمي حاكما لإمارة الشارقة، فاستقر صقر منفيًا في القاهرة ليعود عام ١٩٧٢م في محاولة انقلابية لاسترجاع الحكم". لكنه لم ينجح، وأدَّت محاولته إلى قتل الشيخ خالد، واعتقاله هو، وبقائه في المعتقل ثماني سنوات من عام ١٩٧٢م حتى عام ١٩٧٩م، ثم نفي بعد ذلك إلى مصر، وبقي فيها حتى عام ١٩٨٦م حيث عاد ليقيم في أبوظبي، وبقي يتردد على مصر بين الحين والآخر، حتى وافته المنية فيها في ديسمبر عام ١٩٩٣م. جمعت ابنته ميسون دواوينه الشعرية الخمسة وحققتها وأصدرتها سنة ٢٠٠٩م في كتاب من أربعة أجزاء. تحت عنوان: الشيخ صقر بن سلطان القاسمي، الأعمال الشعرية الكاملة. وقد كتب أمير البيان قصيدتين على الأقل في صديقه الشيخ صقر، الأولى تحت رقم (٤٤) وهي

كما تعرفه عند الشيخ العلامة أبي عبيد[١] في سمائل وعند إخوانه بها، وأبناء جلدته فيها، وأهل الأدب بها، وحسبك بذلك. قف حول خياليات الراقصة وأدبياته التي هي بجمالها فاتنة تجد منها بغية الناظر وبهجة الخاطر فمنها:

معاذ النهى أن يحيى إلا مُتَيَّما ... فَكِرًا على تعذاله أو فأحجما

ومنها:

سَفَرَتْ فَبَرْقَعَها الحَيَا والدين ... ومن الكرائم سافر ومصون

ومنها:

عَلِقَ الهوى فَهَوَى على أقدامه ... وأتى النهى فنهته عن إقْدامه

ومنها:

يا مُطْلِقَ العِنان سَبْحا يَثِبُ ... حياك من ذاك العِنان الدَّأب

بعنوان: روضة الأدب. والثانية تحت رقم (٤٧) وعنوانها: روض الاخاء. والقصيدتان تعكسان عمق الروابط بين الرجلين. وسيأتي مزيد من التوضيح في حاشية على القصيدتين في موضعهما.

(١) الشيخ العلامة حمد بن عبيد السُليْمي، ولد في بلدة سدّي، بولاية إزكي ما بين عامي ١٢٨٠هـ، و١٢٨٩هـ، وتوفي بولاية سمائل يوم ٢٨ من ذي الحجة ١٣٩٠هـ/ ٢٤ من فبراير ١٩٧١م. قاض فقيه، وأديب ناظم للشعر. أخذ العلم في سمائل عن الشيخ عبيد بن فرحان، والشيخ أحمد بن سعيد الخليلي، والشيخ موسى بن سالم القرني. كما رحل إلى الشيخ نور الدين السالمي فلازمه واستفاد منه كثيرا. تتلمذ على يديه كثير ممن أصبحوا في عداد الفقهاء والأدباء منهم الشيخ خلفان بن جميّل السيابي، والشيخ سالم بن حمود السيابي، وأمير البيان. ترك العديد من المؤلفات في علم التوحيد والفقه. بالإضافة إلى دواوين تضمنت أجوبته الفقهية نظما. أنظر: معجم أدباء الإباضية (قسم المشرق) لمؤلفه فهد بن علي بن هاشل السعدي، مكتبة الجيل الواعد، مسقط، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ص ٥٩-٦١.

هذه خيالياته وإخائياته وعتابياته، تمرح مرحاً في روضها الأنيق، وتسحب أذيال الحسن بين شقائق النعمان ووادي العقيق. وعلى هذا النحو أكثرها، ومن هذا الجنس أذيالها وطررها، وناهيك بغزلياته وما لها من النسيب، ومرثياته وما فيها من النحيب، مما يَصْدَعُ الصخر وإن قسا، ويزعزع الجبل وإن رسا، وما ذلك وأيم الله إلا مما يشير إليه قول الله عز وجل: ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾[1]. وهنا يجب أن نقهر عنان القلم عن الاسترسال في أودية شعره، فإنها ذات هضاب عالية وشعاب نائية، تشهد بذلك مقصورته التي يقول في أولها:

يا ساري البرق يهلهل السما يخط أسطارا كلألاء السَّنا

﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾[2]، ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾[3]، وحسبنا الله ونعم الوكيل. وصلى الله على سيدنا محمد أفصح الأمة، سيد ولد آدم وعلى آله وصحبه، مصابيح البلاغة وكواكب البيان، وأنجم العرفان، وعلى التابعين لهم باحسان إلى يوم الدين.

١٤ شوال ١٣٨٢هـ

(١) سورة فاطر، الآية ١.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٦٩.

(٣) سورة الجمعة، الآية ٤.

مقالة الشاعر الأديب الشيخ سعود بن علي الخليلي[١] في شاعرية أخيه

إذا كنا بصدد أنْ نُعَرِّفَ عن واقع، أو نروي عن عظيم رائع، فإنَّ لنا أكثر من مسلك نرتقي به أسباب الجد، ونرتفع به إلى سماء المجد، لنطل من على الوجود، إلى عالم الموجود، فنرى بأبصارنا وندرك ببصائرنا عالَمًا من خلق اللّه عز وجل، ينمو فيه الصغير، ويعظم فيه الكبير، وليسوا على حد سواء، كلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا خُلِقَ له.

ومن فرقان هذا التيسير خلق اللّه العظمة، لِيُتَوِّجَ بها أُلِيْ درجات الكمال في سُلَّم الحياة، ويُحَلِّي بها معنويات عظماء الرجال في رفيع مقدراتهم. ومتى كانت أنظارُنا وقفاً على الحياة الدنيا، ولم نرتفع بجدية النظر إلى ما وراءها، من سمو الفكر والطموح، إلى أعلى مستويات الشهرة، فلسنا إذن بقادرين على أن نتصور حياة الخالدين.

(١) الشيخ سعود بن علي بن عبدالله الخليلي من الشخصيات العمانية المرموقة، ومن كبار رجال الدولة منذ أن تولى السلطان قابوس مقاليد الحكم سنة ١٩٧٠م، حيث كان ضمن الشخصيات التي انتدبها السلطان إلى الدول العربية في إطار ما عرف وقتها بوفد المساعي الحميدة، الذي قام بزيارات للدول العربية للتعريف بحكومة السلطان قابوس وتوجهاتها السياسية القومية والدولية. وبعد ذلك تم تعيينه كأول وزير للتربية، ثم أول سفير للسلطنة لدى جمهورية مصر العربية، ومندوب عمان لدى جامعة الدول العربية. وهو في الأصل من كبار وجهاء عمان وأشياخها المرموقين، ومن رجال المال والأعمال. وللشيخ سعود كتاب جليل القدر بعنوان: كلمة، صفحات من تاريخ عمان، صدر في طبعته الثانية عن دار أبعاد، لبنان، بيروت، عام ٢٠١٥م. تناول فيه ذكرياته منذ صباه حتى عهد جلالة السلطان قابوس بن سعيد، وكشف فيه بحنكة وحكمة باهرة، وأسلوب أدبي رفيع عن بعض الجوانب الهامة في تاريخ عمان الحديث.

وحياة الخالدين إنْ كنا نفهمها على حقيقتها، فإنَّ فضائلها هي التي تملي علينا كائنا حياً ليس لنا فيه فضل التكوين، وإنما لنا فيه شرف التبيين. "وأما بنعمة ربك فحدث". صدق الله العظيم.

فقد يتيح لنا الشرف الحديث تيمناً بذات النعمة لنبدأ مرحلتنا بحياة عبقري من الدوحة الخليلية التي لا تنبت إلا علماء عاملين، وأعلاماً متفوقين، فلنقل بحق أنه شاعر من الأشراف، تحدر من سلالة أكابر، ورقاة عز ومنابر.

ولد هذا العبقري الفذ في قريته الفيحاء، التي لو لم يكن إلا فضيلة سبقها للإسلام بادئ ذي بدء من بين البلدان العمانية كما في قصة مازنها الطائي[1] ما يكفي للإعراب لكفى. فهي سمائيل اسم وافق مسماه، إذ أنها أضيفت إلى اسم الجلالة تكريماً في معناه الحقيقي ومفهومه العِبري سماء الله. كما أنها للعلوم مقرها الرغيب، وللعربية

(١) هو مازن بن غضوبة السعدي الطائي، وهم قوم يقطنون ولاية سمائل منذ القديم، وقد أورد المؤرخ العماني أبو المنذر سلمة بن مسلم العوتبي من علماء القرن الثاني الهجري في كتابه الأنساب العمود النسبي للسيد مازن وهو: مازن بن غضوبة بن سبيعة بن شماسة بن حيان بن أبي بشر بن سعد نبهان بن عمرو بن الغوث بن طي. كما أورد جانبا من سيرة حياته، وقصة رحلته إلى المدينة المنورة ليسلم على يدي رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. أنظر: كتاب الأنساب لسلمة بن مسلم العوتبي، تحقيق الدكتور محمد إحسان النص، الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، الصفحات ٢٩٨-٣٠٢. ملاحظة حول العلامة سلمة بن مسلم العوتبي صاحب كتاب الأنساب: درج الباحثون على اعتبار العلامة العوتبي من علماء القرن الخامس الهجري، لكن فضيلة الشيخ محمد بن عبدالله العتبي أثبت بالبرهان العلمي أن الشيخ سلمة بن مسلم هو من علماء القرن الثاني الهجري. ينظر في هذا كتاب: العوتبي الصحاري لغوي وفقيه ونسابة ومؤرخ (١٧٠-٢٩٠هـ)، لمؤلفه الشيخ محمد بن عبدالله العتبي، بدون دار نشر، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ، ص ٢٦-٢٧.

منبعها الخصيب، وللحضارة ثوبها القشيب. على أن لها في الرفعة شأناً يعرفه كل بعيد وقريب، كيف وقد نوه بها الشاعر النبهاني العماني[١] في قوله :

كأن الحدوج الرائحات عشية مواقر نخل من سمائل مبسر

وقال فيها شاعر البيان أبو مسلم:

وأين حلقوم ذاك الملك معصمه سمائل فهي للسلطان سلطان[٢]

كما عناها شاعرنا المعني بأبيات أحببنا إيرادها قبل ترجمته لتكون كمقدمةٍ دلالةً على نبوغه وبلاغته وعلى مقدرته وصفاء مخيلته حيث قال:

كأن تراب المجد فوق سمائل مُتون الجياد تحت كل مقاتل
كأن ظُباها في الخمائل رُتَّعا سهام القضا لكن على المتطاول
كأن قميص الضفتين زبرجد وبالشعب من عين السما خير سايل
كأن قميص الشُّم وهي تحوطها من الله سور للعُلى والفضائل

لنفتتح به لك حياته وشاعريته، فهو: عبد الله بن علي بن عبد الله بن سعيد بن خلفان بن أحمد، ديمقراطيين أمناء أقوياء، الذي ينتمي إلى ثلاثة وعشرين إماماً من عشيرته منهم أربعة من خاصة بيته آل الخليل، كلهم ملكوا عمان على الطريق الشرعية، وساروا بها على السيرة المحمدية، وساسوها بكتاب وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) يعني الشاعر السلطان سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني. والبيت من قصيدة له مطلعها:

أَلِلدَّارِ من أكناف قَوٍّ فَعَرْعَرِ فَخَبْتُ النَّقَا بطن الصفا فالْمُشَقَّرِ

أنظر ديوان النبهاني ص ١١١ وما بعدها.

(٢) البيت من القصيدة الاستنهاضية الشهيرة المعروفة بالنونية تجده في كتاب شرح الموسوعة الشعرية لأبي مسلم البهلاني لمؤلفه الدكتور راشد بن علي الدغيشي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ص ١٠٢٦.

ولد في سنة ١٩٢٢ ميلادية كما قلنا بمدينة سمائل الخالدة، من عمان الوطن العربي الحبيب، وكان في صغره بعيدا عن والده، ولكن حنان الوالد ونظرته الأبوية لم يصدها دونه حائل المسافة، حيث اختار له النشأة الطيبة، والتربية الصالحة، إذ وكله إلى أسرته الموجودة بسمائل، الأسرة التي لا تضم بين أفرادها إلا الصالحين، ولا تكتنف إلا على الصالحات، نشأ على رغد عيش، وعلى قويم الحياة، وكريم التقاليد.

وهكذا أمضى سني طفولته يختلف على المؤدب الذي أقيم له خاصة، يُقرؤه كتاب الله عز وجل، وما إن شب على الطوق أو كاد، حتى وجد الخيرة مذللة، يَدْرُجُ فيها من حسن إلى أحسن، ومن أكرم إلى أكرم، فذهب في جماعة من أكابر قومه، ليلتحق بعمه الإمام الرضي محمد بن عبد الله بن سعيد الخليلي، الذي بويع له بالإمامة يوم ٢٨ من ذي القعدة سنة ١٣٣٨ هجرياً، وبقيت خلافته حتى يوم ٢٩ شعبان سنة ١٣٧٣ هجرياً، وقضى هذه الفترة الطويلة الأمد في الحكم وكلها عدل وخير، حتى توفي رضى الله عنه والأمة راضية، وكانت مخلصة له طوال حياته، حيث كان هو مخلصا للأمة، وكان الرضا عنه لا ينتهي عند حد الخاصة وإنما تجده عند الخاصة وعند العامة أكثر.

ولنأخذ نبذة من تاريخه كدليل على ذلك، فمن شهادة الأجانب مثلا حينما زار عمان الرحالة الإنجليزي الذي سمى نفسه مبارك بن لندن، فدخلها من حدودها الغربية من جهة الظاهرة، ولعله كان بصفة غير شرعية، ولم تكن الحال هناك تدعو إلى نقط مراقبة، أو مراكز نظامية وإنما الجيش والقيادة من الشعب وبالشعب، فكان أن أنكر عليه قبائل البدو دخوله، ولعله أولا أطمع بعضهم، لكنهم لما وجدوا الكير (كذا وردت ولعل الصواب: النكير) تنكروا له، فنسمعه كما يروي في

مذكراته أنه عندما خرج إلى أقصى الحدود، وبرفقته رجال من البدو يقول: تمكن حب الإمام من قلوب الخاصة والعامة من عمان، حتى أن البدو الرحل إذا أصاب أحدهم أي حادث ما، كأنْ عَثَرَتْ رجله قال سلم الله الإمام[١]. هذا رغم أن الإمام أجرى الشريعة بلا هوادة، فجلد الشارب، ورجم الزاني، وقطع السارق، وأخذ بالحدود النفس بالنفس بدون هوادة، حتى بلغ عدد من قضى عليهم بالإعدام صبراً فوق المائة والسبعين رجلا، عدا قطاع الطريق الذين أمر بالفتك فيهم خارج العاصمة، وعدا قتال فئة باغية حتى تفيء إلى أمر الله، وعلى كل فمن أصلح بينه وبين الله أصلح الله بينه وبين العباد.

هنالك قضى هذا العبقري فترة انتقاله بين الطفولة البريئة إلى الشباب الجاد، يتلقى علومه على أخصائيين ممتازين، مبتدئا بالقرآن الكريم لدى مقرئه الحاذق زاهر بن مسعود الرحبي، ثم انتقل إلى أستاذ العربية

(١) أنظر كتاب الرمال العربية لمؤلفه ويلفرد ثيسجر (المسمى في البادية العمانية بـ: مبارك بن لندن)، موتيفيت للنشر، مطبعة راشد، عجمان، دولة الإمارات العربية المتحدة، ص٣٢٦، أورد فيها ثيسجر عبارة على لسان شيخ قبيلة الجحاحيف الشيخ على بن سعيد الجحافي ونصها: "في إمكانك أيها الفتى أن تترك بندقيتك هناك، فبفضل الإمام أطال الله عمره نعيش هنا بسلام". ولم أقف فيه على غيرها. لكن ربما كان ما أورده الشيخ سعود في طبعة من طبعات الكتاب المتعددة، فلقد صدر في طبعته الأولى في سنة ١٩٩١م، والثانية في سنة ١٩٩٢م، والثالثة ١٩٩٥م، والرابعة ١٩٩٩م، والخامسة في سنة ٢٠٠٠م، كما أعبدت طباعته في ٢٠٠٥م، و٢٠٠٩م، ٢٠١٠م. وكان الكتاب نشر لأول مرة في طبعة إنجليزية سنة ١٩٥٩م. وقد يكون ما نقله الشيخ من طبعة غير الطبعة التي بين يدي المحقق.

الفاضل، النحوي الكبير حمدان بن خميِّس بن سالم اليوسفي[١]، ومن ثم قرأ على الشيخ العلامة الضرير حمد بن عبيد بن مسلم السليمي، الذي خوّل لقب داهية العلماء، والشيخ سالم بن حمود بن شامس السيابي، اللذين يشغلان رتبة القضاء، هذا ما كان يتلقاه خارج الحصن. أما وهو في داخل الحصن فإنه اقتبس من ذلك النور، وكرع من ذلك النمير، إنه الإمام، وناهيك بما في كلمة الإمام من معنى. ومتى كان الإمام هو المربي والمؤدب والمعلم فجدير بمن رباه وأدبه وعلمه أن يسير إلى الأمام وإلى الأعلى. وهكذا تمكن شاعرنا من السير قدما بخطى ثابتة، وأفكار صامدة متزنة، فلا نجده يمرح عند الفرح، ولا يعبس عند الترح، فهو واقعي تعلم من إمامه كيف يجب أن يعمل، وكيف يجب أن يعيش.

ولنلتفت قليلا إلى بعض مذكراته حيث يقول: "خرجت وبرفقتي عشرون راكبا من خيرة الرجال، وكانت المواصلات آنذاك بوسائل عادية، إذ لم يكن وجود للسيارات حينذاك بعمان، فتجد الماشي في الطريق، وصاحب الفرس والبعير والحمار، منها المعد للنقل ومنها المذلل للركوب. أما مطايانا فكانت من خيرة الإبل إذ أنها خصصت للوازم الدولة، خرجنا بها نشق الوادي الخصيب من سمائل، وقد تفجر بينابيع

(١) الشيخ الأستاذ حمدان بن خميّس بن سالم اليوسفي (١٣١٠هـ/١٨٩٢م-١٣٨٤هـ/١٩٦٥م) عالم بالنحو واللغة. كان حجة أهل زمانه في علم النحو والصرف حتى لَـقَّـبَـهُ الإمام محمد بن عبدالله الخليلي بسيبويه الثاني. له إنتاج أدبي يشهد له بجزالة شاعريته التي أوقفها رحمه الله في التغني بمناقب العلماء بالإضافة إلى أشعاره الوجدانية والمطارحات الشعرية العلمية ذات المنزع الشرعي واللغوي. كان الشيخ حمدان أستاذا لأمير البيان ولكثيرين غيره ممن سعدت بأدبهم عمان. لمزيد من المعرفة عنه أنظر: معجم شعراء الإباضية، لفهد السعدي، الترجمة رقم ٥٧، ص٦٥.

الري، وعقدت الترع منه للبلاد، وكان وسطه مفعما بالماء العذب الذي فضل عن حاجات البلد، وكانت أخفاف الإبل كأنما تقدح الحجر تارة وتطيش بالماء أخرى، جامعة بذلك بين ضدين لا يعيشان مجتمعين الماء والنار، فقلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم، ومنذ ذلك اليوم بدا لي أن أقول الشعر، وأنا أنظر إلى الماء المنساب، وإلى القسم الآخر المتحجر في صحون الأودية، وقد انعكست به زرقة السماء وخضرة الشجر، ولكني كنت مبتدئاً ولا أملك الكافي من الآلة لهذه الصناعة، وكان أكثر ما يثنيني بيت حفظته عن شوقي وهو قوله:

والشعر ما لم يكن ذكرى وعاطفة أو حكمة فهو تقطيع وأوزان

فقلت لا أقول حتى أكون قادرا وما ذلك على الله بعزيز. تَحَرَّى شاعرُنا هذه الرحلة، وأكبرها لخياله وتصوراته، فأضمر أن يقول، فكان ذلك الخيال هو المركبة التي استطاع أن يطير بها في أجواء البيان، وعلى سماء التفوق والنبوغ، فهذه نظمياته ومثلها نثرياته، وسترى في أوراق هذه الموسوعة ما يوقفك على حد قول المتنبي:

وأستكبر الأخبار قبل لقائه فلما التقينا صغّر الخَبَرَ الخُبْرُ

فلنذر الحكم إلى القارئ الكريم ...

* * * * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة أمير البيان

الحمد الله الذي أطلق عنان الفصحى لفارس الضاد على مضمار العرفان، وحشر له سوابق المعارف إلى ذلك الميدان، فظهر مُجَلِّياً في تلك الحلبة البيانية التي تربو على ألف غَلْوَة[١]، تاركا لما وراءه من الأعنة التي ظلت تمزع خلفه، تاركا لها أخريات مراتب السبق، ومحلقا في سماء الفصحى، إلى حيث تكبو دونه الكواكب السيارة، حسرى مدحورة دون مبلغ مرماه، خاسئة المجرى أن تترسم خيال حافر عنانه حال مرقاه، حتى أصبح ومحط رحاله من الحضرة القدسية على رحاب القرب، حيث منتهى قصد السالكين وغاية مبلغ الواصلين، حيث تدفعه عوامل الحب الصادق بحافز من الإخلاص الخالص، الذي تتجلى على مرايا جواهره اللوامع، حقيقة الجوهر الفرد في مجتلاه المصعق على طور سيناء المحبة، خلف حجاب ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾[٢]، فكأنه قد صعق فذهل وذهل، فجهل من حاله ما كان يعلم، وعلم من شأنه ما كان يجهل، كأنه وهو مأخوذ النبضات، مذهول اللفتات، تجلجل في مسمعه نغمة علوية، تندفع متموجة بقول عز من قائل: ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾[٣].

---

(١) الغَلْوَةُ مصطلح قديم لتقدير مسافة ما. وتقدَّر بثلاثمئة ذراع إلى أربعمئة.

(٢) سورة الأنعام، الآية ١٠٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٥٦.

فلم يملك السامع من نفسه ثَمَّ سوى لسان تَتَلَوَّى بين لَحْيَيْهِ[١] وهو يقول: اللهم صل وسلم على خير من عرفه الوجود، وعرف به الموجود، الذي جاء من الضاد بالمعجزة الباهرة، تحدت كل معاند ومضاد، وجعل منها سُلَّماً إلى السعادة الأبدية، ومناراً واضح المعالم إلى مضارب الحقيقة الإلهية، ودعوة مشرقة بيضاء إلى الحضرة القدسية.

صلاة وسلاماً أقف بهما بين يدي صاحب شفع الجملتين التوحيدية والمحمدية، وأنا شره الجنان نهم اللسان، إلى تذوق حلاوة ذكرى مستحق الحمد والمدح، أنتهز فرصة الإمكان، مفوقاً بصري إلى أعلا مدارج الحمد الخالد، والثناء التالد، تحت أردية تلك الشخصية البارزة في محمدها الكريم، عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين، وبعد:

فإن مما يدفعني وأنا كأنما أتلو من كتاب الله عز شأنه قوله: ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾[٢]، فتجدني أَنَمِّقُ كلمتي هذه، كأنما أجمع إلى جرابي ثمرات من الشجيرات شتى، كان للواقع أنْ بددها هنا وهناك، ولكني لم أكد ألمسها حتى لمعت، وهي على كفي جواهر غالية، فيها اليتيمة والعصماء[٣]، فهل تجدني كنت قبل وأنا راض عنها سعيد الحال بها، غير أني أطرحها إذ ذاك لفرط ضغط من قسوة الدهر الغادر في صروفه السود، أم تُراني وقد كنت غير عابئ بها، شأن من يرسل الكلمة تدوي في أذن الخافقين،

---

(١) اللَّحْيَان: العظمان اللذان فيهما الأسنان.

(٢) سورة فصلت، الآية ٣٣.

(٣) اليتيمة والعصماء وصفان لما ندر وتفرد من الجواهر. ويُسْتَخْدَم الوصفان كذلك في الأدب فاليتيمة من القصائد ما لا نظير لها. والعصماء القصيدة المعدودة من عيون الشعر.

ويبعث الحكمة تنعقد عليها خيوط الحاضر والماضي، ولكنه في جو متعكر، فتراه وهو كأنه يطلق الكلمة الهادرة من طرف لسان شد على مؤخرة رأسه، فلا يكاد يسمعها بعد ذلك، ولا يرى لخيالها شبحا أينما سبح.

إنَّ كلا الحالين يتطلع أليَّ أو أتطلع إليه عن كثب، لولا أني كنت أدَّكِرُ[١] الفينة بعد الفينة، فأهب لعزمي متلافيا ما نَدَّ[٢] عني من مهمتي، فهل أجدني ثَمَّ أكون ظافراً بما أردت، أم سأكون مخفقاً دون ما حاولت الظفر أقرب الحالين مني والحمد الله.

لذا تنظر إليّ فتراني وأنا أجمع في أوراقي هذه تلك الكلمات التي كنت وأنا كأنما أستجيب معها للخيال الساحر، فأنشرها على أجنحته الخفاقة بقوادم البيان وخوافي البديع، تحت أروقة من سماء الفكر المتموج بشتى الأوابد والواقعيات، عبر أثير الفضاء الصاخب، وهي كأنما تبتسم حولي مرة فأبتسم بها للوجود، وتبكي تجاهي أخرى فلا أملك إذن سوى عبرات عيني وهي تسيل ذوبا على مآقي اليراع الهائم تحت سبابتي، فلو حسبتني شاعراً فحسب بمعنى ما فهمه العامة من هذه الصفة التي غَمَصَ[٣] عليها كتاب الله جل جلاله حيث يقول:

﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل وادٍ يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾[١]، لكنتُ وكلُّ ما قد قلته وسودته نظما كان أو نثرا، كنتُ وإياه على حال تَبِيتُ بنا على مفترق الطرق (فلاة إلى

---

(١) أدَّكِرُ: أتَّعِظُ وأعْتَبِر.

(٢) نَدَّ: نَفَرَ، شَذَّ.

(٣) غَمَصَ عليه قولا قاله: عابه.

(٤) سورة الشعراء، الآيات ٢٢٤-٢٢٦.

غير اللقاء تُجاب)، أو على فاصلة تفصل بيني وبينه إلى الأبد، فلن أراه ولن يراني، ولو رأيته بعيني لمحة في يوم ما، لما أوليته مني أكثر مما لقيته صحيفة المتلمس[١] على تيارها الهادر، ولكني وأنا أصغي إلى آخر تلك الآية الكريمة حيث يستثني جلت حكمته وهو يقول: ﴿إلاَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾[٢].

كما وأتسمع إلى الشاعر الأنصاري الكبير، حسان بن ثابت، وهو ينافح عن مهبط وحي الله محمد صلوات الله عليه، والرسول يجمع حيال شاعره كل مشاعره، راضيا عنه كل الرضا ويقول: "اللهم أيده بروح القدس"، وإننا لنسمع في لهجة ذلك الشاعر كل أساليب الشعر وفنونه، ومحمد صلى الله عليه وسلم يسمعه بملء أذنيه، وينظره بملء عينيه، ويعي قوله بملء قلبه، ويبتسم له بملء فيه، ترى هل ذلك إلا تأييداً لقوله صلى الله عليه وسلم، وقد أعجب بلسان ابن الأهتم فقال: "إنَّ من الشعر لحكمة وإنَّ من البيان لسحراً".

كما ونسمع عن لسان الصحابة الكرام من الشعر والحض عليه، والحث على حفظه، ونسمع كذلك نغمات أشياخنا الأعلام رضوان الله عليهم،

---

(١) صحيفة المتلمس تُضْرَبُ مثلا لمن يحمل كتابا فيه موته. تذكر كتب التاريخ أن الشاعرين طرفة بن العبد البكري وخاله جرير بن عبدالمسيح المعروف بالمتلمس يفدان إلى الملك عمرو بن هند اللخمي بقصائد يستجديان بها عطاءه. فبلغه مرة أنهما هجواه. فقدما عليه يستعطيانه فكتب لهما إلى عامله بالبحرين كتابين أوهمهما أنه أمر لهما فيهما بجوائز وقد كان أمر بقتلهما. فصادف المتلمس عند خروجه من الحيرة شابا فقال له أتقرأ يا غلام؟ قال: نعم. ففك صحيفته ودفعها إليه، فإذا فيها: أما بعد فإذا أتاك المتلمس بكتابنا هذا، فاقطع يديه ورجليه وادفنه حيا! فأخذها المتلمس وقذفها في نهر الحيرة.

(٣) سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.

وهم يرددون الفنون المتنوعة من أشعارهم، في غزلها وحماستها فياضة بالرقة وسحر البيان ولطف المشاعر. لذلك تجدني نشيطاً، وأنا أسودّ كلماتي هذه، ولأني أدخر بين زواياها نية صادقة وقصدا صالحاً، طالما دلفت بهما إلى الله وحده داعياً ومحببا وحاثاً إلى الأخذ بما جاء به رسوله عليه صلاته وتسليمه، وإلى مكارم الأخلاق ومعالي الأمور، لا أسأل على ذلك من أجر ﴿إنْ أجريَ إلا على الله﴾[١]، ولا أريد به "علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين"[٢] إنما هو خالص لوجه الله الكريم.

فلو انطبع بذهني ما ينطبع عادة على الذهن البشري في أكثر المناسبات، وكثيرا ما يكون ذلك، لما كدت أحسه حتى أقبض على حجزتي، فأبرأ إلى الله متنصلاً من سوء ما كسبت يداي،

﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين﴾[٣]، مع أني أقول كما قال الله جل شأنه، حكاية عن يوسف الصديق عليه السلام، ﴿وما أبرئ نفسي إن النفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾[٤].

هنا تراني وأنا أجلو أمام أخي العربي، قبضة من هذه الصفحات الخالدة في لسانها العربي المبين، وبيانها الساحر الحكيم، والتي تلم على أكثر فنون الشعر الرائعة، وأبعد شعبه الواسعة، في أدب غض

---

(١) سورة يونس، جزء من الآية ٧٢.

(٢) من قول الله عزوجل: ﴿تلك الدارُ الآخرةُ نجعلُها للذين لا يُريدونَ عُلُوًّا في الأرض ولا فسادا والعاقبةُ للمتقين﴾. القصص، الآية: ٨٣.

(٣) سورة النحل، الآية ٩.

(٤) سورة يوسف، الآية ٥٣.

نضير، يمثل مجموعة من باقات زهر الربيع، أو موسوعة علمية من لمع الفصحى على فن البديع، قذفتها عناية الله في جناني، فله الحمد، ونطقت بها حكمته على لساني، فله الشكر، ولقد أصبحت وهي في حسن نضارتها وجمال غضارتها، أصبحت تعبر عن شتى المجالات في شتى المناسبات، وتعرب في رقة مشاعرها وقوة إرادتها عن نهضة يعربية صادقة، وأخوة إسلامية متينة أينما توجهت وكيفما اتجهت، ولسان منشئها يقول بملء فيه: ﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾[١].

هذا ومن الجدير بالذكر، وأنا أقوم ببعض ما أُعْنَى بشأنه حول هذه المجموعة الأدبية، وهو الأدب الذي لا ينبع إلا عن عبقرية تتبلور الموهبة عنها، أو هي التي تتبلور عن الموهبة التي يهبها الله جلت حكمته لمن يشاؤه من خلقه، ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾[٢]، أي الموهبة، فهي الروح التي قد تخرج بصاحبها من حد المألوف إلى خوارق العادات، والتي تكاد تكون الإعجاز، والتي هي في ذاتها غير محصورة على فن من الفنون، أو حال من الأحوال، أو طريق أو شخص أو وراثة مثلا، فلو أخذنا بسبيل التوسع ونحن نشرح حقيقة هذه الموهبة بكل ما فيها، ولن يستطيع ذلك قائل أو كاتب ما كان، أو حاولنا ذلك لما وصلنا في طريقنا إلى أبعد من غاية البصر، خلف مرمى البرق في خطفته، أو غاية مبلغ السمع من مسرى الريح، وراء أجنحة الغمام الباكي، ولكن الذي حاولناه ونحاوله فقط، هو أن نضفي على العبقرية غلالة ملائمة، إنْ رَقَّتْ فعن مشاعر العبقرية وأحاسيسها، وإنْ غَلُظَتْ فعن نجدتها وقوتها، وإنْ طالت فعن

(١) سورة هود، الآية ٨٨.

(٢) سورة فاطر، الآية ١.

طَوْلِها وشرفها، وإنْ زَكَتْ فعن إيمانها وتوحيدها، فهي في كل المجالات رمز القوة والكمال، رمز التفوق والنبوغ، رمز الكرامة، رمز الحياة الخالدة.

وإني لجد سعيد وأنا أجلو أمام أخي القارئ العربي مهمة طالما عُني بأمثالها فحول الأدب، وعباقرة الرجال، في أكثر من شأن، وأكثر من مناسبة، معلقا كل آمالي ومقاصدي على الله وحده، ولسان حالي يقول: ﴿حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾[١].

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شئ قدير، وصل اللهم وسلم على خير مخلوقاتك وصفوة أوليائك، سيدنا ووليا محمد النبي العربي الأمين، خير الأولين والآخرين، وعلى آله وصحابته والتابعين. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

عبد الله بن علي الخليلي

(١) سورة التوبة، الآية ١٢٩.

المجال الأول: الإخوانيات

الإخوانيات الأولى

(١) هبة العليم[١]

بعث بها للشيخ العلامة خلفان بن جميّل السيابي تقريظا لكتبه الأربعة المذكورة في ثنايا القصيدة[٢]

علق الجَمَال فخانه اسْتِحْيَاؤُه ... ورأى الكمالَ فَهَالَهُ اسْتِجْلاَؤُه
ورأى الطبيعة في رقيق شعورها ... سكرى تميل فعزه إخفاؤه
وسرى وأبصار النجوم شواخصٌ ... والبدر يعبث بالدجى لألاؤه
وغدا وقرن الشمس غير مُحَجَّب ... والأفق تسبح في الضيا أرجاؤه
تحت السراب على المروج كأنه ... نجمٌ تَشَحَّطَ[٣] والسحاب دماؤه
وكأنه عبر الأثير تموّجٌ ... يوحي بفلسفة الفضا إفضاؤه
وكأنه طيفٌ أهاب به الكرى ... فهفا إليه والظلام رداؤه
وكأنه وتر على أنغامه ... والوعي من سمع الدنا إصغاؤه
ومهذب الأخلاق مرهوب الشَّبا[٤] ... بهرته موهبتي فبان خفاؤه

---

(١) راجعتها طبقا لديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) الشيخ العلامة خلفان بن جميّل بن حرمل بن مهيّل بن علي السيابي، ولد في بلدة سيما بولاية إزكي سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩١م، وتوفي يوم ١٥ من جمادى الثاني ١٣٩٢هـ/٢٧ من يونيو ١٩٧٢م. تلقى العلم على الإمام محمد بن عبدالله الخليلي، والشيخ حمد بن عبيد السليمي، جدّ في طلب العلم حتى بلغ مرتبة أصبح فيها معتمد الإمام الخليلي في حل المسائل المعضلة. من أشهر تلاميذه المشايخ سعيد بن خلف الخروصي، وسالم بن حمد الحارثي، ومحمد بن راشد الخصيبي. ترك عددا من المؤلفات في الفقه. وبجانب ذلك كان ناظما للشعر، وشعره من الجزالة بمكان. لمزيد من المعرفة حول سيرته العلمية أنظر معجم القضاة العمانيين، تأليف الدكتور عبدالله بن راشد السيابي، مكتبة خزائن الآثار، بركاء، عُمَان، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، الجزء الأول، ص ١٥٦.

(٣) شحط النجم: اضطرب. يقال شحط القتيل في دمه اضطرب وتَمَرَّغَ فيه.

(٤) الشَّبا جمع شَباة، وشَبَاةُ الشيءِ: حَدُّ طَرَفه.

فانباع كالرقطاء نحوي سائلا ... يشحو فَماً ضحكت به خيلاؤه[١]
أي البلاد سقى نبوغك ماؤها ... قلت البيان فما الربيع وماؤه
بلدي هو العين التي استخدامها ... ريّ الكريم ومالـه وبهاؤه
وإذا أقام به الغريب حياته ... فغداؤه ورداؤه ورُوَاؤه
ما من فتى فيه يمس طعامه ... إلا وفيه ضيوفه شركاؤه
وترى الفقير مع الغني كأنما ... يتقاسمان فضنكه ورخاؤه
وكأنما أبناؤه أخلاقهم ... خلق الصحابة بأسه وسخاؤه
وكأنما علماؤه في سمتهم ... آل النبيِّ ومن همُ إيواؤه
هذي هي الخلق التي عن أحمد ... وُرِثَتْ فأين سريره وبناؤه
ولقد برزتُ مُجَلِّياً في حلبتي ... والمَرْءُ كالصمصام حيث مضاؤه
أفتى جميّل خير من ضم الحمى ... وحمى العرين يراعه ولواؤه
خلفان يا علم الشريعة والهدى ... نور الوجود إذا دَجَتْ ظلماؤه
إنِّي بكم أعلوا المنابر خاطبا ... وأقول مِلْءَ فم لكم إيتاؤه
الله في هذا الحمى فحماته ... قد أظلموا ولأنتمُ أضواؤه
والله جل يقول فيكم إنما ... يخشاه دون عباده علماؤه
فلأنتمُ في أرضه أوتادها ... ولأنتمُ في أهله خلفاؤه
يا من تجلى (سلكه) و (فصوله) ... نوراً و (بهجته) ولاح (جلاؤه)[٢]

(١) انباع: امتد. الرقطاء: ضربٌ من الأفاعي. يشحو فَمًا: يفتحه.

(٢) ما بين الأقواس عناوين الكتب التي ألفها الشيخ خلفان بن جميّل، وهي: كتاب سلك الدرر الحاوي غرر الأثر: وهو نظم لكتاب شرح النيل لمؤلفه العلامة الجزائري الشيخ عبدالعزيز الثميني، وقد نظمه الشيخ خلفان في (٢٨) ألف بيت. وضمنه آراءه وتحقيقات وأقوال العلماء. وكتاب فصول الأصول: في أصول الفقه من ستة أجزاء. وكتاب: "بهجة المجالس" وهو ديوان حوى أسئلة وجهت إلى الشيخ من أهل عصره في قالب شعري فجاءت أجوبته إليهم شعرا. وكتاب: "جلاء العمى في ميمية الدماء" في أحكام الأروش والديات والدماء.

إني لأعرف عجز نفسي دون ما ... تقريضها لو أنني أتّاؤه[١]
حِكَمٌ أفاضتها المواهب رحمة ... للكون فانْبَجَسَتْ بها صَفْواؤه
نزلت بها الأنوار في عرش الهدى ... فاستقبلتها أرضه وسماؤه
وسرت بها ألطاف عَلَّمْناه علْـ ... ـما من لدنّا كشْفُهُ وضياؤه[٢]
وغدت بتأويل الأحاديث التي ... صدقت على الصديق فهي حباؤه
وزكت بحكمتها وفصل خطابها ... تثني على داود وهي ثناؤه
وتناولت ألواح موسى نسخة ... فيها الهدى والنور وهي سناؤه
وأتت على إنجيل عيسى حينما ... قرأ القرآن أمامها قراؤه
هبةُ العليم اسْتَنْبَطَتْها نُهْيَةٌ ... فاض اليقين بها وفاح شذاؤه[٣]
فاضت بها إنا فتحنا نعمة ... من منعم تمت بها نعماؤه[٤]
وتنزلت أملاكها بسلامها ... علماً تفيض على الفضا وطْفاؤه[٥]
ودنت من الملأين وهي مليئة ... غيثاً توالت فيهما أنواؤه[٦]

---

(١) أتّاؤه: الآتي به أي قائله.

(٢) قوله: علَّمناه علما من لدنا اقتباس لقول الله تبارك وتعالى: ﴿فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلَّمناه من لدنا علما﴾. سورة الكهف، الآية: ٦٥.

(٣) نُهْيَةُ الإنْسَانِ: عَقْلُهُ. والنُّهْيَةُ أيضا: غاية الشيء وآخرُه.

(٤) هنا يشير إلى قول الله عزوجل: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا﴾. الآيتان الأولى والثانية من سورة الفتح رقم السورة ٤٨، وعدد آياتها ٢٩.

(٥) وَطِفَ السحاب: تدلَّت ذيوله، ووَطِفَ المطر: انهمر. وفي البيت كناية عن غزارة العلم المستوهب من كتاب الله فهو مثل هطل السحاب.

(٦) كلمة الملأين: مثنى الملأ، والملأ الجماعة، والكلمة على التثنية مصطلح يقصد به الإنس والجن، والإنس والملائكة. أنواؤه: مطره الشديد.

الله أكبر يا لشيخ سمائل ... فلقد وقفت العلم حيث تشاؤه
أنت الأصوليّ الوحيد وهذه ... غرر الوجود بها استنار فضاؤه
أسفار علم بل سفور إرادة ... عظم المقام بها فعز كفاؤه
طلعت بها أقمار قدس بيضت ... تاريخنا فزهى به أبناؤه
فالله يرعى فيك يا ابن جميّل ... ما تحت سمتك إنها آلاؤه
وينيلك الفوز العظيم بيوم لا ... مال ولا ولد يفيد وقاؤه
ويثيبك الفردوس حيث المصطفى ... والآل والصحب الكرام إزاؤه
فإذا نشقت عبيرها متضوعا ... يزجي الصلاة على الرسول زكاؤه
فافضض ختام المسك حول محمد ... عيشاً يطيب على الدوام هناؤه

* * * * *

(٢) أبا داود[١]
الأخ سليمان بن محمد السالمي دمت في خير[٢]

لتهنأ أبا داود إذ نلتَ في العُلاَ ... من الدهر حظَّ العبقريِّ المُهَذَّبِ
فأنت أصيل المجد غذته نعمة ... فوسَّع فيها خطوة المتصلب[٣]
سليمان يا بن السالمي متى أرى ... محياك لو في غمضة من تغيب
تروح وتغدو في دمشق وريفها ... هصوراً على غيل[٤]من الفخر معشب
فلله ما أحلى دمشق طبيعة ... وأكرمها قوماً على كل يعربي
وأحلى رياض الغوطتين تخطها ... يدا بردى في أسطر لم تعرّب
كأن نسيم الغوطتين سحيرة ... تدافع أنفاس الحبيب بمرقب
كان شذاها عرف غيد نواعم ... تهادين في عرس لأحور أشنب[٥]
كأن ظباها في الرياض رواتعا ... دُمَى تترامى بين لاه ومعجب
كأن أهازيج البلابل فوقها ... ترنم أعواد على كف مطرب

---

(١) راجعتها طبقا لديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢)الشيخ سليمان بن محمد السالمي، والده الشيخ شيبة الحمد محمد بن عبدالله السالمي العالم الأديب المؤرخ صاحب كتاب نهضة الأعيان بحرية عمان، وجده هو الإمام نور الدين عبدالله بن حميد بن سُلُوم السالمي.

(٣) المتصلب المتشدد في رأيه لكن الشاعر هنا قد يعني ذا العزيمة الصلبة.

(٤) الغيل: موضع الأسد. وهو كذلك الماء الجاري على وجه الأَرض. وفي البيت ثناء على مجد الممدوح وعمق أثره في الحياة حيث وصفه بالمعشب.

(٥) الغيد جمع غيداء وهي المرأة الرشيقة. والغادة من الفتيات الناعمة اللينة. والأحور: من اشْتَدَّ بَيَاضُ بَيَاضِ عَيْنَيْهِ وسَوَادِ سَوَادِهِمَا. والأشنبُ فاعل من شَنِبَ وهو حَسَنُ الأسنان أبيضها.

كـأن ميـاه النهر تحت شعاعها ... أسارير وجه من حبيب محجّب
فلله در الغوطتين ودر من ... رعى بهما سرح النجار المطيب[١]
فإن تكُ قَدْحَ الزند شوقاً لوجهها ... فكافيك منها زَوْرَ طيف محبب[٢]
وإن تُلْفِ منها نظرة عن تعمُّد ... فحسبك منها خلة لم تجنب
وإن نلت منها زورة بعد غفوة ... فنلت منالا رغم لاح مؤنب[٣]
وإن رمت منها قبلة فتسامحت ... فذلك أقصى بغية المتطلب
ففض ختام المسك عن خمر ريقها ... لتشرب شهد الحب من خير مشرب

* * * * *

(١) النجار المطيّب: الأصل والحسب الشريف.

(٢) الزند: العودُ الذي تُقدحُ به النَّارُ. وعبارة (قدح الزند) في البيت تعني اشتداد لهيب الشوق في نفس المشوق.

(٣) لفظة (فنلت منالا) وردت في ديوان وحي العبقرية المطبوع: (فَقَدْكَ منالا) وشُرِحَ معنى (فَقَدْكَ) في الحاشية بأنه اسم فعل بمعنى يكفيك.

(٣) روضة الأدب[١]

في روضة الأُنْسِ أمْ في روضةِ الأَدَبِ في رَوْضَةِ المَجْدِ أمْ في رَوْضَةِ الحَسَبِ

(١) راجعت هذه القصيدة طبقا لديون وحي العبقرية المطبوع. وفيها يكتب أمير البيان عن المنتدى الأدبي الذي أقامه صديقه الشاعر الشيخ صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة السابق في مصر بعد نفيه إليها. ويظهر من مضمونها أن أمير البيان حضر بعض لقاءات ذلك المنتدى، إذ هو يتحدث عن روضة أدب ممجدة بأمجاد الحسيب النسيب، وهو بلا شك الشيخ صقر بن سلطان:

في روضة الأنس أم في روضة الأدبِ في روضة المجد أم في روضة الحسبِ
في روضة العرف والعرفان حافلة بسادة من كرام الخيم والنسبِ
أطلقت فيها عنان الشعر يمرح في روض الخيال إلى التحقيق عن كثبِ

ثم يذكر بعض أشهر رواد ذلك المنتدى، فيقول:

وفتية كبدور التَّمِّ زُرْتَهُمُ وللظلام أهازيج بلا صخبِ
جاذبتهم ثَمَّ أطراف الحديث بِهِ فلم أفق من تعاطي أكؤس الأدبِ
صقرٌ ومن لي بصقرٍ عند نازلةٍ يَصْفَرُّ منها جبين الفارس الدَّرِبِ
والصَّيْرَفِيَّ وهل أنسى فصاحتُهُ وللوكيل حديثٌ غير مقتضبِ
من لي بهم أسْتَدِرَ الفكرَ أشطره وأُنْشِطُ الوعيَ من عَيٍّ ومن نصبِ

وما يدل على حضور أمير البيان منتدى صديقه الشيخ صقر في القاهرة قوله: "وفتية كبدور التَّمِّ زُرْتَهُمُ"، وفي قوله: "والصَّيْرَفِيَّ وهل أنسى فصاحتُهُ". فالصيرفي والوكيل هما من روّاد منتدى الشيخ صقر، وسيأتي التعريف بهما في حاشية البيت الذي تضمن ذكرهما. ثم يتوجه أمير البيان بخطابه إلى الشعب المصري، لافتا انتباه رجاله إلى قدر الشيخ صقر الذي حل مقيما بينهم، وهذا لا يكون من المرء إلا للشخص الذي يكن له من المحبة والإجلال ما يكنه، ويعرف من قدره ورتبته ما يعرف:

بني الكنانة ضيفٌ حلَّ ساحتكم مُوَلَّهُ القلب في شعر وفي خطب
يستمرئُ العيشَ حلواً في ربوعكمُ ويمتري الفكرَ ضرْعاً زاكي الحَلَبِ
ويبعث الشعرَ في الآفاق تزجره آيُ البيانِ بِموّالٍ لها طَرِبِ

في روضة العرف والعرفان حافلة ... بسادة من كرام الخيم والنسب[١]
أطلقت فيها عنان الشعر يمرح في ... روض الخيال إلى التحقيق عن كثب
وبتَّ ترعى النجومَ وهي والهةٌ ... والبدرُ جاثٍ على عرشٍ من الذهب
والليل يسحب خلف النور طرَّته[٢] ... والنور يختال بين الأنس والطرب
وفتية كبدور التَّمِّ زرتهم ... وللظلام أهازيج بلا صخب[٣]
والكهرباء عليه عقد غانية ... من سادة الزنج لا من سادة العرب
جاذبتهم ثَمَّ أطراف الحديث به ... فلم أفق من تعاطي أكؤس الأدب
صقرٌ[٤] ومن لي بصقرٍ عند نازلةٍ ... يصفرُّ منها جبين الفارس الذرب
والصيرفي وهل أنسى فصاحته ... وللوكيل حديث غير مقتضب[٥]

(١) الخِيْمُ: الشيمَة والطبيعة والخُلُق والسجية. كرام الخيم والنسب: المتصفون بمكارم الأخلاق وشريف النسب.

(٢) طرة الليل: طرفه.

(٣) بدور التم: تشبيه بالقمر ليلة استنارة قرصه كاملا.

(٤) صقر: هو الشيخ صقر بن محمد القاسمي ذلك الأمير الشاعر.

(٥) الصَّيْرَفِيّ: هو الشاعر حسن كامل الصيرفي. الوكيل: هو الشاعر: العوضي الوكيل، كلاهما من روّاد منتدى الشاعر الشيخ صقر القاسمي، ومن أصدقائه المقربين، فقد حَوَى الجزءان الثاني والثالث من كتاب: (الشاعر الشيخ صقر بن سلطان القاسمي، الأعمال الشعرية الكاملة، تحقيق ميسون صقر القاسمي)، قصائد من الشيخ صقر إليهما ومنهما إليه. ولكن المحققة لم تسعفنا بتعريف عنهما، ولا عن شخصيات أدبية وفكرية عربية كبيرة ورد في الكتاب شيء من مساهماتها. والأعجب أن نجد في ديوان الشيخ عبدالله الخليلي قصيدتين موجهتين منه للشيخ صقر أولاهما هذه والثانية بعنوان: روض الإخاء، بما عكستاه من عمق الصلة بينه وبين الشيخ صقر ثم لا نجد واحدة منهما في كتاب (الأعمال الشعرية الكاملة للشيخ صقر)، مع ما حفل به الكتاب من قصائد متبادلة بينه وبين شخصيات شعرية واجتماعية وسياسية إماراتية وسعودية وبحرينية وكويتية ولبنانية وسورية ومصرية وعمانية كذلك مثل شيبة الحمد الشيخ محمد بن عبدالله السالمي حيث وجه الشيخ صقر قصيدة إليه تجدها في الجزء الأول من أعماله الشعرية

الكاملة ص١٢٤، وهي قصيدة عظيمة طويلة أقتطف منها للقارئ الأبيات التالية التي امتزج فيها روح الإخاء بروح الإنتماء إلى عمان التاريخية وحب وحدتها، يقول الشيخ صقر:

ألمْ تَـدْرِ أني كلمـــا هَبَّتِ الصَّبا ... شـجَانيَ من رَيَّـا جنـابِكَ مَنْـــدِلُ
وإنْ جاءني منك الكتابُ وضعتُهُ ... على الصدر كي يشفى الفؤاد فيعقلُ
فثق بي مُحِبًّا لا يحـــولُ لحـــادثٍ ... وليس سوى ما بالضمـير المُعَـوَّلُ
وبلّـغ تحيـاتي الإمـامَ وقـــل لـه ... ألا صدّقِ الظنَّ الـذي فيـكَ نأملُ
إلامَ عُمَـانٌ والخطـوبُ تنُـوشُـهُ ... يظلُّ على هذا الشقـاقِ ويُخْذَلُ
أيَدْعُـوا فلا تُؤْسَـى جراحـات قلبه ... ويفْتِكُ داءُ الجهـل فيـه ويُهْمَلُ
إلامَ، وما للجهـــــل إلا ربُوعُنـا ... منـاخٌ، وحتَّـامَ الفقـيـرُ يُقَـتَّـــلُ
وتَجْمَعُ شملَ الشرق والغرب رايـةٌ ... ويفْصِلُها عنـا خيـــالٌ مُضَـلِّلُ
ويلْتَفُّ شملُ الشرقِ إلا عُمَـانـه ... أبى أنْ يُـرَى فَـــرْداً عليـه يُعَـوَّلُ

كما نجد في الجزء الثاني ص٩٣١ قصيدة من خمسة أبيات وجهها الشيخ صقر للشيخ القاضي أبي سرور حميد بن عبدالله الجامعي. ونجد في الجزء الأول ص٢٣٢، قصيدة بعنوان: وطني منبت الكرام، ألقاها الشيخ صقر سنة ١٣٦٨هـ/١٩٤٧م في المدرسة القاسمية بالشارقة بين يدي الشيخ سليمان بن حمير النبهاني أثناء زيارة له للشارقة زمن حكم الشيخ سلطان بن صقر والد الشاعر الشيخ صقر بن سلطان، والقصيدة كسائر شعر الشيخ صقر جزلة اللغة، عالية النظم، متينة السبك، بالغة المعنى، ومما جاء فيها قوله:

وطنـي منبت الكـرام عمـانٌ ... وغيـاثُ المنكوب من كل بُؤسِ
عـربي نمي لقحطان ذي الفخـ ... ـرِ، ونُجّـي من كل وغـدٍ أخَسّ
تَوَّجَتْ عَرْشَه اليعاربة الصيـ ... ـــدُ، وباهى بيومـــه وبأمسِ
قف بنزوى وانْظر هناك بنـاءَ ... "يَتَجَلَّى كصنـع جـنٍّ لأنْسِ
ثم يَمِّمْ بالسَّـير قلعـة نَخْـلٍ ... مربط الصافنات من خير جنس
أرجفت من صهيلها الهند والصيـ ... ـن وأنْكَتْ بالبرتغـال وفُـرسِ
أمَّـةٌ شـادت الفخـار لتبقى ... "بكمـاةٍ لـدى المكاره حُمسِ"
يا سليل الملوك من آل نبهـا ... ن، هم الناشئون من خير غرسِ
إنَّ يومـــا شرَّفْتَ فيـه ليـومٌ ... جـادَ فيه الزمـانُ من بعد يأسِ

وهذه القصيدة وإن كان الشيخ صقر قد ألقاها في حضرة الشيخ سليمان بن حمير إلاَّ أنه استحضر فيها التواصل الشعري والشعوري بينه وبين أمير البيان، ذلك أن الشيخ صقر نظمها

من لي بهم أستدر الفكر أشطره[١] وأنشط الوعيَ من عَيٍّ ومن نصب
من لي بهم والليالي ما أَشَحّ وما أقسى وشُحُّ الليالي مبعث العطب
بني الكنانة ضيف حل ساحتكم[٢] مُوَلَّه القلب في شعر وفي خطب
يستمرئُ العيشَ حلواً في ربوعكم ويمتري الفكر ضرعاً زاكي الحلب[٣]
ويبعثُ الشعرَ في الآفاق تزجره آيُ البيان بموّالٍ لها طَرِبِ[٤]
سرى يناجي الخيال في مسارحه بين الفضيلة والآداب والكتب

على غرار قصيدة سينية للشيخ عبدالله عنوانها: نَبْأَتَا زنجبار، موجودة في ديوانه: الخيال الوافر، ومطلعها: (خلّياني على عصارة حسي ... أحتسيها آنا وآنا أحسّي). ومطلع قصيدة الشيخ صقر هو: (نَحِّ عني المُدامَ تفديكَ نفسي ... فمُدامي أضْحَى عُصارةَ حِسّي). لقد كان مثيرا أن تحفل الأعمال الشعرية الكاملة للشيخ صقر بكل ذلك، وتغيب عنها بدائع أمير البيان الذي أظهرت قصائده في الشيخ صقر ما بين الرجلين من إخاء حميم. لكن لعل قصائد الشيخ عبدالله ضاعت ضمن ما ضاع من القصائد التي أشارت إليها المحققة في مقدمتها في الجزء الأول ص١٨-١٩ حيث ذكرت أن والدها كان جمع جميع أوراقه وكانت عبارة عن قصاصات أوراق، وجذاذات صحف وما أشبهها، وذهب بها إلى لبنان كي يطبعها هناك، واجتمع لها بعض أصدقائه ليوم كامل يعملون على توضيبها للنشر، وعند انتهائهم منها في آخر الليل تركوها على الطاولة كي يواصلوا العمل فيها في اليوم التالي، ولكن الخادمة عندما حضرت في الصباح الباكر حسبتها من المهملات فأخذتها وأحرقتها.

(١) أستدر الفكر أشطره: أي أمتري خلاصات الفكر. ومثلها قول البلغاء: حلَب الدَّهرَ أَشطُرَهُ: أي جرّب الدهر خيره وشرّه.

(٢) الكنانة: مصر، التي حل فيها الشيخ صقر القاسمي بعد أن نفي من بلاده بعد محاولته الفاشلة لاسترداد حكمه لإمارة الشارقة.

(٣) يستمرئ: من استمرأ الطَّعامَ وغيرَه أي وجده طيبا مستساغًا. ويمتري الشيء يستخرجه.

(٤) الموّالُ: المَوَّال نوع من الشعر ارتبط بالألحان الغنائية. يُرْجِعُ بعضُ الدارسين نشأته إلى العصر العباسي، ويعتبره آخرون فناً جديدا من الفنون الشعريّة المستحدثة، ظهر بين الطبقات الشعبيّة في بلاد المشرق الإسلاميّ في إطار التجديد والتطوير في نظام القصيدة العربيّة الموروثة من حيث وحدة قافيتها، طلبًا للسهولة والسيرورة بين عامّة الناس تأليفا وغناءً وسماعًا، ويُغَنّى الموّالُ عادة في صحبة ناي أو ربابة.

يصوغ منه القوافي ثم يسبكها ... في قالب جلَّ عن لهو وعن لعب
كأنما في معانيها الحياة وما ... تحوي الحياة من الإعجاب والعجب
مهلا خليلي فالدنيا مغامرة ... والعقل أنفذ من سهم إلى سبب
فهل ألام على حال منيت بها ... ما زلت ألمس فيها كل منقلب
إذا تَأَوَّهْتُ فالشقراء داهيتي ... وإنْ تَغَزَّلْتُ فالسمراء بنت أبي
أرضُ الأبُوَّةِ ما أزكى بنوتها ... في منبت الضاد بين البيض واليلب[١]
تَرَبَّعَتْ فوق هام النجم خاضعة ... لها العوالم بين السلب والسلب[٢]
أرض العروبة والإسلام شرفها ... حتى تعالت على العلياء والقبب
تلذذت بنقيع الموت فيه فلم ... تخفق لها راية في الحرب والحرب[٣]
وأقبلت تأكل الأبطال في نهم ... والحق يصرعها في سورة الغضب[٤]
كأنما هي قسطاس[٥] إذا حكمت ... لا تعرف الميل في قربى ولا نسب
كأنها زمر الآساد إن حملت ... لا تعرف العجز عن مستصعب الطلب
تلك المكارم فالدنيا وزخرفها ... في جنبها كشعيرات على الذنب
هيا بنا في خطاها كي نطل على ... هذي البسيطة رغم الطامع الذرب
فنحن أولى بها إذ أننا عرب ... ونحن إخوان خير الرسل عن كثب
والله يحفظ ماضينا وحاضرنا ... حفظ البُنُوَّة في أبنائها النجب
ويقتنينا لأخذ الثأر إن ثأرت ... منا يهود وكانت شامة الركب
والحمد لله قدسياً يضوع به ... مسك الختام بأنفاس من الأرب

(١) البيض: السيوف. واليَلَبُ: دروع يلبسها المقاتلون على رؤوسهم.
(٢) السلب الأولى بسكون اللام بمعنى الأخذ بالغلبة والقهر أو الاختلاس، والسلب الثانية بفتح اللام الشيء المأخوذ وتعني السلاح والعتاد الذي يستولي عليه جيش منتصر من جيش مهزوم.
(٣) نقيع الموت كثيرُه، مأخوذة من نَقَعَ الموتُ: إذا كَثُرَ. والحرب الأولى بسكون الراء هي المواجهة المسلحة بين جيشين، والحرب الثانية بفتح الراء هي القتل الذي يستحر في المواجهة.
(٤) سَوْرَةُ الغضب: شِدّتُه.
(٥) القسطاس: ميزانٌ دقيق، يعتبر أضبط الموازين وأقْومَها، ويُعبَّر به عن العدالة.

(٤) الحب العميق[١]

بعث بها في رسالة إلى فضيلة الشيخ العلامة الفقيه أبي إسحاق إبراهيم اطفيَّش رحمه الله

إنَّ بين الضلوع حُبًّا عَمِيْقاً ... لكَ يا صَفْوَةَ الكرامِ الصِّيْدِ[٢]
في أمان كأنها الآي تشفي ... كل صدر لصادق التوحيد
في قواف كأنها الدر في سمـ ... ـط نضار على نحور الغيد[٣]
صمدت تعبر الفضاء إلى عر ... ش من المجد بالجلال مشيد
تتغنى بملء فيها لتغنى ... بمناها على مقام الرشيد
وتنادي: يحيى كريما أبو إسـ ... ـحاق فوق العلياء والتسويد
أنت للعلم أمه وأبوه ... ولقطب العلوم خير حفيد
فاحْيَ للعلم مجمعاً ولأهليـ ... ـه جَمُوعاً ومفزعاً للوجود
وتسلم رسالتي في سلام ... مثل نشر الرُّبا وزهر الورود
وانتشق بين نحرها والتراقي ... مسك ختم يحيي طعين القدود

* * * * *

(١) راجعتها طبقا لديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) الصِّيدُ واحدُهُ الأَصْيَد: وهو المَلِك.

(٣) السِّمْطُ الخَيْطُ الذي تنتظم فيه الجواهر. والنُضارُ: الذهبُ. والنحور: الصدور. والغِيد جمع غيداء وهي المرأة الناعمة اللينة وقد تغايدت في مشيها أي تثنّت. ولفظة غيداء مأخوذة من الغَيَد وهي النعومة.

(٥) لحن الحب[١]

إلى أبي سرور حميد بن عبدالله الجامعي[٢]

حميد بن عبد الله ألف تحيةٍ ... تغاديكَ بالريحانِ مِمَّنْ تَودُّهُ
وتأتيك بالذكرى إذا هوّم الكرى ... وبالشوق إن أعْيَا عن الوصل بُعْدُهُ
تلامس حوليك الزهور سحيرة ... فينبعث العطر الذي طال فقده
فلو كنتُ للمسرى جناحاً لطائر ... لطرتُ بأفق لا يخونك وعده
تُحَيِّيْ على أفنان طيبة صادحا ... يردد لحن الحب وهو يهده
به منك ما منه بك الدهر والهوى ... تبادل أشواق وإن لذ سعده
يبيت له طيف لديك وإن نأى ... ويغدو خيالا قد تفتح ورده
ويلمس من حبات قلبك حرها ... فيبردها بين الجوانح برده
فعانقه بين الطل والورد باكياً ... على كتفيه يعذب الثغر شهده
وسل من قضى بالبين أن يجعل النوى ... وصالا به يحلو لنفسك ورده
لتنهل منه بعد غل فترتوي ... كما تشتهي والدهر قد نام سهده
فإن النوى شوط يلذ به اللقا ... كما لذ نفح الختم قد فاح نده

---

(١) راجعتها طبقا لديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) أبو سرور: حميد بن عبدالله بن حميد بن سرور الجامعي قاض وشاعر. ولد في منتصف العقد السادس من القرن الرابع عشر الهجري بالمحلة القديمة بولاية سمائل، ونشأ بها، وتتلمذ على علمائها. بدأ يقول الشعر منذ أن بلغ الرابعة عشر من عمره. عمل مدرساً للنحو والفقه والحديث منذ العام ١٩٦٧م في المضيبي أولا ثم في سمائل. وفي ١٩٧٣/١/١م عُيّنَ قاضيا، وتدرج في درجات القضاء حتى كان أخر منصب شغله قاض بالمحكمة العليا. له مؤلفات في الفقه واللغة. وله في الشعر: ديوان أبي سرور في أربعة مجلدات. للمزيد من المعرفة عنه أنظر ديوان أبي سرور، مكتبة الفردوس، سمائل، عُمَان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، وضعت الترجمة في ذيل المجلد الأول بعد ص ٥١٥. وانظر أيضا معجم القضاة العمانيين، تأليف الدكتور عبدالله بن راشد السيابي، الجزء الأول ص١٣٥.

(٦) روض الإخاء[١]

بعث بها إلى صديقه الشيخ صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة

(١) راجعت هذه القصيدة طبقا لديوان وحي العبقرية المطبوع. قدم أمير البيان لهذه القصيدة بقوله: "بعث بها إلى صديقه الشيخ صقر بن سلطان القاسمي حاكم الشارقة". ويُفْهَمُ من هذه العبارة، ومن ثنايا القصيدة أنه كتبها رداً على ما تلقَّاهُ من الشيخ صقر، وكأنه أهدى إليه نسخة من ديوانه: الفواغي. يتأكد ذلك من مطلع القصيدة حيث يقول:

روضٌ يَنِمّ بِسِرّهِ الزَّهْرُ ... فكأنَّه الرُّقَبَاءُ والسِّرُّ
روضٌ من الآداب أخْضَلَهُ ... فكرٌ وأيْنَعَ زَهْرَهُ فِكْرُ

ثم يُضَمِّنُ عنوان الديوان (الفواغي) في البيت الثالث بقوله:

روضٌ يفوحُ من السلام بِهِ ... عَرْفٌ ويَفْغِي بالثنا زَهْرُ

ثم يأخذ في الحديث عن محتوى الديوان، فيقول:

يا صقر أذهلني بيانك إذ ... شاهدته وكأنه السحر
ورأيت شعرك في نضارته ... يزهو فقلت ليهنك الشعر
فيه العروبة في حقيقتها ... والوعي والتاريخ والخبر
رقت معانيه وراق به ... حلب البيان كأنه الخمر
فترى النسيب يرق فيه ندى ... كالماء جَوْهَرَ لَوْنَهُ الصَّخْرُ

ثم يتطرق أمير البيان إلى شأن من شؤون الأسرة القاسمية الحاكمة لإمارة الشارقة، وما وقع بين الأمير الشاعر الشيخ صقر بن سلطان بن صقر، وابني عمه خالد وسلطان ابني محمد بن صقر، بما يشير إلى عمق التواصل بين الرجلين، وصدق إخائهما، ولربما كان الشيخ صقر يعرض على أمير البيان ما يعترضه من تحديات، ويطلب نصيحته، تأمل ذلك في الأبيات التالية:

ثم تناول محاولة الشيخ صقر استرداد حكمه من أبناء عمه في قوله:

يا صقر قد أسمعت ذا أذن ... ما لم يكن في سمعها وقر
إني حلبت الدهر أشطره ... حتى انثنيت وما له شطر
وبلوته أخلاقه فإذا ... أخلاقه التمويه والكبر
عفواً أُخَيَّ على مطارحةٍ ... جاءت بما يطوي به الصدر
يا صقرُ أنت الصقر هَيَّجَهُ ... دون الطَّريدةِ قانِصٌ غِرُّ.

وفي البيت تسلية وتسرية للشيخ صقر، ونصحٌ بأن لا يجاري ما اقترفه ابن عمه، فقد يكون ذلك

روضٌ يَنِمُّ بِسِرِّهِ الزَّهْرُ فكأنَّهُ الرُّقَبَاءُ والسِّرُّ
روض من الآداب أخضله فكر وأينع زهره فكر
روض يفوح من السلام به عرف ويفغي بالثنا زهر[١]
تزجيه أنفاس يضوع بها أرج التحية شابه الشكر[٢]
ما إنْ تمشى تحت رقته إلا وهش لطيبه الصقر
يا صقر أنت على البُعَاد أخٌ يدنيك صيتك والهوى الحر

نتج منه عن قلة خبرة وتجربة بحيث رضيَ لنفسه أن يتقحم على من لا يجوز له التقحم عليه. ثم يصف محاولة الشيخ صقر لاسترداد عرش حكمه المُنْتَزَع فيقول:

فَانْقَضَّ يَخْتِلُهُ على حَنَقٍ وبقلبه من غَيْظِه جَمْرُ.

مُبَيّناً أن ما حَرَّكَ الشيخ صقر إلى ذلك هو ما يلتهب في صدره من الغيظ على ما صدر بحقه من ذي رحمه. ثم يطلب منه أن يرضى بالواقع حيث آل الحكم إلى الشيخ سلطان بن محمد (الحاكم الحالي للشارقة):

فَافْخَرْ بسلطانٍ وأُسْرته ولهم يحق بمثلكَ الفخرُ.

فإن كان الحكم آل بعدك لأبناء محمد بن صقر بن خالد، وأنت ابن سلطان بن صقر بن خالد، فهو لا يزال فيكم سلالة صقر بن خالد، وأيًّا كان الحاكم منكم ففخره لكم جميعا، كما كنت أنت فخرهم جميعا. وإجمالا فالقصيدة وإن تنوع الحديث فيها بين أكثر من موضوع مثل ديوان الشيخ صقر، وانتزاع الإمارة منه، ومحاولته استردادها، وفشل المحاولة، ونصيحة أمير البيان للشيخ صقر بتقبل أيلولة الحكم إلى ابن عمه الشيخ سلطان بن محمد، بجامع تحدر الإثنين من صقر بن خالد، ثم الحديث عن جزالة شعر الشيخ صقر، وما تنطوي عليه نفسه من إيمان بأمته وقضاياها، كل ذلك التعدد في الموضوعات شكل إطارا لبنية واحدة لحمتها وسداها حديث الأخ إلى أخيه. أخلص من هذا العرض الموجز لمضمون هذه القصيدة إلى تأكيد دهشتي من عدم تضمن ديوان الشيخ صقر لشيء من قصائد أمير البيان الذي تعدت مطارحاته مع صديقه الأمير القاسمي الإطار المألوف للمطارحات الشعرية بين الأدباء إلى أخص الشؤون الأسرية والمصيرية.

(١) فغا الشجر، يفغو ، فغوا: تفتح زهره.

(٢) أزجى الشَّيْءَ: دَفَعَهُ برِفْقٍ، وأزجى الشكر: قدّمه. الأرج: الطيب، وأرج التحية كناية عما تتركه التحية في نفس المُحَيّا من أثر معنوي ينشر طيب الخلق في النفوس.

يا صقر أنت الصقر هيجه ... دون الطريدة قانص غر
فانقض يختله على حنق ... وبقلبه من غيظه جمر
فافخر بسلطان وأسرته ... ولهم يحق بمثلك الفخر
مني إليك أخا العروبة ما ... يعيى لديه النظم والنثر
شكرا وتذكارا ومقربة ... عرباء ليس لفضها نكر
ألفيتها مختومة بيد ... بيضاء لم يمسس بها الدهر
ما كدت أقرؤها فأملك من ... نفسي الطموح وهكذا الذمر
والمرء يهوى من يشاكله ... والطبع فعال له قهر
وإذا الأديب مع الأديب جرى ... بهر العقول مداهما البُهْرُ[1]
وأنا الوثوق بأنَّ مثلك لا ... ينسى الأخوة طبعه البر
لكنها ذكرى مقدمة ... فيها الوفا والصفو والبشر
يا صقر أذهلني بيانك إذ ... شاهدته وكأنه السحر
ورأيت شعرك في نضارته ... يزهو فقلت ليهنك الشعر
فيه العروبة في حقيقتها ... والوعي والتاريخ والخبر
رقت معانيه وراق به ... حلب البيان كأنه الخمر
فترى النسيب يرق فيه ندى ... كالماء جَوْهَرَ لَوْنَهُ الصَّخْرُ
وترى البطولة وهي صامدة ... تمشي عليه كأنها النمر
ما إن وقفت عليه أقرؤه ... إلا وعدت كأن بي سكر
فكأنني مما يخيَّل لي ... حيران يختبط السرى غمر[2]
يا صقر قد أسمعت ذا أذن ... ما لم يكن في سمعها وقر

---

(١) البُهْرُ: الغَلَبَة، وما اتسع من الأَرض كذلك. وبهر أَقْرَانَهُ: غَلَبَهُمْ وفاقَهُمْ.

(٢) يختبط: يَتَحَرَّكُ دُونَ عَقْلٍ وَلاَ ضَابِطٍ، كَيْفَمَا اتَّفَقَ. السُّرى: سَيرُ الليل. الغمر: الغِرُّ الذي لَمْ يُجَرِّبِ الأُمُورَ.

يا صقر قد نبهت حسبك لو ... نبهت عمراً قل لها عمرو
لكنما أذنت في طلل ... ما فيه إلا الليث والصقر
من لي بمثلك إن وقفت على ... رمح السماك وموقفي وعر[١]
إني حلبت الدهر أشطره ... حتى انثنيت وما له شطر[٢]
وبلوته أخلاقه فإذا ... أخلاقه التمويه والكبر
وصحبته ثقة به زمنا ... حتى استبان بطبعه الختر[٣]
كم لي أجامله فيضحك لي ... لطفاً وملء إهابه مكر
وأبيت أحذره فيلطف بي ... حتى أهب وليس لي حذر
يمتص فضل دمي ويرتع في ... لحمي الزكي كأنه النسر
ويظل مكتالا عليّ بما ... يرضى وفيما كالني الخسر
أعليّ إن كافأت كيلته ... بصواعه في حقه غدر
والله عند المتقين يدا ... ما كان في مرضاته الأمر
عفواً أُخَيَّ على مطارحة ... جاءت بما يطوي به الصدر
جاشت بها نفس إذا شهدت ... صرح الإباء طغى بها المهر[٤]
رضعت لبان الشعر مذ نشأت ... فغدت وتحت خيالها بحر
وعليك مني في الختام ثنا ... كالروض باكر زهره القطر

* * * * *

(١) السِّمَاك هو أحد نجمين، يُسمى أحدهما السِّمَاك الأعزل والآخر السِّماكُ الرامِحُ. والشيخ بهذا يشير إلى علو مرتبة صديقه.
(٢) حلب الدَّهْرُ أشْطُرَهُ: جَرَّبَ أمُورَهُ خَيْرَها وَشَرَّهَا.
(٣) خَتَرَتْ نَفْسُهُ: فَسَدَتْ، خَبُثَتْ. خَتَرَ صَاحِبَهُ: غَدَرَ بِهِ أقْبَحَ الْغَدْرِ.
(٤) المُهْرُ: ثمرُ الحَنْظَل.

(٧) تحية الإخاء[١]

مطالع يجلوها الهنا ويُنِيْرُ ... لأقمارِ تَمٍّ بالجلالِ تُنِيْرُ
مطالع فيها للسرور مجالس ... تنوء بأسرار الرضا وتنور
مطالع أنس يدعم الفضل أسها ... ويجلي بها العرفان وهو سرور
شرفنا بها لما تجلت بدورها ... علينا وأكواب السرور تدور
وقمنا نحييها تحية وامق ... مشوق أتاه باللقاء بشير[٢]
يضيء علينا نورها متبلجا ... فيشرق منه أفقنا وينور
مطالع أشياخ كرام أعزة ... علينا وهم في العالمين بدور
أقول لِطَنُّون وكلي مسامع ... لك الخير شنفنا فأنت قدير[٣]
وعبدالمعز العبقري بقدحه المـ ... ـعلّ رعاك الله أين تسير[٤]
لقد أبهجتني زورة عَالِمِيَّة ... جلوتم محياها ففاح عبير[٥]
فلا تَلُمَاني إن سحبت معاطفي ... ونافرت أهل الأرض حيث أسير[٦]

---

(١) راجعتها طبقا لديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) الوامق المحب.

(٣) طَنُّون: عالم ومفكر سوداني جليل هو الشيخ حسن طنون رحمه الله. زار عمان سنة ١٩٧٤م، وألقى محاضرات في عدد من الأماكن في السلطنة كان من بينها معهد الدراسات الإسلامية بالوطية، وكان محقق هذا الديوان حاضرا بصفته طالبا من طلاب المعهد يومئذ.

(٤) عبدالمعز عالم مصري جليل اسمه عبدالمعز عبد الستار من علماء الأزهر الشريف، زار عمان في تلك الفترة أيضا وألقى محاضرات كان لمعهد الدراسات الإسلامية بالوطية نصيبه منها. جدير بالذكر أن الشيخ العلامة يوسف القرضاوي مصهر إلى الشيخ عبدالمعز عبدالستار، وكلاهما استوطن دولة قطر.

(٥) عالِمِيَّة: نسبة إلى العالِمَيْن: حسن طنون وعبدالمعز عبدالستار..

(٦) نافرتُ فاخرتُ.

فتلك لعمري حُلة حاكها العلا ... فألبسنيها والمطارف نور
لقد زرتماني والربيع محلق ... علينا وآفاق الوجود حبور
ربيعان هذا كل عام يزورنا ... وهذا على مر العصور يزور
فكم بين مبذول يسيرٌ لقاؤه ... وآخر ممنوع اللقاء عسير
فلا تحرمونا ما حيينا تلاقيا ... يصير مع السمحاء حيث تصير
تباركه لله عينٌ حفية ... بنا وولِيُّ الله ليس يبور
وتحفظه من مولد المصطفى يَدٌ ... تغادر حزب الشرك وهو شطور
وتحفظكم أنَّى تَمَطَّتْ ركابكم ... يسير بها التوفيق حيث يسير
وأختم قولي والتحية مسكه ... يضوع بأنفاس الصبا ويطير

* * * * *

(٨) الدهر الفظ[١]

بعث بها إلى صديقه الأديب العبقري أحمد بن عبد الله الحارثي شاعر الشرقية[٢]

ما لهذا الدهر فظا ... قاسي القلب غليظا
كلما رقت قلوب ... للرضا بات مغيظا[٣]
وإذا ما نال حر ... منية فاظ فيوظا[٤]
وإذا ما شاء شأوًا ... قاظ بالحقد قيوظا[٥]
هكذا الدهر فأحْدِرْ ... أو فأصعدها حظوظا

(١) وردتْ هذه القصيدة أيضا في ديوان الخيال الوافر فحذفتها من هناك وأثبتها هنا. وراجعتها طبقا لديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) الشيخ أحمد بن عبدالله بن أحمد بن صالح بن علي الحارثي، أديب وشاعر كبير، كُنِّيَ بأبي الحكم ولُقِّبَ بشاعر الشرق نسبة لسكناه في شرقية عمان. ولد في بلدة المضيرب بولاية القابل بين عامي ١٩٢٣م و١٩٢٨م. تَلَقَّى دراسته في المضيرب ونزوى على أيدي علماء عصره. عمل واليا في دولة الإمام محمد بن عبدالله الخليلي، وفي دولة السلطان سعيد بن تيمور. وعُيِّنَ في عهد السلطان قابوس بن سعيد وكيلا لوزارة شؤون الأراضي، ورئيسا لهيئة جمع المخطوطات العمانية، ثم مستشارا في الديوان السلطاني. قامت حفيدته الدكتورة جوخة بنت محمد بن خليفة الحارثية بجمع قصائده من مظانها المتفرقة ونشرتها في كتاب بعنوان: ديوان أبي الحكم. تتجلى فيه شاعريته المتقدة. تقول عنه بأنه كان شغوفا بالشعر والفقه والتفسير، وأنَّ من أعماله غير المنشورة تفسير للقرآن الكريم وصل به حتى سورة الشعراء، وشرح غير مكتمل لنونية أبي مسلم. كما تذكر بأن مكتبة الضامري نشرت له قصيدة طويلة بعنوان: اليُسْرَى في إنقاذ سقطرى. توفي الشيخ أحمد في مسقط بعد معاناة مع المرض في ١٩٩٥/٩/٢٢. أنظر ديوان أبي الحكم، جمع وتحقيق جوخة الحارثي، نشر مركز الدراسات العمانية بجامعة السلطان قابوس، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م. ص١٩ وما بعدها.

(٣) المغيظ بفتح الميم اسم مفعول من غاظ المتعدي.

(٤) فاظ: بمعنى مات.

(٥) قاظ اليوم بالقاف اشتد حره وفيه معنى الاستعارة.

قـــلّ مـــن بـــات سـعـيـدا ... فـــي لـيـالـيـه حـظـيـظـا[١]
يـقـتـفـيـه الـــدهـــر عـونـا ... ويـــوافـــيـــه وشـــيـــظـــا[٢]
ويـــلاقـــي الـــدهـــر قـرنـا ... ثـــم يـلـقـيـه جـفـيـظـا[٣]
ولـــيـــال كـــم تـــوالـــت ... تـطـرح الـفـضـل لـفـيـظـا[٤]
لاحـــظ الـــدهـــرُ خـطـاهـا ... فـأتـى يـمـشـي لـحـيـظـا[٥]
وســـعـــى فـيـهـا مُـلِـظًّـا ... يـبـعـث الـحـرب عـظـوظـا[٦]
يـــرســـل الـنـظـرة تـيـهـا ... ويـثـنـيـهـا جُـحـوظـا[٧]
ولـــيـــال كـــم غـذونـا ... هـا الـوفـا لـكـن قـريـظـا
وســـقـــيـــنـــاهـــا مـــآقـــيـــ ... ـنـا فـوافـتـنـا نـشـوظـا[٨]
يـــا لـيـالـيـنـا ســلامـا ... يـتـــمـــلاك جـحـوظـا
فـي هـــوى لـــو كـنـت نـارا ... كـــان مـــن طـيـن شـقـيـظـا[٩]
فـاســجـدي طـوعـاً لـه أو ... غـــادري الـلـطـف مـغـيـظـا
يـــا أخـــي ســـاور لـيـالـيـ ... ـك ولا تـقـعـد كـظـيـظـا[١٠]
وكـــن الـــدهـــر لإخـــوا ... نـك مـا عـشـت حـفـيـظـا
وقـــل الـلـهـــم حـفـظـا ... إنـــــه كـــان حـفـيـظـا

---

(١) حظيظ أي ذو حَظٍّ من الرِّزق.

(٢) الوشيظ الدخيل في الناس ليس من صميمهم.

(٣) الجفيظ بالجيم القتيل.

(٤) اللفيظ المبتذل كالملفوظ.

(٥) اللحيظ: الشبيه.

(٦) العظوظ من العَظِّ: الشِّدَةُ في الحرب، وقد عَظَّتْه الحَرب بمعنى عَضَّته، وعظَّه الزمانُ: لغة في عضَّه.

(٧) الجحوظ: بضم الجيم خروج العينين ومنه سمي الجاحظ.

(٨) النشوظ نبات الشيء من أُرُومَتِه أَوّل ما يبدو حين يَصدع الأَرضَ

(٩) الشقيظ بالقاف: الفَخَّارُ.

(١٠) الكظيظ: المُغْتاظُ أَشدّ الغيظ؛

(٩) إلى البهلاني[١]

وجهها إلى الشاعر سالم بن سليمان البهلاني الرواحي سلاماً وتحية

ما أطمح الهمّ بين الوفر والشَّمَمِ ... وأكبح الهم بين الفقر والسَّقَمِ
ما أطمع النفس في النعماء لاهية ... وأقنع النفس بين الضعف والألم
ما أطول المرء مزهواً بجدته ... وأقصر المرء بين الشيب والهرم
ما أصدق القول وجه الله غايته ... وأكذب القول والدنيا على أمم
ما أبلغ الخط عين الحظ ترمقه ... واغلب الخط ملحوظاً من الخذم[٢]
ما أتعب الحر يرضي العقل عن شيم ... للنفس أو عنه يُرْضِها بلا سأم
تَبَايَنَا وهما صنوان فاختلفا ... فذاك أصل اختلاف الناس في الشيم
العقل يهدي لإحدى الحسنيين وفي ... كلتا الطريقين ما ينهار بالقدم

---

(١) راجعتها طبقا لديوان وحي العبقرية المطبوع. البهلاني: هو الشاعر الأديب سالم بن سليمان بن سالم بن عديّم البهلاني الرواحي، ولد في وادي محرم بولاية سمائل سنة ١٣٠٧هـ/١٨٩٠م، وتوفي بها سنة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م. نشأ في كنف عمه الشاعر العالم الشاعر ناصر بن سالم بن عديّم البهلاني الرواحي، وتلقى العلم على يديه. ثم اشتغل بالتدريس، كما عمل كاتبًا في دولة لإمام محمد بن عبدالله الخليلي، وفي دولة السلطان سعيد بن تيمور، وكذلك في عهد السلطان قابوس بن سعيد. ترجم له الشيخ محمد بن راشد الخصيبي في كتابه: شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، وأورد له عددًا من القصائد الشعرية في الجزء الثاني ص ١٥٦-١٧١.

(٢) الخَذَمُ، بتسكين الذال سرعة القطع. وبه سُمِّي السيفُ مِخْذَماً. فقول أمير البيان: وأغلب الخط ملحوظًا من الخَذَمِ حكاية عن تجانس المعنى بين الخط الحسن الذي يكون أثره بالغا في توصيل المعنى كبلاغة السيف في القطع. ولهذا كان الأقدمون يثنون على الكاتب البليغ فيقولون عنه بأنه من أرباب السيف والقلم. وسنجد أمير البيان يستدعي هذا المعنى في بيت تال وهو قوله:

لكن يذللها طوعاً لغايته ... من نصرة الله بين السيف والقلم

والنفس تلهو على تيار هاوية ... من شهوة عقدت في عاتق الندم
فأطعم العقل قوت العلم بالحكم ... وأرضع النفس ثدي الفضل بالهمم
وراع خِلَّكَ في صَرْمٍ وفي صلة ... فرب متصل في زيّ منصرم
وحمِّل النفس للإخوان طاقتها ... فإنه خير ما يأتيه ذو كرم
فإنْ أَرَتْكَ مساوي الغير ماثلة ... فاكشف لها عن مساويها كمنتقم
ما حرمت من كريم الطبع نافحة ... ولا اختفت عن لئيم الطبع في حرم
وخير أبناء هذا الدهر أنصفهم ... حقاً وأصدقهم في الفعل والكلم
والناس شتى فراضٍ باليسير غنى ... وغير راضٍ من العلياء بالقمم
لو جاءه الدهر بالدنيا مجوهرة ... لما ثَنَاه بها عن صولة العزم
لكن يذللها طوعاً لغايته ... من نصرة اللّٰه بين السيف والقلم
يروضها وهي كالعنقاء نافرة ... حتى تمكنه من ثغرة اللجم
وآخر بالهدى والعز والكرم ... يبتاعها صفقة مغبونة القيم
يغرُّه الجاه مكذوبا ويشغله ... قشر الحطام عن الألباب والحكم
فمن لعقلك أن يهوي به عَرَضٌ ... ومن لنفسك أن تهوي على وخم[1]
من راقب اللّٰه في سر وفي علن ... كان الموفق رغم الغَمّ والغُمَم[2]
ومن تحمَّلَ في الإخوان عِبْأهم ... كان المحبب في شحط وفي أمم[3]
فكن كما اسطعت في حلم وفي كرم ... تكن كما شئت في حرب وفي سلم

* * * * *

(١) الوَخَمُ: الضَّررُ.

(٢) الغمُّ: واحد الغُمُوم. وهو الكرب، والغُمَمُ واحدها غُمّة وهي فقدان المغموم للرؤية الصحيحة للأمور بسبب استيلاء الكروب على تفكيره.

(٣) عِبْأَهُم: من العِبْء وهو الحمل، وهو هنا ثقل المسؤولية. في شحط: في بُعد. في أمم: في قرب.

(١٠) لشيخ الشريعة[١]

بعث بها إلى شيخه العلامة خلفان بن جميِّل تقريظاً لكتبه الشرعية المذكورة في النظم[٢]

دعاني أقودُ عَنَانَ السَّمَا ... إلى الله أسعى به مُلْجَمَا
دعاني أطوف على الباقيا ... ت على الصالحات به ضيغما
دعاني مع الله في خلوتي ... وإن لم أكن ثم أهلا لما
أغادي محبته مؤمنا ... وأغدو بطاعته مُسْلِما
وألمس رحمته طامعا ... وألبس رضوانه مكرما
وأصبح في حبه مُنْجِدَا ... وأمسي بتحبيبه مُتْهِمَا[٣]
وأستنزل المَنَّ من جوده ... وألتمس الوصل والملزما
وأزدان في أعين الكائنا ... ت بأثوابه خلقاً قيما
وأنظر لكن بأعيانه ... وأمشي ولكن به مسهما
وأنقض ما تبرم الكائنا ... ت فهل لي نقض إذا أبرما
وأفتل ما تحكم الطارقا ... ت فهل ثم فتل لما أحكما

(١) راجعتها طبقا لديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) خلفان بن جميّل بن مهيّل السيابي، عالم فقيه مجتهد، وشاعر أديب، ولد في بلدة سيما بولاية إزكي سنة ١٣٠٨هـ/١٨٩١م، وتوفي سنة ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م. ترك عددا من الكتب هي: فصول الأصول، ومنظومة جلاء العمى في أحكام الدما، وكتاب بهجة المجالس، وكتاب سلك الدرر. للمزيد أنظر معجم شعراء الإباضية، الترجمة رقم ٧٩، ص ٨٤ وما بعدها.

(٣) منجدا: اتجه إلى نجد. متهما: اتجه إلى تهامة.

إلـهـي عـبـد أتـى خـائـفـاً ... تـسـح مـدامـعـه عَـنْـدَمـا[١]
رأى عظم بطشك بالحائدي ... ـن وقـد حـاد ظلما فما أظلما
فـإن تعف عنه ففضلا وإن ... تـعـاقـب فـعـدلا وقـد قـدما
ولـكـنـه لـم يـزل راجـيـا ... لفضلك رحـمـى فـمـا أرحـمـا
لشيخ الشريعة والمهتدى ... بـأنـواره أيـنـمـا يـمـمـا
تـحـيـة ذي مـقـة صـادق ... يـعـد مـحـبـتـكـم سـلـمـا[٢]
يـوالـيـك فـي الله مستصفيا ... ويـرعـاك فـي الله مستلزما
أخـلـفـان يـا قـمـر الـمـد لجيـ ... ـن سليل جُـمَـيِّـل مـا أعلما
جـمـعـت الـعـلـوم بـمـلـمـومة ... تُقَيِّدُ من هدينا السُّوَما[٣]
فـصـول الأصـول جـلا بهجة ... بسلك من الدر يجلو العمى[٤]
فـكـانـت لأهـل سـلـوك الـهـدى ... طـريـقـاً مـن الـنـور مـا أكـرمـا
وقـامـت لأربـابـهـا كعبة ... يـطـوف الـولـي بـهـا مغرما
ولاحـت تـجـاه الـصـفـا مـروة ... فـهـرول بـيـنـهـمـا مـحـرمـا
ولـمـا بـدت عـرفـات الـولا ... تـجـلى لـه مـا وراء الحمى
فـبـات بـمـزدلـفـات الـوفـا ... ونـال الـمـنـى فـي مِـنـى مغنما

(١) العندمُ: نباتٌ يستخرج منه صبغ أحمر يشبه الدم. واستخدمه أمير البيان هنا ليصف به الدمع كناية عن شدة التحرق.

(٢) المقة: المحبة.

(٣) الملمومة: مجموعة تآليف الشيخ خلفان. السُّوَم جمع تضعيف للسائمة وهي الماشية. والمقصود هنا مراشد الدين المبثوثة في كتب كثيرة متفرقة فجاء الشيخ خلفان بن جميّل فجمعها في كتبه.

(٤) ذكر الشيخ عبدالله في هذا البيت أربعة من مؤلفات الشيخ خلفان وهي: فصول الأصول، ومنظومة جلاء العمى في أحكام الدما، وكتاب بهجة المجالس، وكتاب سلك الدرر.

فرعيا له حين وافى الحطيـ ـم وسقيا له إذ أتى زمزما
أرى العلم في صحف الكائنا ت ضياء وأسفاره أنجما
وما العلم إلا منار الحيا ة فمن حاد عنه فما ألوما
ينال المراد به سالك ويعلو السها[1] من إليه انتمى
ولا شيء من مكرمات الوجو د سواه يدوم فما أعظما[2]
ولا شيء من حسنات الخلو د يضاهيه فضلا ولا أنعما
به نطقت ألسن الكائنا ت وأَصْغَتْ إليه متى رنَّما[3]
وفي وجهه قسمات الرضا تلوح فأكرم بمن أكرما
ينال به المرء من دينه ودنياه ما شاءه مكرما
وكم خَصَمَتْهُ بنات الغنى وشاحت بأوجهها ريثما[4]
فأقبل عنها على شأنه فعادت إليه تَسِحُّ الدِّما
فما كاد يبصرها لحظة فأكرم به واصلا مُصْرِما
تَرَفَّعَ عنها وعن عرشها وطار إلى الله مستسلما
فبات وطائفه في الجنا ن وأضحى وطائره في السما
وراح يرفرف فوق الكما ل ويشدو بألحانه معتما
فهشت إليه قلوب صَغَتْ سقتها المحبة كأس اللمى
تجلى بها الله مستحكما ونادى أنا الله مستقدما

(١) السُّها: كوكبٌ صَغيرٌ خَفيُّ الضوء في مجموعة كويكبات بناتِ نعش.
(٢) هذا البيت لم يرد في نسخة القصيدة الواردة في الديوان المطبوع لوحي العبقرية.
(٣) رَنَّمَ: رجَّعَ صوتَه متغنيا طربا.
(٤) بنات الغنى: النقود. في البيت ذكر لشأن المشتغل بالعلم فهو في أكثر الحالات من أقل الناس مالا لأن اهتمامه وسعيه منصب على تحصيل العلم دون سواه.

حَلَلْتُكَ حبا متى ضاق بي ... سمائي وأرضي فما ألزما[١]
فما ملكت أمرها حينذاك ... ولا عرفت نفسها حينما
فذابت غراما وسالت هوى ... وهامت فكان الهوى أهْيَمَا[٢]
فلابسها العلم في سيرها ... فكان الجناحين والمُحْتَمَى
فطاف بها ملكوت السما ... ء والأرض والعرش حتى سما
فحلق حتى تعالى بها ... إلى حضرة القدس فاستسلما
مقام تقاصر عنه الوجو ... د فكم سالك رامه فارتمى
ومقعد صدق لدى قادر ... مليك فأعظم بمن قدما
اقول لذي نُهْيَةٍ صالح ... كريم الفتوءة والمنتمى[٣]
أقام على العلم مُسْتَخْدَما ... فأصبح بالعلم مُسْتَخْدِما
وأنفق في جمعه عمره ... فجاء بتأليفه محكما
مواهب علم جلاها العلي ... م عقودا تهيم بها مَنْ ومَا[٤]
وأسرار لطف طواها اللطي ... ف بلطف خفي أتى ملهما
ففاض بها وعي إنسانها[٥] ... ضياء ونوراً فما أحكما

(١) البيت متضمن لمعنى حديث قدسي أن الله جل وعلا قال: ﴿ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن﴾. وبعض المشتغلين بعلم الحديث يقول بأن هذه العبارة من الإسرائيليات وليس لها إسناد معروف عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

(٢) أهيما: أشدّ هياما.

(٣) أقول لذي نهية: أي لذي عقل. الفتوءة: قد يردّها القارئ إلى الفَتى بمعنى الشابُّ من فَتِيَ يَفْتَى فتًى، فهو فتِيُّ السنّ. لكنها في البيت ليست بذلك المعنى إنما هي بمعنى الكامل الجَزْل من الرجال، قال أحد الشعراء: إنَّ الفَتى حَمّالُ كلِّ مُلِمَّةٍ ... ليسَ الفَتى بمُنَعَّمِ الشُّبَان. لسان العرب، مادة: فتا.

(٤) من؟ وما؟ اسْتفهاميتان من أدوات التحصيل المعرفي: فالسؤل بهما يُنْتِجُ علما. تأمَّلْ حاصل السؤال بهما على النحو التالي: من قال؟ وما قال؟ وما معنى ما قال؟ وما حظ ما قاله من الدليل؟

(٥) وَعْيُ إنسانها: بمعنى بصيرة العالِم وفهمه.

كـــأن صـحـائـفـهـا فـــي الـزمـا ... ن قـلائـد مـن جـوهـر نـظـمـا
إذا نـــثـرت فـهـي زهـــر الـرُّبـــا ... وإن نظمت فعقود الـدُّمـى[١]
وإن طـويـت فـهـي سـر الحيا ... ة وإن نشرت فهي نور الحمى
وإن تـلـيـت فـهـي نـعـم الـرقـى ... وإن مـلـيـت فـهـي ري الـظـمـا
لـقـد حـاكـهـا مـاهـر عـبـقـري ... وهـلـهـلـهـا[٢]قـبـل أن تلحما
فـجـاءت كموضونة[٣]من حديـ ... ـد على صدر ليث غدا معلما
ولاحـــت عـلـى غـرة الـنـيـريـ ... ـن[٤]فـمـا لبثت أن أنارتهما
وفاضت سماء على المشرقيـ ... ـن فما لبثت أن أغاثتهما
هـو الـعـلـم أعـــزز بـــه مانعا ... هـو الـعـلـم أكـــرم بـــه منعما
هـو الـعـلـم أحـكـم بـــه واقـفـا ... هـو الـعـلـم أعـظـم بـــه مقدما
هـو الـعـلـم أقـــدر بـــه مالكا ... هـو الـعـلـم أجـــدر بـــه مبرما
لـتـســم بـــه يـا إمـــام الـهـدى ... مـقـامـا وتـــعـلُ بـــه الأنـجـمـا
يـــمـوت الـنـــبـــي ولا وارث ... ســوى الـعـلـمـاء فـمـا أكـرمـا
لـيـهـنـكـم الـعـلـــم يـا أهـلـه ... وطوبى لكم يوم تطوى السما
وطـوبـــى لـكـم وأهـيـل الجنا ... ن ضـيـوف الـكـريـم فـمـا أنعما
وطـوبـــى لـكـم وخـتـام الـرضـا ... يـفـوح شـــذا مـسـكـه أنـعُـمـا

* * * * *

(١) الدُّمَى: جمع دُمْيَة، وهي المرأة الجميلة.
(٢) هَلْهَل النَّسَّاج الثوبَ إذا أَرقّ نَسْجه وخفَّفه.
(٣) المَوْضُونةُ: الدِّرْع المنسوجة مُقارَبَةٌ في النسج، مُداخَلَةُ الحِلَقِ بعضها في بعض.
(٤) النَّيِّرَان: الشمس والقمر.

(١١) أخا ضبّة[١]

بعث بها لأخيه الشيخ الصالح أبي بشير محمد بن عبد الله شيبة الحمد السالمي حفظه الله

داعب الروضَ ابْتِسَامَا ... واملأ الكأسَ مُدَامَا[٢]
واحتس الآهات منها ... واسقها الصب ضراما[٣]
وأدرها فيي رفاق ... لا تدرها في ندامى[٤]
واحمل الرشد ضياء ... واركب الغيّ ظلاما
واصحب الدهر كما شا ... ء ولا تطلب ذماما[٥]
واعتنق في روضه الحسـ ... ـن كما هممت وهاما
والبس الجدة فيه ... واجعل الزهو لثاما

(١) راجعتها طبقا لنسختها في ديوان وحي العبقرية المطبوع. المقصود بأخي ضبة الشيخ محمد السالمي، حيث ينحدر السوالم في عمان من ضبة بن مالك بن زيد مناة بن تميم. أنظر كتاب القلادة، قصيدة في كبرى قبائل ومدن عمان مع تعليق المؤلف عليها، للشيخ هلال بن سالم بن حمود السيابي، الناشر نفسه، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م. ص ٦١. ومحمد السالمي هو الشيخ العالم الأديب شيبة الحمد محمد بن عبدالله بن حميد (نور الدين) السالمي. ولد سنة ١٣١٤هـ/١٨٩٦م، وتوفي سنة ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م. له كتاب نهضة الأعيان بحرية عمان. وعمان تاريخ يتكلم. والروض النضير. وقصائد في الغزل والإخوانيات والرثاء. أنظر معجم شعراء الإباضية، الترجمة رقم ٣٦٤، ص ٣٤٠ وما بعدها.

(٢) المُدَام: الخمر.

(٣) الصَّبُّ: المُحِبُّ حُبًّا شديداً. الضرام: اشتعال النار ولهيبها.

(٤) الرفاق: الأصحاب. والندامى المسامرون على شراب الخمر.

(٥) الذمام: الحق والحرمة والعهدُ والأمان والكفالة.

ودع القبلة للغا ... ية في الوصل أماما
إنما العيش جمال ... أخذ النفس حماما[١]
وألذ العيش شدو ... رجع السجع حماما
يا أخانا شيبة الحمـ ... ـد من الله سلاما[٢]
وتحيات كأن قد ... نفحت عنها الخزامى
تملأ الدنيا سروراً ... وحبوراً وابتساما
ويبيت الكون فيها ... أريحيا مستهاما[٣]
يا أخي أرضعني حبـ ... ـك مذ كنت غلاما
فتمشى في عظامي ... بل غدا مني العظاما[٤]
أترى يقوى بغير الـ ... ـعظم من شاء القياما
يا ابن نور الدين إن الـ ... ـدين قد أمسى قتاما[٥]
فادع ذاك القطب للحا ... دث لو كان رُماما[٦]
واشْكُ ما حلَّ إليه ... فلقد كان إماما
وادفع الأنة في أذ ... نيه يوسعك اهتماما[٧]
فلكم ميت كحيّ ... خالداً ما الكون داما

(١) الحِمَامُ قضاءُ الموتِ وقدرُه.
(٢) شيبة الحَمْد لقب عرف به الشيخ محمد السالمي منذ بواكير عمره رحمة الله عليه وعلى أبيه الإمام.
(٣) أريحيَّةُ الكون: وُسْعُه. مُسْتَهَامُ: هَائِمٌ، شَدِيدُ الحُبِّ.
(٤) لفظة (غدا) وردت في نسخة القصيدة بالديوان الطبوع: (عَدَا).
(٥) الظَّلاَمُ كَثِيفُ السَّوَادِ.
(٦) الرُّمَامُ: الرَّمِيمُ وهو الفاني. إشارة من الشاعر لوالد ممدوحه المُتَوَفّى وهو الإمام نور الدين السالمي الذي وصفه بالقطب.
(٧) الأَنَّةُ: ما يَصْدُرُ عَنِ الإِنْسانِ مِنْ صَوْتٍ خافِتٍ في لَحَظاتِ الألَمِ والتَّوَجُّعِ.

يـــا أخـــا ضـــبّـــة إنـــي ... مـســعـر الـقـلـب دوامـــا
أتَـــمَـــنَّـــى وأُمَـــنِّـــي ... رحـــــم اللّه الإمـــامـــا
فـي الـثـرى جسـمـي وهـمـي ... فـي سـمـا الـعـرش أقـامـا
أنـــا مـــن لـــو عـــرف الـدهـ ... ـــر مـــداه لاسـتـقـامـا
أنـــا مـــن يـهـوى الـمـعـالـي ... والـعـوالـي[1] لا الـخـيـامـا
أنـــا مـــن لَـــجَّ بـــه الـوجـ ... ـــد لـشـأو لا يـسـامـى
رضـــع الـعـلـيـاء طـفـلا ... وامـتـطـى الـعـلـيـا هـمـامـا
فـتـعـجـب لابْـــنِ بِـــرٍّ ... عـلـق الأم غـرامـا
فـتـرامـى لـلـقـاهـا ... إذ أتـتـه تـتـرامـى
فـاسـتـبـاح الـسـر مـنـهـا ... جـل أن يـأتـي ذَامَـا[2]
يـا لـزوجـيـن عـقـيـمـيـ ... ـن وقـد ذابـا هـيـامـا
ولـعـا بـالـحـب مـذ بـا ... كـورة الـعـمـر فـهـامـا
شـربـا الأيـام كـأسـا ... قـط لـم تـمـزج حـرامـا
وأقـامـا فـوق هـام الْـ ... ـنَـجْـم لـلـعـز مـقـامـا
يـا عـزيـزي عـش كـمـا شـئْـ ... ـت عـلـى الـجـوزاء هـامـا
يـا عـزيـزي فـي سـبـيـلي ... أيـقـظ الـهـم تـمـامـا
مَـن مُـعـيـنـي لِـمَـعِـيْـنٍ ... مـن يـذقـه لـن يـضـامـا
ورد الآبـاء مـنـه الـصـ ... ـفـو بـرداً وسـلامـا
ووردنـاه أُجـاجـا ... وشـربـنـاه سـمـامـا[3]

(١) المعالي كرائم الإخلاق، والعوالي الهمم والمطامح.
(٢) جلّ أن يأتيَ ذاما: أي ترفع عن أن يأتيَ فعلا مذموما.
(٣) السمام جمع سم وهو السم القاتل.

ليته كان نجيعا فالتهمناه التهاما[١]
رُبَّ عبد لم يُزَايِلْـ ـكَ ولو مات كِلاما[٢]
أوقف النفس لما تر ضاه فعلا وكَلاما
فانتشله من فم الأيام أن يحيى مُضاما
واقض بالجد هنيئا واجعل السعد لزاما
وأَنِلْهُ الخير حيا واكتب الحسنى ختاما

* * * * *

(١) النَّجِيعُ: خَبَطٌ يُضْرَبُ بالدقيق وبالماء ثم تسقاه الإبل.

(٢) لم يزايلك: لم يفارقك. كِلامُ: جروح.

(١٢) السر الخفي

بعث بها إلى حد أصدقائه المخلصين الأوفياء

ركب الهوى فَهَوَى على أقْدَامِهْ ... وأتى النُّهَى فَنَهَتْهُ عن إقْدَامِهْ
وارتاع من داعي الطبيعة غاديا ... من خلفه والخوف من قدَّامه
فهفا ولكن خلف محتوم القضا ... كذبيحة الجزار حول طعامه
غاوٍ ولكن غَيُّهُ في رشده ... غادٍ وحكمته على أقدامه
يا أيها السر الخفيّ مكانه ... طي الضمير، ألستَ من علاَّمه[1]
إني أعيذك للضمير بربه ... من أن تقيم على العقوق وذامه[2]
إن المحبة في النفوس وديعة ... أيضيعها حُرٌّ ثَوَتْ بعظامه
يا من أرى فيه إرادة صامد ... نحو الرُّقِيِّ معلقاً بغرامه
قد كنتَ تلتمس السماء مُقامة ... فنكلتَ عن هذا العفا ومقامه[3]
ونكلت عن فضل التأسي بالأُلى ... مُشطُوا بنارٍ في الهدى وكرامه
فَغَرَ الزمان عليك نابا أعصلاً ... فَوَطِئْتَ طِفْلَكَ لم تُرَعْ لحمامه[4]
أتراك لو أخَذَتْه أنياب القضا ... ماذا تحاول وهو في استحكامه
إنَّ القضاء إرادة لو رامها ... غير القدير لخار دون مرامه
فاجعله منك أمام عينك دائما ... ترعاه في مأمومه وإمامه
واعلم وهل جهل الحقيقة مؤمن ... بالله يرعى الله في إسلامه

---

(١) لفظة (علاَّمه) وردت في نسخة القصيدة بالديوان المطبوع: (أعلامه).

(٢) ذامُ العقوق: عيبُه.

(٣) نكلت: نكصت عما عزمت عليه من أمر. العفا: الأرض.

(٤) نابٌ أعصل: شديد.

أمراعك الفدّاد[١] يخترق الحمى ... في كبرياء اللؤم فوق منامه
والضاريات تغير في سرح الوفا ... وعلى الوصيد الكيد في ضرغامه[٢]
فأمات منه الخوف كل غريزة ... يحيا الوفاء بها على مقدامه
أنساكه الشيطان ثَمَّ لحكمة ... فخذ الطريق تجده في علاَّمه
واشْدُدْ يديك بحبل ربك ممسكاً ... فهو الحكيم النقض في إبرامه
يقضي عليك كما يشاء وتارة ... يقضي لك التوفيق من إكرامه
هذا وذاك لحكمة ما قُدِّرَتْ ... عبثاً فحسبك ما ترى بكلامه
ولكم له تحت الشدائد رحمة ... خَفِيَتْ عن المشدود تحت حزامه
لكنه خَلَقَ النفوس ضعيفة ... والعقل يعثر تحتها بزمامه
وهي التي تعتاقه دون المدى ... والطبع مدحور على إحجامه
منكوصة الإِقْدام إلا في الهوى ... مصفوفة الأَقْدام حول حطامه
رأت الحمام على الخمائل صادحا ... فتطاولت من خلفه وأمامه
وسرى الخيال بها إلى غاياته ... فأضاعت الأفهام في أوهامه
وهوى الهوى بكمالها في نقصه ... فأضَلَّت الأحلام في أحلامه
رأت الحطام مزخرفاً فَهَوَتْ له ... فأزَلَّها عن حله بحرامه
مسكينة ما أبصرت غير الثرى ... في عينها فَتَعَفَّرَتْ برُغامه[٣]
حيرى يُنَهْنِهُهَا[٤] الحجا عن غيها ... والطبع يدفعها إلى آثامه
تبكي إذا رأت المصير فتلتهي ... عنه فتضحك وهي تحت ذِمامه

(١) فَدَّدَ الرجلُ أَ ذا مشى على الأَرض كِبراً وبَطَراً فهو فدّاد.
(٢) الوصيد: فِناءُ الدار والبيت. والكيد في ضرغامه أي في شدته وسطوته.
(٣) الرُّغام: التراب.
(٤) النهنهة: الكف. تقول نهنهتُ فلانا إذا زجرته.

وتَـبِـيْتُ آمنة وأسباب الردى ... مشـدودة مـن جسمها بقوامه
اللّٰه فـي هـذي النـفوس فإنها ... نعم الضنائن[١] للضنين بهامه
والدهر ينفقها على حكم الرضا ... وتـراه يهرقها كفضلة جامه
لكنما التوجيه في مضمارها ... حـق لـنـا كالحكم فـي حكامه
نـهجان هـذا للسلامة موصل ... أبـــداً وذلـــك مهلك لسـوامه
فاخْـتَـرْ لها ما شئت لا وَهْمٌ ولا ... تدليس جل الحق عن إيهامه[٢]
فَلَنِعْمَها إنْ فاجأت حسن الرضا ... عـنـد الـلـقـا واللّٰه فـي إنـعـامـه
ولبئسها إنْ أظلمت عند اللقا ... والحق يجلو الحق في أحكامه
رحماك ذا البطش الشديد لمذنب ... خاض الحياة مغامر بلجامه
حتى إذا خار اللجام وعُمِّـيَـتْ ... سبل السلام هفا إلى استسلامه[٣]
يـدعـوك مبتهلا بقلب خاشع ... ولسان مختنق الدعا تمتامه[٤]
فـاغـفـر لـه ربـــاه كـل ذنـوبـه ... فضلا وهبه الفوز مسك ختامه

* * * * *

(١) الضنائن جمع ضنينة وهي فعيلة بمعنى مفعولة من الضِّنّ وهو ما تختصه وتَضَنُّ به أي تبخل به لمكانه منك ومَوْقِعه عندك.

(٢) التدليس في البيع: كتمان عيب السلعة عن المشتري. ومنه أخذ التدليس في إسناد الروايات وهو أن يُحَدِّثَ عن رجل رآه ولم يسمع منه وإنَّما سَمِعَ مِمَّن سَمِعَه منه.

(٣) خار اللجام، هذا تعبير مركب. فخار الرجل ضعُف ووهنت قوته ولم يعد له بقاء على الشدّة. واللجام هي حديدة توضع في فم الفرس لتكبح جموح قوته. والشاعر يشير بهذا إلى أن المعاصي للنفس بمثابة اللجام للفرس، فهي توهن قواها، وتردّها ضعيفة.

(٤) تمتم بالكلام أي تعجل به لدرجة عدم الإفهام، والتمتمة بالدعاء كذلك لشدة وطأة ما يجوس في نفس الداعي من الخوف والرجاء.

(١٣) عواطف الإخاء[١]

بعث بها إلى الشيخ عز الدين التنوخي وإخوانه بدمشق الفيحاء[٢]

عرشَ الخلافةِ بل مهد النَّبِيِّيْنَا ... حياكَ مُقْتَبَسِ الأنوارِ من سِيْنَا
حيتك غادية الأنواء باكية ... في مبسم البرق ترتاد المحبينا
حيتك غالية الإخلاص تحملها ... نسائم اللطف من أفواف وادينا[٣]

---

(١) راجعتها طبقا لورودها في الديوان المطبوع لوحي العبقرية.

(٢) عزالدين بن أمين شيخ السروجية علم الدين التنوخي، الدمشقي، عالمٌ، أديب، لغوي، من أعضاء المجمع العلمي بدمشق ونائب رئيسه. ولد في دمشق سنة ١٣٠٦هـ/١٨٨٩م، وتوفي سنة ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م. أنظر: معجم المؤلفين، تراجم مصنفي الكتب العربية، تأليف عمر رضا كحالة، الجزء الثاني، مؤسسة الرسالة، الترجمة رقم ٨٩٦٠، ص٣٧٥. خدم رحمه الله تعالى بعض مصادر التاريخ والفكر والأدب العماني، ومن أعماله في هذا المجال تحقيقه لشرح مسند الإمام الربيع بن حبيب، وتحقيقه لديوان السلطان سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني.

(٣) أفواف جمع فُوفُ، والفُوفُ: البياض الذي يكون في أَظفار الأَحْداث، واحدته فُوفَةٌ، والفُوفُ أيضا: الحَبَّة البيضاء في باطن النواة التي تنْبُت منها النَّخْلة. والفُوفُ كذلك ثِياب رِقاقٌ من ثياب اليمن مُوَشَّاة، يشبّه بها الزهر إذا حرّكته الريح فتداخلت أزهاره كتداخل الوشي الجميل في ثوب الفوف. ومنه قيل: ثوب مُفَوَّف. وربما لهذا قال الشيخ: (تحملها نسائم اللطف من أفواف وادينا) أي أنها تحية تحملها نسائم لطيفة عبقة بعطر زهر الوادي الذي هو هنا كناية عن بلد الشاعر. واللفظة مستعملة من قبل الشعراء فأميرهم أحمد شوقي قال: وأقبلتْ بالنبات الأرضُ مختلفا ... أفوافه، فهو أصباغٌ وألوانُ. أنظر: ديوان شوقي، تحقيق الدكتور أحمد محمد الحوفي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، بدون تاريخ نشر، الجزء الأول ص ١٦١. وكذلك قال الشيخ هلال بن سالم السيابي: يا شاديَ الطلح من أفواف وادينا ... غرّدْ كما شئت واستهو المشوقينا. أنظر كتاب شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، الجزء الأول ص ٥. وديوان أصداء من وادي عبقر للشيخ هلال السيابي، نشر وزارة التراث والثقافة، مسقط، بدون تاريخ نشر، ص٣٨٨.

حيتك أفئدة باتت على رمض ... شوقاً إليك وجفن فاض سيحونا[١]
حيتك نفثة مصدور يصعّدها ... عبر الأثير لهيبٌ من عوادينا[٢]
حياك لليحمد الطود الأشم هنا ... حيتك أودية فيه لماضينا[٣]
حيتك فيه مغانينا وأربعنا ... كأنها الآيُ في عهد النبيينا
نسيم جلّق إن ناءتك أضلعنا ... فما نأى عنك ما ضمَّت حواشينا[٤]
نسيم جلّق ضيف حل ساحتكم ... والضيف يبتزه عطف المضيفينا
يهفو إلى بَرَدَى والشوق يُسعره ... فينثني وهو يستهوي المغنينا
شد الربيع على أغصانه رتلا ... فذاب حتى غدت صفواؤه لينا[٥]

(١) الرمَضُ مصدر رمِضَ. والرجل يرمض رمضا إذا احترقت قدماه في شدة الحر. والمراد به هنا شدة حرارة الشوق. سيحون هو أحد أكبر نهرين في أوزبكستان بوسط آسيا ذكره ياقوت الحموي في معجم البلدان، طبعة دار صادر، الجزء الثالث، ص ٢٩٤. والشاعر لا يريد النهر سيحون بحد ذاته بل قَصَدَ استعمال معنى اللفظ سيحون: المأخوذ من ساح الماءُ يَسيحُ سَيْحاً وسَيَحاناً إذا جرى على وجه الأَرض، للتعبير عن حال جفن المشوق السائل من شدة شوقه بدمع غزير كسيلان مياه نهر سيحون المعروف.

(٢) المصدور الذي يشتكي وجع صدره، والنفثُ: شبيه بالنفخ. ولا شك أن المشوق يشعر بحرارة الشوق في صدره فإذا ما جاء ذكر المشتاق إليه نفث بفيه حرارة الشوق من صدره. عوادينا: أي ما ينوبنا من عواقب الدهر ونوائبه التي تعيق الصلة بيننا.

(٣) حيَّاكَ لليَحْمَدِ الطَّوْدُ الأشم: يريد بنسبته الطودَ الأشم إلى اليحمد الجبل الذي صار معروفا بالجبل الأخضر، فقد كان قبل معروفا بجبل اليحمد.

(٤) جلّق (بكسر الجيم وفتح وتشديد اللام): اسم أطلق على مدينة دمشق في العهد الإسلامي. هو في الأصل موضع جنوبي دمشق استوطنه الغساسنة. وقال ياقوت الحموي: جِلَّقُ: اسم لكورة الغوطة كلها. وقيل بل هي دمشق نفسها. وقيل موضع بقرية من قرى دمشق. معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر، ج٢، ص ١٥٤.

(٥) الرتل: حسن تناسق الشيء. والزهور أحسن ما تكون نضارة وتناسقا في الربيع. الصفا والصَّفْوانُ والصفواء كله واحد وهو الحجر الأَمْلَسُ، سمِّي بذلك لأنه يصفو من الطِّين والرَّمْل.

فهام في غوطتيه[١] والهاً وثنى ... عنانه نحو أنات المصلينا
فجاذبته الدُّمى عطفيه غاضبة ... ويح المحب لحكم الحب كم دينا
حيّ دمشق ومن ربّته منهمر ... يهمي على غوطتيها الحين فالحينا
أرض النبوة ما زالت مآثرهم ... نوراً عليك وتذكاراً لماضينا
أرض النبيين أرض الأولياء لقد ... بوركْتِ في محكم التبيان تبيينا
الله في ذائب الأشواق متقد ... والله يرحم آهات المشوقينا
تطويه ذكراك مشتاقاً وتنشره ... مثل الصحيفة في راحات قارينا[٢]
حيَّ التنوخيَّ عزَّ الدين صَوبُ حَيَا ... من رحمة الله تحدوه أمانينا[٣]
كم للتنوخي فينا من يَدٍ شهدت ... له بحسن الوفا بين الوفيينا
سل شيخنا السالمي في شرح ثالثه ... من مسند ابن حبيب تعرف الدينا
وانظر مقالته عن فضل نحلتنا ... تلقى العدالة تستجلي البراهينا
واعرفه في شعرنا نبع الفصاحة في ... مراضع الضاد تعرف عدل عالينا
فلو جزيناك عز الدين غالية ... من أعبق الشكر لم تنهض جوازينا[٤]

(١) الغوطة منطقة في سوريا تحيط بمدينة دمشق. معجم البلدان لياقوت الحموي، دار صادر، الجزء الرابع ص ٢١٩. وتعرف بالغوطتين لأنها تحيط بدمشق من جهتي الشرق والغرب. وهي عبارة عن غابة من الأشجار والبساتين الغناء بأشجار الفاكهة. وكان القدماء يعدونها من عجائب الدنيا لفرط جمال طبيعتها ويصفونها لذلك بأنها إحدى جنات الدنيا.

(٢) قارينا: الذين يقومون بفعل القراءة أصلها قارئين، تم التخفف من الهمزة لضرورة الوزن، وأشبع الفتح في النون بالألف تماشيا مع القافية.

(٣) الصَّوْبُ: المطر. والحيا: المطر أيضا. وإضافة المترادفين إلى بعضهما في مقام الدعاء لأجل التأكيد والإلحاح.

(٤) الغالية: إناء يوضع به أَخلاط من الطيب كالمسك والعنبر. جوازينا: جمع لكلمة: جزاء. وجوَّزَ علماء النحو هذا النوع من الجمع. ومثله عندهم جمع كلمة: سَيْل على سوائل.

ولو أتيناك بالإحسان تحمله ... مواقر البر لم نحسب موفينا[١]
فَلْتَحْيَ والمجمع العلمي في دعة ... وكل أبنائه غراً ميامينا
إني وشعبي وما قد أنبتته ربا ... واديّ نجزيكم الشكران تدوينا
ونسأل الله أن يرعاكم أبدا ... على البِعَاد[٢] كما يرعى الموالينا
ولست أنسى من العيران نيرة ... من الإخاء تجلت في نوادينا[٣]
تَنَوَّرَتْنَا من الفيحاء[٤] فابتسمت ... على صحائفنا بالطبع تزيينا
محمود إن تك مطبوعاتنا شكرت ... حسناك فالشكر من حق المؤاخينا
وافت رسالتك الغراء تنشدنا ... أبا سرور فألقت رحلها فينا
فمن لنا بحميد منذ فارقنا ... سعياً إليكم وما يدريك يأتينا
فثق بسؤلك فيها إنها بلغت ... رأس المدى حينما وافت روابينا
أبناء سورية سقياً لكم أبداً ... ما ساقت المزن من أثقالها جَوْنا[٥]

---

(١) مواقر البَرّ: هي النياق التي يحمل الناس على ظهورها أوقارهم من أمتعة وأحمال مختلفة، والمقصود هنا إبل القوافل التي تحمل ماعلا جوهره وغلا ثمنه.

(٢) البِعَادُ: جمع بعيد.

(٣) العيران: اسم لمدينة أو قرية من قرى سوريا منها الأستاذ محمود الذي ذكره الشيخ عبدالله بقوله:

محمود إن تك مطبوعاتنا شكرت ... حسناك فالشكر من حق المؤاخينا.

ويبدو أن الأستاذ محمود مختص بطباعة الكتب، وورد في السياق أيضا ذكر الشيخ الشاعر أبي سرور حميد بن عبدالله الجامعي وسفره إلى سوريا، وهذه الإشارات مجتمعة تدل على الصلة العلمية والثقافية القائمة في ذلك الوقت بين أقطاب العلم والأدب في عمان وسوريا ولا شك أن فضلا كبيرا في ذلك يعود للشيخ العلم العالم عزالدين التنوخي رحمه الله ممدوح الشيخ عبدالله بهذه القصيدة.

(٤) الفيحاء لقب لمدينة دمشق.

(٥) الجون من الأضداد، يطلق على الأبيض والأسود، والشاعر يقصد هنا الماء الذي تهطل به السحب.

والله يحفظ منكم في عروبتكم ما كان يحفظ في موسى وهارونا
وحسبكم بالتنوخي الفقيه وكم مثل التنوخي فيكم من مربينا
فاحْيَوْا وحَيُّوا على الزهراء زاهرة كالشمس مذ عبد شمس ما اختفت فينا
وباركوا تربة الفيحاء إنَّ لها حق الأمومة من عهد المُعاوينا
والحمد لله كم لي في الختام شذا مسك يضوع على الآفاق ميمونا

* * * * *

(١٤) منـزل الشان[١]

قالها في سنة ١٣٧٢هـ وبعث بها لأخيه الأديب الشاعر أحمد بن عبد الله الحارثي[٢]

تحيةَ الله في سِـرٍّ وإعـلانِ ... حَـيِّـيْ بلطفكِ عنـي منـزلَ الشانِ
وباكريه بـأنواء السلام كما ... يـباكرُ الروضَ ساقيه بِهَـتَّـانِ
وراوحـيـه بـأرواح الهنـاء كما ... يـرواح الـروح ريحان بريحان
وبَـيِّـتِيْهِ كما بات الحبيب على ... جنب الحبيب بكأس منه ملآن
واستنبئيه أحاء الحب حافظة ... لبائه أم أضاعت عهده العاني
وهل أقامت على نجد وساكنه ... أم أتْـهَمَتْ تتمشى بين غيطان[٣]
إليك يا نجل عبد الله جوهرة ... كأنها أخرجت من كيس دهقان[٤]
تعشو إلى نارها الأهواء ذائبة ... أكبادها بين أشواق وأحـزان
قد حاكها العقل إلحاماً وحَـبَّـرَها ... في بضع يوم بفكر غير لحَّان
سقياً لها ما سقى الوسميُّ ناضرة ... من الرياض حداه كل مرنان[٥]
رأتكَ أحمدها فاستشعرتْ شرفاً ... من نفسها فأتتْ تزهو بتيجان

---

(١) راجعتها طبقا لنسختها في ديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) تجد التعريف بالشيخ أحمد بن عبدالله الحارثي في حاشية على القصيدة رقم ٨ وعنوانها: الدهر الفظ.

(٣) الغيطان هي بواطن الأرض المنبتة وبها رياض الشجر. أنظر لسان العرب، مادة: غوط.

(٤) الدهقان: التاجر.

(٥) الوسمي مطرُ أَوَّل الربيع، وسُمِّيَ بالوسميّ لأَنه يَسِمُ الأَرض بالنبات. حداه: من الحدو وهو سوق الإبل والغناء لها. وهي هنا بمعنى الغناء. ومرنان الصوت الشجي عند الغناء.

كأنها ربـة القصر المنيف على بغداد زارتك في محراب غُمدان[١]
أو أنَّ بلقيس زارت في غلالتها فاستقبلتك على الصرح السليماني[٢]

(١) القصرُ المنيفُ على بغداد: هو قصر الخُـلْـد، بناه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (١٣٦هـ) وقت بنائه بغداد سنة ١٤٥هـ واسْتَـتَـمَّ البناء سنة ١٤٦هـ، وسـمَّـاها مـدينـة السلام. قال الخطيب البغدادي بأن أبا جعفر سمَّاه الخُـلْـد تشبيها له بجنة الخُـلْـد. أنظر كتاب تاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣هـ)، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م ج١، ص ٣٧٥، وص ٣٨٥. وربة القصر: هي زبيدة قرينة الرشيد. وتذكر الروايات التاريخية أن هذا القصر شهد حفل زفاف هارون بن المهدي المعروف بالرشيد على ابنة عمه زبيدة بنت جعفر بن الخليفة المنصور، وذلك في المحرم من سنة ١٦٥هـ/٧٨١م. وكان والده المهدي قد هيّأ القصر بالآلات والآنية والفرش والمتاع والقماش والطيب والجوهر والخدم والوصائف، وأعد لزبيدة درعا من اللؤلؤ على هيئة القميص، يفوق حد الوصف. وحضر الناس من الآفاق، وفرّق الأموال في ذلك العرس مالم يُـتَـصَـوَّر أنَّ بيوتَ الأموال تخرجه. وكانت أواني الذهب تملأ بالدراهم الفضية، وأواني الفضة تملأ بالدنانير الذهبية، ويدفع ذلك لوجوه الناس. إلى غير ذلك من نوافح المسك وقطع العنبر. قصرُ غُـمْدان التاريخي في صنعاء باليمن وصفه المؤرخون بأنه من عجائب الهندسة المعمارية، ومن أقدم القصور الضخمة في العالم، لأنه كان مكونا من عشرين طابقا. وبني بمادة البوفير والجرانيت والمرمر. وكان الملك الشهير سيف بن ذي يزن آخر ساكنيه. وصفه المؤرخ والجغرافي الشهير الهمداني في كتابه الإكليل بقوله: قصر غُـمْـدان: أول قصور اليمن وأعجبها ذكرا، وأبعدها صيتا، وهو في صنعاء. ووصفه شعرا فقال: يسمو إلى كبد السماء مصُعّداً ... عشرين سـقـفاً سمكها لا يقصرُ. أنظر كتاب الإكليل لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني (٢٨٠- بعد ٣٣٦هـ)، حرره وعلق حواشيه نبيه أمين فارس، دار العودة بـبـيـروت، ودار الكلمة بصنعاء، بدون تاريخ نشر، الجزء الثامن، ص٣، و١١، و١٣.

(٢) هذه إشارة إلى القصر الذي أمر ببنائه الملك سليمان النبي حين دعا بلقيس ملكة اليمن إلى الإسلام، حيث بنا صرحا من زجاج، وأجرى تحته الماء، وألقى فيه من دواب البحر السمك والضفادع وغيرهما، ثم وضع كرسيّه في وسطه، وجلس عليه ثم دعا بلقيس لتقدم إليه، فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح، فلما رأته حسبته لجة (واللجة معظم الماء)، فكشفت عن ساقيها لتخوضه إلى سليمان، ظنا منها أنه جالس على لجة الماء. أنظر: تفسير البغوي "معالم التنزيل" لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٦هـ، تحقيق محمد عبدالله النمر وآخرون، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١١هـ، المجلد السادس، تفسير سورة النمل، الآية ٤٤، ص١٦٧.

لو خلتها وهي تمشي في خميلتها ... سكرى لأكبرتها عن حفظ رضوان[١]

هبها أتتك بلا ساق ولا قدم ... تذوب شوقاً أترضاها لسحبان[٢]

لو قابلتك بشفاف الطبيعة ما ... جلت لعينك إلا صورة الراني[٣]

سرت إليك بما ضمت جوانحُها ... من الهوى بمعنى القلب ولهان

عَتْبَى يُنَهْنِهُهَا عما تهم به ... حب غزير وطبع غير خوّان[٤]

تتلو رسائلك الحسنى مرتلة ... فتفقد الذات منها غِبّ نشدان[٥]

فاحْمَدْ بعود التهاني صبحها فلقد ... جاءتك من غبطة النعمى بميدان[٦]

تزف من زينة الأعياد زاهية ... ومن شعار الهدى أنوار إيمان

وتَنْثَنِيْ بلسان الشكر مخلصة ... لك الدعاء على حسنى وإحسان[٧]

---

(١) الخميلة كل موضع كثر فيه الشجر والتفّ على بعضه بحيث لا يُرى الشيء إذا وقع في وسطه. كأن الشاعر يصف قصيدته بالحسناء الرافلة في خميلة من زواهر المعاني شبيهة بأزهار رياض الجنة الموكل بحفظها المَلَك رضوان.

(٢) سحبان خطيبٌ لَسِنٌ بليغٌ يضرب به المثل في البيان والفصاحة، يقال له «سحبان وائل» تمييزا له عن سحبان آخر كان في صدر الإسلام زمن الخليفة معاوية بن أبي سفيان. أنظر كتاب منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، لمؤلفه عبد الله بن سعيد بن محمد اللّحجي الحضرميّ المتوفى سنة ١٤١٠هـ، دار المنهاج، جدة، ط٢، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، ج١، ص ٦٢.

(٣) الراني من رَنا إليها يَرْنُو رُنُوّاً ورَناً، أي نظرَ إليْها مُداوَمة؛ فالراني هو الناظر.

(٤) عتبى: عاتبة. ينهنهها: يكفّها.

(٥) غِبَّ الأَمر بَعْدَه. فغب نشدان أي بعد سؤال.

(٦) النُّعمى: ما أُنْعِمَ به عليك، واللفظة رديف كلمة النعمة.

(٧) الحُسْنى من الحُسْن، وهو الجَمالُ نقيض القُبْح وضدُّه. ومثلها البؤس والبؤسى، والنّعم والنّعمى. والإِحْسانُ: ضِدُّ الإِساءَةِ. فالدعاء في البيت بالحسنى أي عرفان جمال الصنيع المجلل بالإحسان الممتنع عن الإساءة.

يـا مـن يـمثله وهــمي فيكبره ... ومن يـجيش بـه هـمي فيغشانـي[١]
والله ما وقـفت دنياك ناظرة ... في مثل شأنك إلا وقـف حيـران
ما لي أرى الدهر لم يأذن بصارفة ... مُثلى ترد سلاف الحان في الحان[٢]
كأنـه لـم يَـدُرْ منـه على خَـلَدٍ[٣] ... شيء وقـد ضج فيه كـل إنسان
أو أنـه لـم يقف في موقـف حرج ... يوماً ولـم يـرم أقـرانـاً بـأقران
يـرده الطبع منكوصاً ويـحبسه ... عما يحاول وهـم الواهن الوانـي[٤]
تـبـا له يـرتـضي من عيشه نكدا ... ومـن منازله بـالمنـزل الدانـي
يـروعه من بروق الوهـم خُلَّـبُها ... فيستهام فيسعى غيـر يقظان[٥]
ويستريـح إلى ذاك الخيال كما ... يصبو لذكر الأمانـي كل نشوان
يـمد فـي زاده كفيه عـن جشع ... مداً ويثـنيهما عن غاية ثان[٦]

---

(١) الوهم من خَطَراتِ القلب. وتَوَهَّمَ الشيءَ: تخيَّله وتمثَّله. ويجيش من جاشَت النفسُ أي فاضت. مأخوذ من جيشان القدر إذا غلت، وكذلك الصدر إذا لم يقدر صاحبه على حبس ما فيه. ويغشاني في آخر البيت من غَشِيَ الشيء إذا لابَسَه.

(٢) صارفة: من الصَّرْف وهو رَدُّ الشيء عن وجهه، صَرَفَه يَصْرِفُه صَرْفاً فانْصَرَفَ. وصارَفَ نفْسَه عن الشيء: صَرفَها عنه. وسُلافةُ كلِّ شيء أَوَّلُه، وقيل: السلافُ والسلافةُ من كل شيء خالِصُه. وكلمة حان مأخوذة من حان الوقت يحين، فكأن الشيخ الخليلي يبدي أسفه لخلو زمنهم من محاسن سير الأسلاف المتقدمين، ويرجو لو أن الزمن الحاضر يصرف وجهته نحو مآثر الرجال المتقدمين وحميد فعالهم بحيث تعود من الزمن الماضي فتبرز في الزمن الحاضر بتجلياتها المشرقة ليستضيء أهل الزمن الحاضر بالسير الرائعة للأسلاف.

(٣) الخَلَدُ: البالُ والنفس.

(٤) النُّكُوصُ: الإحْجامُ، ومنكوصا مُحْجَمًا. الواهن: الضعيف القُـوَى. والواني المتمهل.

(٥) بروق: جمع برق وهو الذي يكون في السماء وقت المطر. الوهم: خطرات القلب. خلّبها: وصف للبرق، واللفظة مأخوذة من خلَبَ أي خادَعَ. يريد الشاعر أنه ينخدع بأفكار تطرأ على ذهنه تبدو برّاقة بأمل ما، لكنها في الواقع شبيهة بالبرق الخلّب الذي لا مطر وراءه.

(٦) ثان: اسم فاعل من ثَنَى.

أنامَ من أمتي جفن الحفيظة عن ... عمد وجفن الليالي غير وسنان[١]
أم سرَّها ما سرى في قلب بيضتها ... فهوّمت ومداها غير نعسان[٢]
ما بالها وصُواها غير آمنة ... مراصد الكيد في بِيْضٍ ومرّان[٣]
تعدو على سرحها غرثى[٤] مخالبُها ... وتقصر الخطو عن خيل وفرسان
ماذا لذاك ولكن ذا لباقية ... يحيى بها الدين حر الوجه والشان
الله في ذمة ما بات يخفرها ... إلا بنوها بأحقاد وأضغان
تبوأوا حيث شاءوا من مقاعدها ... فلطخوها من الدنيا بأدران[٥]
كانت هي الروح والريحان فاختلفوا ... فيها فعادت بلا روح وريحان
يا آل عيسى وخير القول أصدقه ... إلاَّ تقوموا فبشراكم بخسران[٦]

---

(١) الحفيظة: الغضب والحمية. الوسن أول النوم، فغير وسنان أي غير نائم.

(٢) بيضة الأمَّة: عاصمة ملكها. والبَيْضَةُ أَصل القوم ومُجْتَمعُهم. يقال: أَتاهم العدو في بَيْضَتِهِمْ. ويروى في الحديث عن النبي صلى الله وسلم عليه قوله: "ولا تُسَلِّطْ عليهم عَدُوّاً من غيرهم فيستبيح بَيْضَتَهم". يريد جماعتهم وأَصلهم أَي مُجْتمعهم وموضع سُلْطانهم ومُسْتَقَرَّ دعوتهم. الهوم والتهوّم والتَّهْويم: النوم الخفيف؛ وهوّم الرجلُ إذا هَزَّ رأْسَه من النُّعاس.

(٣) الصُّوَّة: حَجَرٌ يوضع في الطريق لإرشاد العابرين، والجمْع صُوَى. البيض بكسر الباء جمع الأبيض وهو السيف. والمُرّان الرماح الصلبة واحدتها مُرّانة.

(٤) الغَرَثُ: الجوع. غَرِثَ، بالكسر، يَغْرَثُ غَرَثاً، فهو غَرِثٌ وغَرْثانُ، والأُنثى غَرْثى وغَرْثانة.

(٥) أدران جمع دَرَن، وهو الوسخ والقذر، ولطَّخَه لوّثه بغير لونه. فقول الشاعر: فلطّخوها من الدنيا بأدران، أي أنهم دنسوها بأقذار الدنيا.

(٦) آل عيسى: هم زعماء قبيلة بني الحارث بن كعب. وعيسى هو الشيخ عيسى بن صالح بن علي الحارثي. كان سمحا كريما حكيما محترما عند الناس. من أهم إنجازاته في التاريخ العماني توقيعه بتفويض من الإمام الخليلي لصلح السيب في ٢٥ سبتمبر ١٩٢٠م بين حكومة الإمامة وحكومة السلطنة في عهد السلطان تيمور بن فيصل.

وهل تعيش بغير الحق طائفة ... إلا كما عاش ضان بين سيدان[١]

ما مات عيسى وأنتم بعده خلف ... وديعة الله في روح وجثمان

ولا مضى عنْكُمُ غلفاً قلوبكمُ ... لكن غذاكمْ بمعْروف وعرفان[٢]

قوموا بنا نبتنيها غير واهية ... عزومنا ويمين النصر للباني

قوموا بنا نحمها أن تستباح وأن ... يعيث فيها فساداً كل شيطان

فما لمن حملته بين أضلعها ... ومن تنازَعَهُ للمجد أصلان

وأرضعته من الألبان سائغها ... يبرها جازيا لكن بنسيان

هلم سعياً لإحدى الحسنيين فقد ... نادى المنادي فهل وقْرٌ بآذان[٣]

هلمَّ إنْ تكُ رجوى في الحياة فيا ... فيم التثبط من آن إلى آن

هلم والدهر وسنى عين شانئه ... أنَمْرَأُ النوم أو يستيقظ الشاني[٤]

أما ترون إلى الدنيا وقد ملئت ... بالجور يعبث فيها كل شيطان

يبيت بالدين أهل الدين في نَصَبٍ ... منها ويهنأ فيها عيشه الجاني[٥]

---

(١) السِّيْدَانُ جمع سِيْد وهو الذئب، وقد يسمى به الأسد أيضا، والضان مخفف ضَأن وهي الشياه من الغنم.

(٢) قلب أغلف: كأَنه غُشِّي بغلاف فهو لا يَعِي شيئاً. وفي القرآن قوله تعالى: وقالوا قلوبنا غلف. وفي صفة النبي صلى الله عليه وسلم أنه: يَفْتَح قُلوباً غُلْفًا أَي مُغَشَّاة مغطاة. العِرفانُ: العلم؛ والمعروف كل ما تعرفه النفس من الخير، وما يستحسن من الأفعال.

(٣) هَلُمّ بمعنى أقبل، وهي مركبة من (ها) التي تقال للتنبيه ومن (لُمّ) أي التم إلى أو اجتمع إلى. الحسنيان النصر على العدو أو الموت شهيدا. الوقر ثقل في السمع ، وقد وقِرَت أذنه أي صُمَّتْ.

(٤) وسنى عين شانئه: أي أن المبغض لنا غير منتبه. أَنَمْرأ: الهمزة للاستفهام أي أتهنأ نفوسنا بالنوم. والشاني مخففة من شنأ الشيء يشنؤه أي يبغضه، فالشاني هو المبغض.

(٥) النَّصَبُ: التعب. الجاني مقترف الجناية، وهو هنا يريد العصاة، مقابلة لأهل الدين في الشطر الأول وهم الطائعون لله سبحانه وتعالى. وفي البيت التالي بات المعنى أكثر وضوحا.

ويسحب الذيل[١] أهل السوء في مرح ... بها وهم بين ضليل وسكران
ولْتَحْيَ يا بحتريّ الشعر في دعة ... منعم البال في أمن وإيمان
وهاكها كقضيب البان مائسة ... بخد شيرين[٢] في قد من البان

(١) سَحْبُ الذيل كناية عن الكبر والخيلاء.

(٢) شيرين امرأة من أكمل النساء جمالا وبراعة، أصبحت زوجة كسرى أبرويز بن كسرى هرمز. ولعلاقتها بأبرويز قصة مثيرة، فقد تعرف عليها حين كانا صغيرين، حيث ولدت شيرين يتيمة، فعاشت في منزل رجل شريف من أشراف المدائن (العراق)، وكان أبرويز يلم بمنزل ذلك الرجل فيلقى شيرين ويلعب معها، فنزلت من قلبه موضعا أثيرا، فنهاها الرجل عن التعرض له مرة أخرى مخافة غضب أبيه كسرى هرمز، لكنه رآها في مرة تالية تأخذ من أبرويز خاتما كان في أصبعه، فغضب الرجل وأمر خادمه أن يلقي بها في نهر الفرات لتغرق. فلما حملها الخادم قالت له إن موتي لن يفيدك في شيء، فقال لها أمر مولاي ولا بد لي من تنفيذه، فقالت له اقذف بي في جانب من النهر يكون ماؤه رقيقا، وامض لشأنك، فإن نجوت لم أظهر ما دمت باقية. فرق الخادم لحالها فأتى موضعا فيه الماء إِلَى الركبة، فزجها فيه وتركها تضطرب. ثم أنها خلصت من الماء فأتت ديرا كان على شط الفرات، وأعلمت الرهبان أن قد وهبت نفسها لله تعالى، فأحسنوا إليها، فلما انتقل الملك لأبرويز بعد أبيه هرمز، وجه برسل إِلَى قيصر يحملون إليه الهدايا، فاجتاز الرسل بالدير، فسألت شيرين عَنْ ذلك، فأعلمت أن القوم رسل الملك أبرويز الذي أصبح الملك بعد أبيه، فذهبت إِلَى رئيس الرسل وأخبرته أنها أمة الملك، وسألته إيفاد رسول إليه يخبره بمكانها، ووجهت معه بذلك الخاتم فأنفذ الرجل رسوله إِلَى الملك، فلما ورد الرسول عَلَى أبرويز، وجه معه بخدم ومراكب وهوادج وكساء وحلي وطيب ووصائف، حَتَّى أتوه بشيرين، فورد عَلَيْهِ من الفرح ما لم يفرح بشَيْء مثله، فتزوجها وقطعا على نفسيهما عهودا بالوفاء. فلما هلك أبرويز، وقد مات مقتولا، أرادها الملك شيرويه، فأبت، وعرَّفته العهود، فرماها بكل معضلة من الفجور، وبعث الشعراء عَلَى ذمها، وغَصَبَهَا جميع مالها وضياعها، وأمعن في أذيتها، فقالت: أجيبك إلى ما سألت بعد أن تقضي لي ثلاث حوائج: تردّ عليّ أموالي وضياعي، وتسلم لي قتلة زوجي، وتدعو العظماء والأشراف فترقى المنبر فتبرئني مما قُذِفْتُ به من الفجور. ففعل ذلك، فَقَالَ لَهَا: هل بقيت لك حاجة؟ فقالت: نعم، إن الملك أبرويز أودعني وديعة وجعلها أمانة فِي عنقي إن أنا تزوجت أن أردها إليه، فتأمر بفتح الناووس (التابوت الذي فيه جثة أبرويز) حَتَّى أدفعها إليه. ففتح لها الناووس، فدخلت وقلعت فص خاتم فِي يدها تحته سم قاتل

يفوح نشر السلام الغض من فمها ... كأنما غذيت منه بألبان
تزجيه نحوك في مثل الغلائل من ... ذكر وشكر بألوان وأفنان[١]
عليك ثمت من والاك من نُجُبٍ ... كدارة الشمس أو علياء كيوان[٢]
ومن هنا آل شاذان وأسرتهم ... منابت الفخر من هود ابن قحطان[٣]
في تسع عشر من الحج انقضت بضيا ... يغشى العيون فأرخ، أي غشيان

* * * * *

على الفور فمصته، ثم اعتنقت أبرويز ولفّت عليه يديها ورجليها حَتَّى ماتت، فلما أبطأت صاح بها الخدم فلم تجب، فدخلوا فوجدوها ميتة معانقة لأبرويز، فأخبروا شيرويه فندم ندامة لا توصف، وجعل يأكل أصابعه على صنيعها. أنظر كتاب: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق محمد ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م. ج٢، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(١) الغلائل جمع غلالة وهو الثوب الرقيق الذي يشفّ عما تحته. أفنان جمع فنّ والفن الضرب من الشيء أي نوع منه.

(٢) دارة الشمس هالتها. كيوان: كوكب زحل.

(٣) آل شاذان هم آل الشاعر الشيخ عبدالله بن علي الخليلي فهم من نسل الإمام الخليل بن شاذان بن الإمام الصلت بن مالك الخروصي.

الإخوانيات الثانية

(١) حلبة الربيع[١]

أنشأها جوابا لأخيه وصديقه الشيخ الفقيه والنابه الأديب الربيع بن المر المزروعي

يا مطلق العنان سَبْحاً يَثِبُ ... حياك من ذاك العنان الدَّأَبُ
حياك من نحو قيسه ... وقِسِّهِ[٣] فشعره والخطب
حياك من نحو السماء شمسُها ... منيرة وبدرُها والكوكب
حياك من فصل الربيع نُوْرُهُ ... ونَوْرُهُ ودوحه والكوكب[٤]
حياك من هذي الحياة سعدها ... وجدها وفخرها والرتب
حيتك من حظائر القدس المنى ... ومن حظيرة الجلال يعرب
حيتك أنفاس الهنا ضاحكة ... والمرزمات والدموع تسكب
حيي الربيعَ الحرَّ في أخلاقه ... زهرُ الربيعِ وشذاه الطيب

---

(١) راجعتها طبقا لنسختها في ديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) الشيخ الأستاذ الربيع بن المر بن نصيب المزروعي نحوي شاعر فقيه، من ولاية الرستاق، انتقل إلى مسقط وكان زميلا لسماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي في التدريس بمسجد الخور بمسقط. ترك قصائد في فنون الشعر أشهرها الرثاء. توفي رحمه الله في السابع من ذي الحجة عام ١٤٠٢هـ/ ٢٦ من سبتمبر ١٩٨٢م. معجم شعراء الإباضية لعلي بن هاشل السعدي، الترجمة رقم ١٠٣، ص١١١.

(٣) قيسه: يعني الشاعر الجاهلي الكبير امرأ القيس الكندي، وقسه: هو قس بن ساعدة بن حذافة بن زفر بن إياد بن نزار الإيادي، كان خطيبا حكيما عاقلا له نباهة وفضل، أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية، سمع النبي صلى الله عليه وسلم حكمته، معدود في الصحابة. أنظر كتاب شرف المصطفى، لعبد الملك بن محمد النيسابوري، الجزء الأول ص٢١٢.

(٤) نور الربيع ضياء نهاره، ونَوْرُه: زهرُه. والدوح الشجر العظيم.

فإن يكنه المر[١] في محتده ... فذاك في حلو جناه السبب
صِنْوان هذا لك حلوٌ طعمه ... وذاك مرٌّ للشفا يُسْتَعْذَب
سلالة المر سلاماً زاكيا ... يحسد فيه المشرقين المغرب
ربيع قلبي وربيع ناظري ... حُييت ما حَييت أنى تذهب
ربيع أرسلت العنان سابقاً ... فاندحر الشقر وحاص الشهب[٢]
فإن يكن من ألف غَلْوَةٍ جرى ... فذاك شوط باركته العرب[٣]
وإن يكن جلّى وصلّت خلفه ... شقر المدى فإنه المقرب[٤]
هذا جوادي في العنان ما يرى ... في عينه شوطاً عليه يثب
يَنْقَضُّ خلف البرق في طريقه ... فيقتفيه البرق وهو متعب
ويتبع العين فيجتاز المدى ... أمامها وهو جريء ذرب[٥]
أزجره فلا يراه ناظري ... جرياً وأرخى شِكله فيلعب[٦]
هلم إخوان الصفا إلى اللقا ... في حلبة يمرح فيها الأشهب
هلم أهل الله لا يعتاقنا ... دون الصوى كاسِرُهُنَّ الأغلب

---

(١) المر هو والد الشيخ الربيع.

(٢) الشُّقْرُ: جمع أشقر، والشُّهُبُ: جمع أشْهَب، وهما من ألوان الأفراس كنّى بهما الشاعر عن فئات حملة العلم بين عالم لغة وعالم فقه. وهذا مديح في الشيخ الربيع بصفته فارسا في ميدان العلم، يَبُزُّ بمعارفه أقرانه كما يَبُزُّ الفرس النجيب غيره من الأفراس. قرر ذلك الشيخ عبدالله في قوله: أرسلتَ العنان سابقا فاندحر الشُّقْرُ وحاص الشُّهْبُ. فاندحر الشُّقْرُ: أي انهزموا، وحاص الشُّهْبُ أي عدلوا ورجعوا عن أقوالهم إلى أقواله لسعة علمه.

(٣) الغَلْوَةُ: من مفاهيم الأقدمين لتقدير المسافة، وتقدر بثلاث مئة ذراع إلى أربع مئة.

(٤) جلَّى الفرسُ جاء سابقا غيره من الخيول. صلَّت خلفه: جاء الفرسُ مُصَلّيا أي الثاني في السباق. شقر المدى: الشقر جمع أشقر، وهي الخيول، وإضافتها إلى المدى يعني خيل السباق.

(٥) ذرب: من ذرب السيف إذا كان حادًا ماضياً، وذرب اللسان إذا فصُح، وذرب الفرس إذا كان عادياً.

(٦) الشِّكل: المثيل والشبيه.

يا وطني ليهنك المجد الذي ورثته والطارق المكتسب
يا وطني أنعم صباحاً فإذا أمسيت حيًا طالعيك الأرب
النور في غرة ما تكتبه والنار في غرار ما تَنَكَّب[1]
عَتْبُكَ يا ربيع ما أعذبه لديّ والعُتْبُ الكريم يعذب
وافت كما شاء الوفا رسالة منك فهز جانبي الطرب
ترغب في بضاعتي وسوقها كاسدة فكيف بي لا أرغب
عَدَتْكَ عدوى بيئتي في أهلها أن كاد فيها ليموت الأدب
كتبتُ ما سَوّدته منذ الصبا جميعه لو كان لي ما يكتب
فكيف بالنزر الذي تطلبه في قدر يَجِلُّ عنه الطلب
أو أسعفت سبابتي ومقلتي كتبته لو كاتب مهذب
لكن لما ذكرت في مجتمعي تأثيره فأين منه المهرب
من الوفاء أن أوافيك بما أردته لو كان مما يصعب
ربيع قم بي نقطع الغاب على ضوء الهدى إلى الهدى نصطحب
مجتمعاً يشهده ويرتضي شاهده رب الهدى فالطيب
مجتمعاً يبارك الله على جامعه وجمعه ويهب
خلائف الله عليكم للهدى حق وقد ساء به المنقلب
خلائف الله أفي دفاتر أم في الصدور ما إليه الرغب
يحتكر الجبس الثرى[2] مضنة والعلم ينمو كنزه إذ يوهب
العلم نور الله في عياله لولاه أودى بالجميع الغيهب[3]

(١) الغرة من كل شيء أوله وأكرمه. والغِرار: حد السيف.
(٢) الجبس: البخيل. الثرى: المال الكثير.
(٣) عيال الله: خَلْقُه. والغيهب: الظلام.

والعلم عرش لا تراه لاصقاً ... بالفرش حاشاه ومن يكتسب
والعلم في نهضته إنْ صَدَقَتْ ... إرادة لا تحتويها الكتب
ينفق فيها عمره مُوَفَّقُ ... والله يعطي من يشا ويُكسب
والناس كالأرض فهذي سبخة ... لا تنبت العشب وهذي تُعْشِب
يُنْبِتُ تُرْبَ هذه قطرُ الندى ... وتلك لا ينفع فيها الصَّيِّب[1]
وهاك مني يا ربيع نفثة ... جياشة معينها لا ينضب[2]
والحمد لله الذي خوّلني ... من فيضه الوهبيِّ ما أستوهب
حمداً يؤدي واجبا من حقه ... ويختم القصد بما يُقَرِّبُ

* * * * *

(١) قطر الندى: الندى بخار يتكاثف في طبقات الجو الباردة في أثناء الليل ويسقطُ على الأرض قطرات صغيرة. والصَيّب: المطر المتدفق، والأصل هو سحاب كثيف قاتم يهل بمطر شديد الانصباب.

(٢) لفظة النفثة لها معاني متعددة، وفي هذا السياق تعني ما يزفر به صدر الأديب من الشعر على غرار قول القائل ما أحسن نفثات فلان أي ما أحسن شعره. وجيّاشة من جاش الشعر في خاطره أي تدفق بالشعر.

(٢) على شعر ابن الدُّمَـيْـنَـة[١]

أنشأها جوابا للشاعر الأديب أحمد بن عبد الله الحارثي نزولا على رغبته في تضمين أبيات ابن الدُّمَـيْـنَـة

سلام كأن الحسن فيه حبيبُ ... يداري الهوى والدهر ثَمَّ رقيبُ
سلام كأن الوصل فيه إشارة ... تعبر عما في الرضا فتصيب
سلام كأنفاس النسيم إذا سرى ... ولليل من نشر الأحبة طيب
سلام إذا ماد الخيال بأهله ... غراماً تجلى فيه وهو طروب
سلام تهادى بي إلى نفحاته ... ملامح تجلو الشعر وهو قشيب
أطوف به في الأرض شرقاً ومغربا ... وأهفو به والناس فيّ ضروب[٢]

---

(١) راجعتها طبقا لنسختها في ديوان وحي العبقرية المطبوع. ابن الدُّمَـيْـنَـة: هو عبدالله بن عبيدالله بن عمرو بن مالك الخثعمي، والدُّمَـيْـنَة أمه، وقد شهر بالنسبة إليها، واسمها الدُّمَـيْـنَة بنت حذيفة من بني سلول. شاعر بدوي من العصر الأموي من أرق الشعراء وأعذبهم شعرا، قلَّ أنْ يُرى مادحًا أو هاجيا، أكثر شعره الغزل والنسيب والفخر. فارسٌ شجاعٌ، كان جميل الخلقة، فصيح اللسان، شديد الغيرة، معدود من شعراء الغزل العذري العفيف، وفي شعره ما يدل على فصاحته وفطرته العذرية. توفي غيلة عام ١٣٠هـ. وهذا التراسل بين الشيخين عبدالله الخليلي وأحمد الحارثي حول قصيدة ابن الدُّمَـيْـنَة التي مطلعها: أَمِـنْـكِ، أُمَيْمُ، الدارُ غيَّرَها البِلَى ... وهَـيَّـفَ بجولان التراب لعوبُ. والقصيدة واحدة من قصائده التي هام فيها بمحبوبته أميمة الأكلبية التي بادلته حبا بحب. أنظر ديوان ابن الدُّمَـيْـنَة، صنعة أبي العباس ثعلب، ومحمد بن حبيب، تحقيق أحمد راتب النَّفَّـاخ، مكتبة دار العروبة، القاهرة، بدون تاريخ نشر، ص ١١، وص ٩٨.

(٢) ضُرُوبُ جمع ضَرْب والضَّرْبُ: المِثْلُ والشكل. والصنف والنوع. والشاعر يعني أن فئات الناس الذين يطوف عليهم بالسلام هم على شاكلته في رد التحية، فهم بين مطيّب ما بين التحيات والثناء، ومباركٌ بين اللابتين رحيب.

مُطَيّبٌ ما بين التحيات والثنا ... مُبَارَكٌ بين اللاّبَتَيْن رحيب[١]
على الطائر الميمون في دوحة العلى ... على الغَرِدِ الصدَّاح وهو يهيب[٢]
على الحمد في معناه أو في لسانه ... وما الحمد إلا سائل ومجيب
على نابغيٍّ كل ما فيه آية ... وكم قام منه شاعر وخطيب
أخا الحارث الهمَّام هلا بقية ... فكم طويت بالحب فيك قلوب
تنازعني أشطان شوق مبرح ... وكم نازع الأشواق فيك أريب[٣]
وتزجي إليّ الشعر سحراً فنونه ... إذا لامس المِعْزَى تكاد تذوب[٤]
أداري الهوى فيه لأدرك بغيتي ... عليه ولكن لا أكاد أصيب
وأركب منه أشقراً إن زجرته ... طغى بي ولكني عليه نجيب
أمارس منه عبقرياً مهذبا ... ويعرف مني مثله فيطيب
وأزجره بين الصراحة والخفا ... فيبدو لعيني تارة ويغيب
هو الشعر حتى يستهان بأهله ... عزيز ولو أخْنَتْ[٥]عليه خطوب

---

(١) اللاّبتين مُثَنَّى لابة وهي الحرة. وفي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حرَّم ما بين لابتي المدينة. ولابتا المدينة صخور سود تكتنفانها من جهتين يقال إن أصلها صخور بركانية. وحين وصفت السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أباها الصديق رضوان الله عليه قالت بأنه: "بعيد ما بين اللابتين" أرادت أنه واسع الصدر. واستعار الأدباء اللابة ليصفوا بها نسب الرجل النسيب فإذا ما اجتمع له نسب كريم من جهة أبيه وأمه قيل التقت عليه اللاَّبتان.

(٢) على الطائر الميمون: أي سر موفقا. هذه العبارة مصطلح شائع بمعنى الدعاء بالبركة والتوفيق للمقولة له. الغَرِدُ والغِرِّيْدُ الطائرُ والإنسانُ إذا رفع صوتَه بالغناء. والصدَّاح رديفة الغرِّيد فهي أيضا بمعنى رَفْعُ الصوت بالغناء سواء كان طيرا أو إنسانا مغنيا.

(٣) الأشطان جمع شَطَن وهو الحبل الطويل يُستقى به من البئر أو تشدُّ به الدابّة. وهو في البيت كناية عن روابط المحبة الموجبة لشوق المحب لمن أحب إذا هو غاب عنه.

(٤) المِعْزَى: الأرضُ الحَزْنَةُ الغليظةُ ذات الحجارة الصلبة. وفي البيت كناية عن شدة تأثير الشعر.

(٥) أخْنَتْ: أهْلَكَتْ.

على أحمد مني التحية ضائعاً ... شذاها[١] له في الخافقين هبُوب
تغاديه بالكافور غادية صبا[٢] ... وتُمسي به بالمسك وهي جنوب
وتلثم منه كالمهند مقولا[٣] ... وقلبا يبث السحر منه أديب
إليك أخي عني وعمَّا أكنُّه ... لمثلك لو أن الغرام لهيب
بعثت إليَّ ابن الدُّمَيْنَةَ شاعراً ... يقول فأصغي والزمان يجيب
"أحقا عباد الله أن لست خارجاً ... ولا والجاً إلا عليّ رقيب"[٤]
"ولا ماشياً وحدي ولا في جماعة ... من الناس إلا قيل أنت مريب"
"كبير عدو أو صغير ملقن ... لتدبير أحوال الرجال لبيب"
وأحسب أن الشعر هذا رأيته ... لآخر غير ابن الدمين يهيب
رأيت بنات الدهر سوداً كوالحا ... عشاراً يلدن الخطب وهو عصيب[٥]
تغادر جيلا بعد جيل عوابسا ... رواحلها الأسواء وهي نحيب
وتأخذ أعناق الرجال كأنها ... مذابح جزار لقاه رهيب
هو الدهر كم قاسى الأذى من بناته ... وقاسين منه والخطوب نيوب[٦]

(١) ضائع من ضاع يضوع ضوعا فهو ضائع. ضاع العطر فاح وانتشر. والشذا قوة الرائحة.
(٢) تغاديه من غادى يغادي فهو مغادٍ والمغاداة المباكرة. غادية: سحابة تمطر أول الصباح. وصبا: ريح تهب من جهة الشرق.
(٣) المقول: اللسان.
(٤) الأبيات الواقعة بين علامات التنصيص لم يُذكر هنا ولا في نسخة القصيدة بديوان وحي العبقرية نسبتها لابن الدمينة. وفي بحثي عنها وجدت من ينسبها له ولغيره من الشعراء القدامى كقيس بن الملوح تماما كما قال أمير البيان: "وأحسب أن الشعر هذا رأيته .. لآخر غير ابن الدمين يهيب".
(٥) بنات الدهر: شدائدُه. عشارا: أي ذوات حمل.
(٦) الخطوب جمع خطب وهو الحال والشأن. النيوب جمع ناب، والناب سن بجانب الرباعية.

هو الدهر كم أخنى به الذل خانعا[١] وكم ذل فيه سالب وسليب
لحاه لحاه الله أمَّا صفاؤه فَذَاوٍ وأمَّا غِشه فرطيب[٢]
يوزع فينا السم لا نحن نتقي ولا هو يرعى حقنا فيثوب[٣]
ويملأ فينا الكأس صرفاً[٤]فَنَنْثَنِيْ ونحن سكارى والحياة عيوب
إذا أنعشتنا نفحة الصحو لحظة رأينا طريق الرشد وهو خصيب
فيا ليته أرخى العِنان[٥] مسامحا فنختار ما نختاره ونعيب
ويا ليته إن لم يسامح رعى لنا تَجَمُّلَنَا[٦]والنائبات تنوب
وبادلنا معشار عشر[٧]وفائنا وإحساننا إذ كان وهو حبيب
ولكن غوى فينا فأغوى نفوسنا وللإبن من معنى أبيه نصيب
ترى الكل مذ كان الوجود يسبه وما هو إلا منه حيث يريب
عفا الله عنهم أو رماهم بذنبهم نفاق وقول كالسراب كذوب
إلى الله ما أبدي وأخفي وأتقي وأرجوه والفتح المبين قريب
وحسبي رضاه لو جفا الناس موقفي كأني غريب فيهمُ وعجيب
وحسبيَ أن أغدو وأمسي موفقاً معافىً وطير الحادثات غريب
أفض الهنا بالسعد عن مسك خاتم من اللطف والبدر التمام رقيب

* * * * *

(١) أخنى عليه الدهر: جار عليه، أهلكه. خانع: خاضع لصرفه.
(٢) ذاوٍ: ذابل.
(٣) يثوب: يرجع.
(٤) الصرف الشيء الخالص الذي لم يختلط بغيره. وفي الخمر إذا شربت غير ممزوجة بماء.
(٥) العنان اللجام الذي تُلجم به الخيل وهو حديدة توضع في فمها لكبحها.
(٦) تَجَمُّلَنَا: تَصَبُّرَنا.
(٧) العُشْرُ هو جزءٌ من عشرة وهو المعشار أيضا.

(٣) سَعْد وسُعَيد[١]

أنشاها بالكويت جوابا لأخيه الشاعر أحمد بن عبد الله الحارثي على قصيدة أرسلها إليه هنالك

أأشجاه ترجيع الحمام فَغَرَّدَا ... أم ارتاع منه إذْ شَدَا فَتَنَهَّدَا
أم ارتاح للطَّيْف الذي زارنا هَدَا[٢] ... على حلمتيه المسك أذفر أسودا
أم اشتاق للمغنى المريع وأهله ... مطالع أقمار الحياتين سرمدا
سلاه .. سلاه أو دعاه فإنه ... أخو همَّة تأبى له أن يفندا
خليلي ما بين الطريقين ثالث ... دنو مريح أو تناء إلى مدى
ويختلف الهمَّان والوجه واحد ... وتختلف الأهداف لو قد توحدا
فإن تلق في هذا السعادة والهنا ... وإلا ففي ذيَّاك تلقاك أسعدا
وقد تلقى لا تلق السعادة عنوة ... ولكن صراع الجد للجد أوجدا
رأى سعدُ ما لاقى سُعيدُ فهاله ... وعيد أخي البتراء إذ قام مزبدا
يزمجرُ بين الناس أمَّا وعيدُه ... فَصَابٌ[٣] وأما الوعد فالشهدُ أبردا
ولمَّا اطمأنت نفسه أو تَطَامَنَتْ[٤] ... تطاول لا يرضى على الأرض مُسعدا
لحاه .. لحاه الله لا دَرَّ دَرُّهُ[٥] ... أيلبس باللؤم التحلم مُرْتَدَى
أقول لسعد والقضاء كأنما ... يحاول من سعد لِحَدَّيْهِ مغمدا

---

(١) راجعتها طبقا لنسختها في الديوان المطبوع لوحي العبقرية.

(٢) زارنا هَدَا: زارنا ليلا. أصل الكلمة: هَدَأَ يَهْدَأُ هَدْءاً وهُدُوءاً: سَكَن، يكون في سكون الحركة والصَّوْت.

(٣) الصابُ: المُر. يريد أن وعيده مر. والصاب هو شجر به عصارة بيضاء كاللبن بالغة المرارة إذا أصابت العين أتلفتها.

(٤) تَطَامَنَتْ: سَكَنَتْ.

(٥) لا دَرَّ دَرُّهُ: لا أكثر الله خيره.

أخا ابن أبيه ما دعاك إلى الذي ... أراه وقد كنت السعيد المُسَوَّدا
فقال هي الدنيا ودونك قصتي ... بها عظة للمبصرين ومُهتدَى
لقد كان بيتي ما به غير إخوتي ... وإبني وأهلي نقتنيه مخلدا
وكانت يدي تأتي بما تستطيعه ... وأيديهمُ مثلي وفي كسبنا الجِدَا[١]
نروح ونغدو سالمين من الأذى ... يُراوحنا رَوْحُ[٢] المهيمن بالنَّدى
فساورنا فكر الغِنى ونعيمه ... فكان الشريك مستبداً مبددا[٣]
مشينا إلى عمرو وقد كان ذا غنى ... فقال لنا سعداً وما كان أسعدا
فأرخى علينا المال نرخي عنانه ... فيطغى ونطغى فوقه ما تمردا
وقد كان أَنْسَانَا الحياتين غيره ... ولكن عَمْراً لم يكن عابثاً سُدَى[٤]
يطفف فينا الكيل من حيث جهلنا ... ولم نَكُ ندري أن في الكيل أَكْيَدَا[٥]
ويُشْرِبُنَا أَرْيَ التَّبَسُّم بيننا ... وفي كأسه السم الذعاف مُشَهَّدَا[٦]
فلم أَدَّكِرْ[٧] إلا وعَمْرو بعتبتي ... يقول ألا قد آنَ أنْ نقطع اليدا
ولكنني والبيت لا بيت غيره ... ولا وفر يكفيني أأمسي مشردا
فقلت أما ترضى بما كنت راضيا ... به يوم قمنا صفقة[٨] لن تحددا
رضيتُ اليسير حينذاك ولم تزل ... تبادلني الإحسان كي أتوددا

---

(١) الجِدَا: الفائدة.

(٢) الرَّوْحُ: الرحمة والفرج.

(٣) المساورة ما يأخذ في البال من شكوك وهموم وتفكير. مستبد برأيه متعصب له متصلب فيه.
مبدد: من بدَّدَ الشيء إذا فرَّقه.

(٤) سُدَى: مُهْمَلٌ، دون فائدة، عاطل.

(٥) أَكْيَدَا: أكثرُ كيدا.

(٦) الأَرْيُ: العسل. السم الذعاف: السم السريع القتل. مُشَهَّدَا أي مشوبٌ بالشهد وهو العسل.

(٧) لم أَدَّكِرْ لم أعتبر، لم أنتبه من غفلتي.

(٨) الصفقة: البيعة سواء كانت بالمال أو بالعهد.

ولكن تناسيتَ الوفا أو نسيته ... وللطبع قهر لم يزل متمردا
فقال اتئد[١] يا سعد إني لمشفق ... عليك وحاذر أن تصاب تعمُّدا
فأصبحت فيها عافياً شركة الإنا ... أتعذلني إن أَنْأَ[٢] عنها مبلّدا
فقلت له أصحرت يا سعد فاصطبر ... لك الله توفيقاً لك الله موعدا
وساريةٌ والعَرْفُ أدهى رفاقها ... عليها وما النمَّامُ لو كان سيدا[٣]
عليها خمارٌ من عبير تشدُّه ... على نحرها بالمسك زرًّا مُعَقَّدَا[٤]
مهيمنة واللطف ينساب تحتها ... تداعب حتى في القراب المهندا
ندية أحشاء الخمار كأنما ... بها طيب أنفاس الحبيب إذا اغتدى
لك الخيرُ هل زُرْتَ الحمى بعد هجعة ... فأمكنك اللطفُ الخفيّ فأوردا
وساعدك الطرْفُ المريض بنظرة ... ومَدَّتْ لك الأنفاسُ من طيبها يدا
فكنت الصَّبا شارَكَتْ في لفظه الصِّبا ... ومعناه حتى كنت منه المُقَلَّدَا
وإلا فما هذا النشاط الذي أرى ... كما ظفر المشتاق بالوصل مفردا
على أحمد مني السلام تحية ... يروح بها روح النسيم مغردا
سلالة عبد الله ما لي مطمح ... سواك إذا فكري أغار وأنجدا[٥]

---

(١) اتئد: تمهّل، تأنَّى.

(٢) عافيا: تاركا. أَنْأَ: أبْعُد.

(٣) السارية السحابة تمطر ليلا، ولكنها هنا في معنى المرأة. العَرْفُ: الرائحة. والنمام: الواشي.

(٤) زرًّا مُعَقَّدَا: أي جمعت خمارها وعقدته حول عنقها، من زَرَّ الشيء إذا جمعه جمعا شديدا. يقال: زَرَّ القميص إذا أدخل أزراره في العُرَى.

(٥) أغارَ بفكره مأخوذةٌ من أتى الرجلُ الغورَ، والغورُ كل منخفض عمق في الأرض والمعنى المقصود: ذهب فكره في الأمر عميقا. وأنجدَ بفكره أي طَوَّفَ به في أفق عال، مأخوذةٌ من أتى النجدَ وهو ما علا وارتفع من الأرض.

أجاريك مرتاحاً وأشآك خلسة ... وقد كدت تشآني المدى متعمدا[١]
ينازعني طِرفي مداك وما له ... سوى غاية أنت الذي كنتها الهدى[٢]
وأبصر من تحت الغطاء إشارة ... تبين عن البصمات خطاً محددا
تجاذبني حفظي وما كنت ناسياً ... ولا كاد ينسيني الزمانُ الذي اعتدى
رأى صاحبي دربي فأبكاه بعدها ... فقلت له مهلا لقد قارب المدى[٣]
كلانا أخو هَمٍّ فمن زاد صبره ... فذلك أحرى أن يكون المُمَجَّدا
ولما بدت أرض الفرزدق غدوة ... حللت بقوم جارهم لن يهددا
همُ القوم أعلام الكويت الألى بنوا ... بساحتها صرح المعالي ممردا
همُ القوم أبناء الصباح وهمْ همُ ... بُناة المعالي وارثو المجد سؤددا
حللت بهم منهم فقلت مضمنا ... (أراشوا جناحي ثم بلُّوه بالندى)[٤]
على ساكني فيحا عُمان تحية ... وإن أَبْتَعِدْهُمْ كارهاً متجلدا

---

(١) أشآك: أسبقُك.

(٢) الطِّرْفُ (بكسر الطاء): الفَرَس.

(٣) كلمة (قارَب) وردت في نسخة القصيدة بالديوان المطبوع: (قَرّب).

(٤) هذا شطر من بيت من قصيدة للشاعر الأندلسي ابن اللبانة اللخمي يقول فيها:

بروحي وأهلي جيرة ما استعنتهم ... على الدهر إلا وانثنيت معانا
أراشوا جناحي ثم بلُّوه بالندى ... فلم أستطع من أرضهم طيرانا

وابن اللبانة هو أبوبكر محمد بن عيسى بن محمد اللخمي، ويعرف أيضا بابن اللبانة الداني، شاعر أندلسي توفي سنة ٥٠٧هـ، كان من أهم وأشهر شعراء عصره، وكان مقربا من ملك إشبيلية الشاعر المعتمد بن عبّاد، وكلا الرجلين تجمعهما آصرتا الشعر البديع والنسب اللخمي الرفيع، إذ المعتمد من سلالة الملك النعمان بن المنذر اللخمي. ولهذا السبب ظل ابن اللبَّانة مخلصا لابن عبّاد حتى بعد سقوط مملكته وأسره حيث استمر في التردد عليه زائرا له في معتقله. أنظر ديوان ابن اللبانة الداني، جمع وتحقيق الأستاذ الدكتور محمد مجيد السعيد، دار الراية للنشر والتوزيع، عمَّان، الأردن، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، القصيدة رقم ٨٤، ص ١٣٨.

سمائل ما أنساك دهري على الوفا ... وإن شط بي عنك المقام وأبعدا
مطالع أقماري ومرعى شبيبتي ... ومرتع أنسي فَلْيَكُ الأنس معبدا
رأت جيرتي همي فأرخت ستورها ... عليّ ولكن طالما كنت أجلدا
تجاذبني ثوبي ودمعي ودمعها ... سجال إذا ما بللا الأرض وَرَّدَا
أفي لُبْثَتِي ما أبتغيه فأنثني ... لك الخير لكنْ فَلْيَكُ العود أحمدا
على اللّه أنْ لا تُسْتَهاني وديعة ... بساحته الفيحا ونفسي لك الفدا
سلام عليكم لا يكن آخر اللقا ... غداة وقفنا للوداع تنهدا
وإن شط ما بيني وبينكم النوى ... فما زال قلبي فيكمُ مترددا
عليكم عيون اللّه خير رعاية ... وحسبيَ ظلّ اللّه شَدًّا ومَقْصَدَا

* * * * *

(٤) لغة العز[١]

قالها جوابا للشاعر سالم بن سليمان البهلاني[٢] بالنيابة عن سماحة العلامة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي[٣]

كلمات على المنابر تُـنْـشَـدْ ... صانها الله للنجار المُـسَـوَّدْ
لغـة العـز والـزمـان ذليـل ... عـن فـم الحق وهـو غير مصفّدْ
لم تصغها غير المعالي عقودا ... زانـت الكون في جمال المُقَلَّدْ
سـرُّ آي الكتـاب رمـز معانيـ ... ـه إذا حـاد عـن هـداه المُقَلِّد
حكمـة الله في مواهبـه البيـ ... ـض عليها من اللَّدُنيِّ[٤] مشهد
لم يـرقها هذا الوجود بما فيـ ... ـه ولو كان من لجين وعسجد[٥]
حركتها إلـى المهيمن غـايا ... ت المجلي فبادرت وهي سُهَّد[٦]
واطَّبَاها نحو الجلال الإلهـ ... ـي جمال المغنى فهامت لتسعد[٧]
وهـداها الغـرام لكن إلـى الكأ ... س المصفى فأقبلت تتجرد[٨]

---

(١) راجعتها طبقا لنسختها في ديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) أنظر التعريف به في الحاشية رقم ١، في القصيدة رقم ٥١.

(٣) يرتبط أمير البيان وسماحة الشيخ العلامة أحمد بن حمد بن سليمان الخليلي بآصرتي نسب ومصاهرة، فمن ناحية النسب ينحدر الرجلان من الإمام الخليل بن العلامة شاذان بن الإمام الصلت بن مالك الخروصي. ومن ناحية المصاهرة فقرينة الشيخ المفتي هي كريمة أمير البيان الشاعر الكبير واللغوي النحرير الشيخ عبدالله بن علي بن عبدالله الخليلي.

(٤) العلم اللَّدُني: علم ربَّاني يصل لصاحبه عن طريق الإلهام.

(٥) اللجين: الفضة. العسجد: الذهب.

(٦) سُهَّد: يقظة حذرة.

(٧) اطَّبَاهُ: دعاه، قرَّبَه إليه.

(٨) تتجرد هنا بمعنى تتفرغ لما هي بصدده من القرب.

وترامى بها إلى حضرة القر ... ب هوى عن هوانه قد تجرَّد[١]
وسقاها خمر المحبة صِرفا[٢] ... من دعاها فلم تكد تتبلَّد
أتُراها ترى هناك خيالا ... لسواها تحت الحقيقة يوجد
أم تُراها ترى الحطام بعينيْـ ... ـها وقد أبصرت مقام التجرد
أم تُراها ترنو البسيطة والعيْـ ... ـن عن الغير في عمىً يتجدد
أم تُراها تُطيق كبح زناد الشْـ ... ـشَوْق منها والشوق نار تَوَقَّدْ
يا تُرى هل لعاشق الذات ذاتٌ ... إنَّ ذاتَ العشاقِ ذوبٌ مُبَدَّد
عَشِقَ الناسُ والمذاهبُ شتى ... والعناوينُ للمقاصد تشهد
ومحالٌ أن يقطع العمرَ إنسا ... نٌ بلا نزعة إلى أي مقصد
وهنا كم تفاوت الناس أقدا ... راً فهذا عبد وذلك سَيِّدْ
يا أديب الزمان يا واحد الشعـ ... ـر هنيئاً لك الفخار المُخَلَّدْ
جئت بالشعر ساحراً في معانيـ ... ـه فهل كان سحرُه لك مورد
يا ابنَ صنو الفذِّ الذي شهد الدهـ ... ـر له أبو الشعر سرمد[٣]
ذهل الفن عن مقام أبي مسْـ ... ـلِمٍ إذْ قام وهو في الفن أوحد
وجدير بالفرع أن يخلف الأصْـ ... ـل ولله عادة لا تَفَنَّدْ[٤]

(١) تجرد هنا بمعنى تحرر وتخلَّص.

(٢) الصِّرْفُ: الخالص غير المشوب بغيره.

(٣) الإشارة هنا إلى الشيخ العلامة الفقيه الشاعر الكبير ناصر بن سالم بن عديّم الرواحي رحمه الله تعالى.

(٤) لا تَفَنَّد: لا تُخْطئ.

إيــه يـا ســالــم تـلـقـيـتُ نـظـماً ... منك كالدر صيغ عقداً لفرقد
مـا تــقــلــدتُّــه لـذاتــي لكــن ... لـك إذ أنـــت رُوحـــه أتــقـلـد
أنــا دون الــذي ظـنـنـت ولكن ... نـظــرة الله نعمــة لا تـحـدد
ورجـائـي في الله خير وحسبيـ ... ـه رجـــاء إذا مقــامي تبلَّد
وســلام عـلـيـك منـــي بـــه ينـ ... ـفتح الـزهـر عـن جـمـال مـورَّد
وخـتـامـاً أزجـــي إلـيـك ثـنـائي ... كلمات على المنابر تُنْشَدْ

* * * * *

(٥) لشيخنا ابن عُبيد[١]

أنشأها جوابا على رسالة بعث بها إليه الشيخ العلامة أبو عبيد السليمي[٢]

سلامٌ كما فُضَّ الخِتَامُ عن العِطْرِ ... وفاح نسيم الروض عن أَرَجِ الزَّهْرِ
سلام من الفردوس فيه نفائح ... تعطر بين الخافقين مدى الدهر
سلام به ريح القميص إذا سرى ... وصافح خد الورد يعبق بالنشر
عليكم رجال العلم والحلم والندى ... وأهل الصفا العذب في السر والجهر
إلى ابن عبيد الأريحي تحية ... يضوع بها نشر العناية بالشكر
أيا حمد أنت الذي كل نسجه ... سوابغ تُلوى بالمُفَلَّلَةِ البُتر
أيا شيخنا أحكمت كل عصية ... فَعُدْتَ من التوفيق بالحلل الخضر
وأفعمت بالإحسان كأسا روية ... فحسبك أن تهنا الشراب من النهر
ورضت جماع الفكر غير مُنازَعٍ ... فذلت لك الأفهام في قالب السر

---

(١) راجعتها طبقا لنسختها في ديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) الشيخ حمد بن عبيد بن مسلم السليمي، عالم فقيه، وأديب ناظم للشعر. ولد في بلدة سَدّي بولاية إزكي سنة (١٢٨٠هـ). كُفَّ بصرُه في مستهل عمره، فلم يؤثر في همته ونشاطه حيث حرص على التحصيل العلمي حتى تخرج فقيها حاذقا متبصّرا في الأحكام الشرعية واشتهر برأيه ودهائه. تلمذ عليه عدد ممن حملوا راية العلم والأدب بعده، مثل الشيخ خلفان بن جميّل، والشيخ سالم بن حمود، وأمير البيان الشيخ عبدالله بن علي الخليلي. ترك عددا من المؤلفات تراوحت بين المصنفات العقيدية والفقهية النظمية. يصفه بعض الأدباء بأنه من أجود شعراء عمان في العصر الحديث. أرَّخ في قصائده لوقائع عصره، ومن هذه الناحية يكتسب شعره أهمية تاريخية. توفي رحمه الله تعالى سنة ١٣٩٠هـ، بعد أن عُمِّرَ تسعين عاما. تفاصيل أوفى عن سيرته تجدها في معجم شعراء الإباضية لفهد السعدي، الترجمة رقم ٥٣، ص ٥٩.

وسُسْتَ فما أعياك درْكُ قضية ... منالا ولا خانتك بَيِّنَة الفكر[١]
وحَبَّرْتَ موضون[٢] المعاني فأشرقت ... بِمُوشِيِّها المرقوم سطراً على سطر
وبَرَّزْتَ آيات الشرائع فانجلت ... كما تنجلي الأقمار في الأنجم الزهر
وقلت فقال الكون حتى جماده ... وحتى لسان الحوت في لجج البحر
لك الله هل فوق النبوغ مقامة ... وهل فوق كسب الحمد للمرء من فخر
وناهيك عبدالله سبطاً محنكا ... إذا جَلَّت الجُلَّى على جلل الصبر
ويا نجل منصورٍ عَلِيًّا تحية ... تغاديك بالإحسان من حضرة البر
صديقكم في نعمة لا يكاد أن ... يقابلها بالشكر في مدة العمر
وكم من يد لله لو رام شكرها ... وخُلِّد لم يأت القلامة من ظفر
خليليّ ما لي لا أطيق عن الوفا ... نزوعاً ولو ألقيت في لهب الجمر
كأنيَ عذريٌّ ألحَّ به الهوى ... فليس له غير المنية من عذر
سجية نفس حرة قد ترعرعت ... وشبَّت بقيصوم العروبة والسدر[٢]
على رسلكم من كاتبين رسالة ... ومملين تبيان البلاغة والسحر
تلقيتُ أسطارا عليّ كريمة ... فكنت كموسى شاقه مدد الخضر
فإن استطع صبراً فلله همتي ... وإلا فحسبي بغية الفضل من أجر
ترومون مني حلَّ ما حلَّ مثله ... عسير على مثلي ولو لم يكن يدري

---

(١) كلمة (قضية) وردت في الديوان المطبوع: (قصية) بالصاد.

(٢) موضون من الوضن وهو نسج السرير وأشباهه بالجوهر، وهنا يصف أمير البيان النتاج العلمي والأدبي للشيخ السليمي بأنه منسوج بالمعاني النفيسة.

(٣) القيصوم والسدر والشيح من شجر شبه الجزيرة العربية. ويقال في العبارة السائرة: فلان يمضغ الشيح والقيصوم لمن خلصت بدويته، وقد استخدم أمير البيان هنا شجر القيصوم للإشارة إلى نقاء العنصر العربي لممدوحه.

على أنني والفضلُ يُرْعَى لأهله ... عرفت لكم فضل التقدم في الكر[١]
أَلابْنِ جلا فضلٌ على الشمس في الضحى ... ومن نورها نور الطوالع والفجر
ألابن جلا لولا الغزالة حرمة ... تصان كما صان القنا بيضة الخدر[٢]
هلم فإن أمراً أطَقْتُ قَضَيْتُهُ ... وإلا فإنِّي العون في الحادث المر
هلم فإني مستعد لكل ما ... يحاول آلاف الأخوة من أمر
وحسبي وإياكم من الله نفحة ... سماوية يسري بها خالص اليسر
تباركت يا رباه تقضي كما تشا ... وتَقْلِبُ ذات الأمر بطنا إلى ظهر
أدِلْ[٣] لي وإخواني بعز ورفعة ... وفتح وتمكين على راية النصر
وحطني وإياهم بلطف ورأفة ... ويسر وإن اليسر يذهب بالعسر
وصل على المختار ما قال منشد ... سلام كما فض الختام عن العطر

* * * * *

(١) الشطر الأول من هذا البيت ورد في نسخة القصيدة بالديوان المطبوع هكذا: (على أنني لا فضلٌ يُرعى لأهله).

(٢) بيضة الخدر: المصونة من النساء.

(٣) أدِلْ: من أدالَ يُديلُ، إدالة، فهو مُديل، والمفعول مُدَال. أدالَ الشيء: جعله مرة لهذا وتارة لذاك. واللفظة هنا في مقام الدعاء أي اجعل العز دُولة لي ولإخواني.

(٦) بين العزاء والبكاء[١]

أنشأها مجاراة لأخيه الفصيح أحمد بن عبد الله الحارثي[٢] وجوابا له على قصيدة قالها الحارثي يرثي بها الأستاذ النحوي حمدان بن خميِّس اليوسفي[٣]

إرْبَعْ[٤] فإنِّي والهدى وتَلَهُّفِي ... نبكي على وقع المصاب المُؤْسِفِ
إربعِ لتسعد بالبكاء على الأسى ... فلقد كبا[٥] جد العزاء المسعف
اللّهِ في رمق تناساه القضا ... عمداً ليجرض ريقة المتأفف[٦]
اللّهِ في نفس إذا بكت السما ... صعدت به الزفرات حتى الموقف
اللّه في قلب إذا قلبته ... ألفيت فيه جاحما لا ينطفي
لولا سحائب جفنه وسماؤها ... لقضى على الدنيا بأحرق مُتلف
حيران بين عزائه وبكائه ... كالدمع بين تجلد وتلهف

(١) راجعتها طبقا لورودها في ديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) أنظر التعريف به في حاشية على القصيدة رقم ٨ بعنوان: الدهر الفظ.

(٣) الشيخ الأستاذ حمدان بن خميّس بن سالم اليوسفي (١٣١٠هـ/١٨٩٢م-١٣٨٤هـ/١٩٦٥م) عالم بالنحو واللغة. كان حجة أهل زمانه في علم النحو والصرف حتى لَـقَّبَهُ الإمام محمد بن عبدالله الخليلي بسيبويه الثاني. له إنتاج أدبي يشهد له بجزالة شاعريته التي أوقفها رحمه الله في التغني بمناقب العلماء بالإضافة إلى أشعاره الوجدانية والمطارحات الشعرية العلمية ذات المنزع الشرعي واللغوي. كان الشيخ حمدان أستاذا لأمير البيان الشيخ عبدالله الخليلي صاحب هذا الديوان ولكثيرين غيره ممن سعدت بأدبهم عمان. لمزيد من المعرفة عنه أنظر: معجم شعراء الإباضية، لفهد السعدي، الترجمة رقم ٥٧، ص٦٥.

(٤) إربع: أي كُفَّ وارفق وتوقف.

(٥) كبا: عثر.

(٦) الرمق: بقية الروح. أجرضه بريقه: أغصَّه به.

يرنو الحياة بمقلة محتارة ... عَبْرَى[١] وقلب كالحسام المرهف
يرنو إلى ماضيه في أخلاقه ... ويرى مضارعه بعين المصدف
وتراه يغمض والعيون شواخص ... فيه وينظر وهي لما تطرُفِ
أسليل عبد الله هل من سلوة ... تحيي سميّ أبيك غير معنَّفِ[٢]
إن كنت تعلم علمه فلك العزا ... مما يروق العين من ذا الزخرف
أو كنت تحسب للحياة حسابه ... فذر الهناء لذي رياش مُتْرَفِ
أو كنت تنظر في الوجود بعينه ... فدع السنام لذي مرام مسرف[٣]
إن النفوس كما علمت نفيسة ... فقف النفيس على النفيس الأشرف
بالله أحمد إن يومك أحمر ... كدم الشهيد على صعيد صفصف[٤]
فإلام نحن نهيم بين شعابه ... والكأس ترقص في نجيع القرقف[٥]
وإلام نحتضن النضارة حوله ... مثل الطريد على غرير أهيف[٦]
كم لي أسكّن من لواعج مهجتي ... فتهيج كالتنور غير مسقف
شتان بين الطامحين إلى العلى ... والطامحين إلى حطام مقرف[٧]

---

(١) عَبْرَى: مأخوذة بعَبْرَة البكاء.

(٢) غير مُعَنَّف: غير مؤاخذ، غير مُوَبَّخ.

(٣) سنام كل شيء أعلاه. وهذا البيت تفردت به هذه النسخة من القصيدة إذ لم يرد في نسختها بديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٤) يومك أحمر: دلالة على احمرار المقل لشدة البكاء جرَّاء الفقد، وهي على غرار: يومك أسود لشدة الحزن. صفصف المكان على فلان: خلا من غيره، لم يبق فيه سواه. ولفظة صفصف وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: (فَيَذَرُهَا قاعاً صَفْصَفًا). سورة طه الأية: ١٠٦.

(٥) من معاني النجيع: الماء الهنئ المرئ. القرقف: الخمر. بهذا يقول الشاعر: لِمَ نتلذذ بمباهج الحياة والموت متربص بنا؟

(٦) الطريد: المُطَارَد. الأهيف: الضامر البطن.

(٧) المُقْرِف: الخسيس.

دعني أحن إلى الوفاء وأهله ... وأجود فيهم بالدموع الذُّرَّف[١]
المثقلين الأرض من نزق بها ... لولاهم لتراقصت كالأحرف
وَرِثُوا النبيَّ فما أضاعوا إرثه ... وقضوا حياة الزاهد المتعفف[٢]
من كل مرهوب الشباة محنك ... صلب الحكومة ليِّنٌ متصوف[٣]
ومُحَكَّمٌ لم يَعْدُ في أحكامه ... آيَ الكتاب ولم يكن بمطفف
خاض الحياة ظلامها وغمارها ... كالشمس كالسيف الجُرَاز المُشْرِفي[٤]
من لي كمثل أبي خليل في الهدى ... فوق الكمال أمامَ آيِ المصحف[٥]
بين الجلالة والعدالة والتُّقى ... بين الإمامة والصرامة فاعرف
بين السيادة والسياسة والعلى ... بين المنابر والمقام المنصف
مولايَ أرملةٌ وعافٍ مرملٌ ... ويتيمةٌ ظُلِمَتْ ولما تُنْصَفِ
وعزيز قوم ذل تحت ردائه ... وغني قومٍ عالَ دون تكفف[٦]
ومجامع الفتيا ومحراب الدعا ... وجوامع حفظت لكل مُصَنِّفِ
ومكارم وأكارم وصوارم ... ومعالم وعوالم لم تعرف

---

(١) الدموع الذُّرَّف: السائلة.

(٢) هذه إشارة إلى علماء الأمة المسلمة فهم ورثة الأنبياء كما ورد الحديث النبوي بذلك.

(٣) مرهوب الشباة: مرهوب الجانب. وَصَفَ النبيُّ محمد المؤمن بأنه هيّنٌ ليِّن. وفي هذا البيت والذي قبله وبعده يذكر الشيخ عبدالله خصال علماء المسلمين من حيث شدة جانبهم على المعاندين المكابرين، ولين جانبهم للمؤمنين وضعفاء الخلق.

(٤) السيفُ الجُرَازُ المُشْرِفي: السيفُ القاطع المُشرفُ على الأعناق بالموت.

(٥) أبو خليل هو الإمام محمد بن عبدالله الخليلي، وقد جلَّى أمير البيان في الأبيات التالية بعض صفات هذا الإمام رحمه الله تعالى.

(٦) عَالَ اليتيم: كفله وقام بأمر معاشه. وغنيُّ قوم عَالَ دون تَكَفُّفٍ: أي أنه يعطى المحتاجين من غير أن يسألوه ليعطيهم.

سالت مآقيها دماً وتأججت ... أحشاؤها ناراً لفقدك فالطف
لو كان ينفعها البكاء لَذَوَّبَتْ ... حَبَبَ القلوب[١] مدامعاً لم تنزف
أو كان يجديها العويل لأعْوَلَتْ ... والكون بين مذرف ومكفكف[٢]
دعني أشق شغاف قلبي راثيا ... للدين لا للراحل المتخلف[٣]
هو مذ تخلّف عن مراسم ركبنا ... ركب النعيم على وثير الرفرف
لكن ركبنا بعده ظهراً كما ... حددت ناب الهادر المتعجرف
ولكم فتحت العين بعد محمد ... ففتحتها في مثل طبل أجوف
وغضضتها لكن على وخز القنا ... والدهر أفْرَى[٤] من لسان المرجف
فليَ العزا ولكل حر مسلم ... من عزة وكرامة وتصرف
يا للرجال إلى التضامن والإخا ... إنَّ التضامن بغية المتلهف
أَخُلِقْتُمُ كالنائحات حواملا ... حتى يضعن وذاك وعد المخلف
أم كالحجارة لا تلين للامسٍ ... لكن تدين لقامع متعسف
هَزِئَ الزمانُ بكم وأغمض عينه ... عنكم وتلك مكانة المستضعف
والناس بين محدِّث ومحدَّث ... فيكم ورجز[٥] الجهل لما يكشف
الجهل مركبة التزلق فاعدلوا ... عنه الزمام إلى النقيض الأحنف[٦]

---

(١) حَبَبُ القلوب: دمُها أوحشاها.

(٢) العويل: البكاء. ومذرف من ذرف الدمع إذا سال، ومكفكف من كفكف الدمع إذا مسحه مرة بعد مرة.

(٣) شغاف القلب غلافه أو سويداؤه وحبَّتُه.

(٤) أفرى: أقطع، أكثر قطْعا.

(٥) الرِّجْزُ: القَذَرُ. ورِجْزُ الجهل: سُوْءُه.

(٦) الأحنف وصف للدين الذي هو نقيض الجهل.

يا نجل عبد الله قد هيَّجتني ونزفت جفن السادم المتأسف[١]
قد كنت آمل في الزمان بقية فإذا بها مثل الرذاذ الصيّف[٢]
كُرِهَتْ حياة لا يلم اليوسفي بعراصها فثوت برمس اليوسفي[٣]
فلئن شققت شغاف قلبي جازعا فلقد لمست يد الوفا علِّي أفي[٤]
ولئن صبرت على القضاء تجملا فالصبر شيمة كل عالٍ مُشْرِفِ
قلمي أراك على الصحيفة طائشا فلمن تركت الحلم غير مؤلف
إن كان سرك ما يفيض به الحجا في ماضغيك[٥] فذاك للمتصرف
أو كان سرك ما بدا من نوره في الخافقين فصفه غير مكلف
وانشر به ورق العناية ناصعاً واكتب بمسك الختم فضل الأحرف

* * * * *

(١) يا نجل عبدالله: يعني الشيخ أحمد بن عبدالله الحارثي. السادم مأخوذة من سَدِمَ فلانٌ إذا أصابه هم أوغيظ مع حزن.

(٢) الرذاذ الصيِّف: مطر الصيف.

(٣) العراص: الساحات. والرمس: القبر مستويا مع سطح الأرض.

(٤) عَـلِّـيْ أفِـيْ: أي عسى أن أكون موَفّيًا بما له عليَّ من حق. وقد تلقى أمير البيان علم النحو على يد الأستاذ اليوسفي.

(٥) الماضغان: أصلُ اللّحْي عند منبت الأضراس.

(٧) سباق الأعنة[١]

أنشأها جوابا على قصيدتين قالهما الشاعران الفصيحان موسى بن عيسى البكري وحميد بن عبد الله الجامعي

خليليَّ مِنْ أحياء بكر ابن وائلِ ... قفا بي على الحبَّاس[٢] وقفة باسِلِ
ولا تقفا حول القديمة[٣] إنها ... مخبأة تحت القنا والقنابل
بقلب العدا إن كان للقوم صارم ... فيا داعياً لله قف غير خامل
لقد صُمَّت الأسماع عن كل قائل ... وأعميت الأبصار عن كل صائل
وما انفكَّت الدنيا ومن في أديمها ... على الخسف مطواة عمامة دائل[٤]
ركبتُ عِنان الحق حتى أَلِفْتُهُ ... فمن للساني أن يفوه بباطل

---

(١) راجعتها طبقا لنسختها في ديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) بكر بن وائل: هذه إشارة إلى نسب الشاعر موسى بن عيسى البكري، فالبكريون منسوبون إلى قبيلة بكر بن وائل النزارية. والشاعر موسى بن عيسى بن ثاني البكري (١٣٣٦هـ/١٩١٧م-١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) شاعر فقيه. ولد في ولاية سمائل وفيها توفي. تلقى علوم العربية والفقه على عدد من شيوخ عصره في مقدمتهم والده، ثم الأستاذ النحوي حمدان بن خميّس اليوسفي، والعالم حمد بن عبيد السليمي، والعلامة خلفان بن جميل السيابي. له ديوان بعنوان: رائد الأدب. وكتاب صدق المشاعر، وكتاب: مختارات الأشعار الملاح، والسموط الذهبية في الأسئلة والأجوبة الفقهية والأدبية. أنظر: معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، مادة: موسى عيسى البكري. وكذلك معجم شعراء الإباضية للسعدي، الترجمة رقم ٣٩٩، ص ٣٦٩. الحبَّاس: حجرة في علاية سمائل في الضفة الشمالية الغربية من الوادي، يقع في سورها عدد من البيوت تسكنها أسر من قبيلة الشوامس منهم الشاعر علي بن منصور الشامسي.

(٣) القديمة: محلة يسكنها الشاعر أبو سرور الذي سبق التعريف به في صفحة سابقة.

(٤) ما انفكّت الدنيا: أي ما زالت. خَسْفُ الأرض: غَوْرُها بِمَا عَلَيْهَا. مطواة عمامة دائل: كناية عن تقلب أحوال الدنيا ودوران صروفها.

وعاهدته لا أستبد بميزة ... عليه فمن لي أن تعين وسائلي
وأوقفت همي فيه حتى لَوَانَّني ... أردت سواه ناقضتني عواملي
سلام على الفيحاء في عبقريِّها ... طويل الخطا بين الظُبى والذوابل[1]
سلام على الفيحاء والدهر جامد ... ومن ليَ في العليا كفيحا سمائل
كأن تراب العز فوق سمائل ... متون الجياد تحت كل مقاتل
كأن نبات المجد فوق أديمها ... ثغور الأماني أو نواصي الصواهل
كأن خرير الماء بين رياضها ... صرير اليراع أو صليل القواصل[2]
كأن لِذَاتِ النخل في حسن نظمها ... صفوف رجال الله عند التنازل
كأن الصَّبا[3] فيها إذا ما تنفست ... شفاء النُّهى أو بغية المتفائل
كأن أريج الزهر من فوق دوحها ... أريج المنى جاءت بنصر وطائل
كأن الشعاب المُسْبَكِرَّات فوقها ... صفائح تبر[4] أو صحائف نائل
كأن قميص الضفتين زبرجد[5] ... وبالشعب من عين السما خير سائل
كأن ظِباها في الخمائل رتعا ... سهام القضا لكن على المتطاول
كأن لواء الحمد فوق عروشها ... حسام أبي السبطين[6] بين الجحافل

---

(١) الظُّبَى: جمع ظُبة، وهي طَرَفُ السيف وحَدُّه. الذوابل وصف للرماح، والرمح الذابل ما كان دقيقا.

(٢) الصرير: صوت جَرْيِ القلم على القرطاس. واليراع: القلم. الصليل: الصوت الناتج عن التقارع بالسيوف. والقواصل: السيوف.

(٣) الصَّبا: ريحٌ تهب من جهة الشرق إذا استوَى الليلُ والنهار.

(٤) اسبكرّ الشيء طال وامتد. التبر: الذهب.

(٥) الزبرجد: حجر كريم يشبه الزُّمُرُّد، وهو ذو أَلوان كثيرة أَشهرها الأَخضر المصري والأَصفر القبرصي.

(٦) أبو السبطين هو الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه. والسبطان الحسن والحسين رضي الله عنهما.

كأن نوادي العلم بين ربوعها ... بدور تجلت في سماء المحافل
كأن رجال العلم في ندواتها ... شموس تجلت في بهيّ الغلائل
كأن ينابيع المكارم والندى ... بها أعين التسنيم ثجَّتْ[١] بوابل
كأن رجال المجد من طين أرضها ... لذاك ترى فيهم كريم الشمائل
كأن الجبال الشم وهي تحوطها ... من الله سور للعلى والفضائل
وقفت عليها أمْتَري الفكر ضرعه ... فدرَّ وللفيحاء فضل المخائل[٢]
وقمت بها أستمرئ[٣] الماء والكلا ... وليس الكلا والماء غير الطوائل
وسرَّحتُ طرفي في رباها فلم أجد ... عليها سوى حر غزير المناهل
وإخوان صدق لو وَقَيْتُ نفوسهم ... بنفسي لما وَفَّيْتُ حقاً لكامل
هم القوم لا يستمرئ الذل أرضهم ... ولا يمتري أخلافها[٤] بالأنامل
بني وطني حقاً عليَّ إخاؤكم ... إذا ما المنايا أمعنت في البواسل
بني وطني حقاً عليَّ ولاؤكم ... وللسيف في الأحشاء لذة آكل
فما المرء إلا عزمُهُ ومضاؤه ... وحسنُ الوفا منه لحافٍ وناعل
سلام على موسى ابن عيسى إذا انجلى ... بمتن المجلِّي من نعامة وائل[٥]

---

(١) ثَجَّ الماءَ إذا صَبَّه. واللفظة وردت في نسخة القصيدة بديوان وحي العبقرية المطبوع: (تجلَّت).

(٢) أمتري: أحلب. من امترى ضرع الناقة إذا حلبها. دَرَّ الضَّرعُ: امتلأ لبنًا وسال به. المخائل: جمع مخيلة وهي السحابة.

(٣) أستمرئ: أستطيب.

(٤) أخلاف: جمع خِلْف وهي حلمة الضرع.

(٥) نعامة وائل: كناية عن الحسب والنسب الرفيع للشاعر موسى بن عيسى البكري، لأن النعامة طويلة العُنق، وطول العنق عند العرب قيمة معنوية يعبرون بها عن افتخارهم بما يكون للمرء من محامد يرتفع بها شأنه وشأن قومه.

سلام عليه في المكارم والندى ... وطعن الكُلى في الموقف المتبادل[١]
ومن كحميد وهو في عاتق العلى ... على طيئ سيف القضاء لخاتل[٢]
ومن كحميد في حديد لسانه ... وعضب مضاه في دخان النوازل
ليهنكما الميدان من ألف غَلْوَة ... بداحس والغبراء بين الصواهل[٣]
لئن كنتما من يعرف السبق في الوغى ... فما هي إلا نخوة من عباهل
وإن كنتما من يخسئُ الطرفَ شوطه ... فذلكما شوط الكميّ المساجل[٤]
وما لابن منصور عن السبق محجما ... كأنَّ العِنَان منه موهون كاهل[٥]
وقد كان للفصحى شباة لسانها ... إذا كل للفصحى لسان لقائل
هلُمَّ ابن منصور إلى الرحم التي ... قَطَعْتَ ففي الأرحام وصل لواصل

(١) الكُلَى جمع كُلْيَة، وهي من أجزاء الجسم. وقد أتى بها أمير البيان في موضع المواجهة مُوَرّيًا بها عن القلب الذي هو هدف الرامي. وهو بهذا يمتدح شجاعة الشاعر موسى بن عيسى البكري.

(٢) الخطاب هنا إلى الشيخ حميد بن عبدالله الجامعي. الخاتل: الخدّاع.

(٣) الغَلْوَةُ: مفهوم قديم لقياس المسافة ويقدر بأربعمئة ذراع. داحس والغبراء : فرسا رهان من أفراس غطفان في العصر الجاهلي. كان داحس حصانا لقيس بن زهير العبسي الغطفاني، والغبراء فرسا لحذيفة بن بدر الذبياني الغطفاني. وكان داحس متقدما على الغبراء لكن حذيفة بن بدر أرصد قبل نهاية الشوط بعض رجاله ليمنعوا داحس إن رأوه متقدما على الغبراء لتحرز قصب السبق دونه، وكذلك كان. لكن هذه المكيدة سريعا ما تكشفت لعبس فاندلعت بسببها حرب شعواء بين القبيلتين الغطفانيتين.

(٤) الكمي: المقاتل المُدّرع بسلاحه. المساجل: المبارز.

(٥) ابن منصور هو الشاعر علي بن منصور الشامسي (١٣٤٤هـ/١٩٢٦م-١٣٦٥هـ/١٩٤٦م)، خطيب مقتدر، وكاتب أديب، وشاعر أريب صنو أقرانه أمير البيان، والقاضي الجامعي، والشاعر البكري وغيرهم. أنظر معجم شعراء الإباضية للسعدي، الترجمة رقم ٣٠٢، ص٢٨٥.

أواصـــر حســان بــها ورواحــة ... ومـن مثل حسان لكل مطاول[١]
خليليَّ ما هذي الأعنة سُـبَّـقًا ... بـكل كـميٍّ عـبـقـري حُـلاحِـل[٢]
إذا مزعـت في الدو خلت خواطفا ... من الشهب تـقـفو إثر كل مخاتل[٣]
خـذا بعناني دونــها إنـــه إذا ... جرى بي طغى في جريه غير ناكل[٤]
ألاطـفـه حـتـى إذا مـا علوتـه ... عـلـوت حـديـداً لا يـهـون لكاسل
إذا زجر الفرسان حولي جيادهم ... تلافيتُ منـه صهوة دون كاحل[٥]

(١) هو الصحابي الشاعر حسان بن ثابت الأنصاري الأزدي من قبيلة الخزرج من أهل المدينة. كان على صلة بنوابغ الشعر في عصره مثل النابغة والأعشى والخنساء. صار حسان بعد إسلامه شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم، مدافعا بشعره عن عقيدة الإسلام. لا يوجد تحديد زمني دقيق لوفاته لكن يرى البعض أنه توفي سنة ٥٠هـ في خلافة معاوية بن أبي سفيان. ويرى آخرون أنه لم يعش إلى هذه السنة بل مات قبلها. أنظر ديوان حسان بن ثابت، شرح عبدالأمير مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص٨-١٣. رواحة: هو الصحابي الشاعر عبد الله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، كان من الشعراء الكاتبين في الجاهلية. ثم صار في الإسلام يتصدى للمشركين مدافعا عن رسول الله وعن الإسلام والمسلمين، مثله في ذلك مثل حسان رضي الله عنهما. اصطفاه الله شهيدا في موقعة مؤتة التي حدثت في جمادي الأول من العام الثامن للهجرة (أغسطس ٦٢٩م). ومن شعره في النبي صلى الله عليه وآله وسلم قوله:

أنت النبي ومن يُحْـــرَمْ شفـاعتَه ... يوم الحساب فقد أزرى به القــدرُ.

(٢) الحُلاحِل: الشجاع.

(٣) الدو: الفلاة الواسعة. المخاتل: المخادع.

(٤) غير ناكل: غير ضعيف.

(٥) تلافيتُ: تداركتُ. الصهوة من كل شيء أعلاه، وهي في الفرس موضع السرج منه. والكاحل: هو المفصل الذي يصل القدم بالساق.

على قصبات السبق مني تحية ... ترددها ريح الصبا في الخمائل
ويشدو على قضبانها الورق ساجعاً ... بألحانه في أخضر من غلائل
يفض ختام المسك فيها وينثني ... يعاقر من يهوى بخمرة بابل[1]

* * * * *

(١) خمرة بابل وسحر بابل لهما شهرة تاريخية، يقول الكاتب الكبير عباس محمود العقاد: "السحر البابلي في كل لغة مضرب المثل من الزمن القديم إلى الزمن الحديث". أنظر كتابه: حياة المسيح، دار الهلال، بدون تاريخ نشر، ص٦١. ويقول أبو الطيب المتنبي: ما نال أهل الجاهلية كلهم ... شعري، ولا سمعت بسحري بابلُ. أنظر: يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر لأبي منصور عبدالملك الثعالبي (ت٤٢٩هـ)، شرح وتحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م، ج١، ص١٨٩. ويقول الشاعر الكبير حافظ إبراهيم: خَمرَةٌ في بابِلٍ قَد صُهرِجَت ... هَكَذا أَخبَرَ حاخــامُ اليَهــود. أنظر ديوان حافظ إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، ١٩٨٧م، ص٢٤٣. وعبارة سحر بابل متداولة من قبل الأدباء ناثرين وشعراء رجالا ونساء منذ القديم فالشاعرة الأندلسية حفصة الركونية (٥٨٦هـ/١١٩٠م) قالت في بيت من قصيدة لها: بلحاظٍ من سحر بابل صيغت ... ورضابٍ يفوق بنت الدوالي. أنظر شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، جمعه بشير يموت، المكتبة الأهلية، بيروت، ط١، ١٣٥٢هـ-١٩٣٤م، ج١، ص٢١٦. أما الفقيه الحنفي الشاعر الأديب المتصوف عبدالغني بن إسماعيل النابلسي الدمشقي (١٠٥٠/١١٤٣هـ) فقد سمَّى ديوان شعره: "خمرة بابل وغناء البلابل". أنظر كتاب الأعلام، لخير الدين بن محمود الزركلي، (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٤، ص ٣٢-٣٤.

(٨) بين الهوى والتجمُّل[١]

أنشأها جوابا على قصيدة بعثها إليه شاعر الشرق أحمد بن عبد الله الحارثي[٢] على بحرها وقافيتها

معاذ النُّهى إنْ يحيَ إلا مُتَيَّمَا ... فَكُرًّا على تعذاله أو فأَحْجِمَا
وإياكما أن تحملا خطواته ... على قَتَبِ المجنون أن تتندما[٣]
ولا تغرياه دون لُبْنَى بغيرها ... فتنبثق الأحشاء سراً مكتما
فما الحب إلا حسرة الدهر من تصب ... بمرتها يستهنئ الموت مطعما
أقول لعذريٍّ[٤] أخي شاعريَّةٍ ... جموح الخيال لا يبيت منوّما
أقول له والنفس فيها بقية ... وذو الشجو يشجيه الهوى ما ترنما
إليك أخي من ذي خيال على النوى ... أهاب به الساري فحيَّا وسلما
وتاركة عرض الجنان وطولها ... تشق الدجى نوراً وتغشاه مَنْشِمَا[٥]

---

(١) راجعتها طبقا لنسختها في ديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) للمعرفة عن الشيخ أحمد بن عبدالله الحارثي أنظر حاشية على القصيدة رقم ٨ بعنوان: الدهر الفظ.

(٣) القَتَبُ: الرحل الصغير على قدر سنام البعير. المجنون: الذاهب العقل أو فاسده.

(٤) أقول لعذري: أي أقول لشاعر عذريّ.وظاهرة الشعراء العذريين عُرفت في فترة صدر الإسلام

(٥) تغشاه مَنْشِمَا: تدخله حربا. وكلمة مَنْشِم ترد في واحدة من أشهر العبارات العربية. وهي ترتبط بقصة امرأة عطارة تبيع العطر تسمى منشم. وكان عطرها صعب الدَّق. فكان العرب الأقدمون إذا قصدوا حربا أتوها فتحالفوا على الإستماتة في الحرب واضعين أيديهم في ذلك الطيب، فاستعار الناس من هذه الواقعة عبارة: "دقُّوا بينهم عطر مَنْشِم" لكل جماعة نشبت بينهم حرب طحون. حتى صار ذلك مثلا سائرا. ومن أشهر الشعراء الذين استخدموا هذه العبارة زهير بن أبي سلمي في قصيدته التي يمدح فيها الحارث بن عوف وهرم بن سنان حيث قال:

تداركتما عبسا وذبيان بعدما ... تفانوا ودقُّوا بينهم عطر مَنْشِمِ.

سرت في قشيب من غلائل سندس ... تُحْيِي من النُّوَّام حبا متيما
خيالٌ به يحيى الخليل متيما ... ونأيٌ به يفنى المشوق توهما
لك الله من طيف أطاف مُرَفِّها ... وأعقب من ذكر الحبيب جهنما
هي الروح عند الله في ملكوته ... له حكمة فيها إذا النوم خيما
تطوف بها الأملاك شرقاً ومغربا ... وتسري بها الألطاف وحيا مهينما
فتحسبها فوق السماوات شمعة ... وتحسبها في عالم الأرض سلما
خمائل ما حاك الربيع بساطها ... ولا نمنم الوسميّ منها منمنما
وأسرار لطف ما حوتها دفاتر ... وأفلاك سعد لم تصافح مُنَجِّما
تمور بها الخضراء آناً وتارة ... تنوء بها الصحراء جيشاً عرمرما
أحبة قلبي والمحبة فيكُمُ ... تحدر بالكأس اللدُني مفعما
سلام على جيم التجمُّل بعدكم ... وإن عزني المألوف أن أتكلما
سلام عليكم لا يكن هجركم قِلى ... ولا شطكم وجداً ولا الصدُّ مصرما[1]
سلام عليكم ما سرت من ربوعكم ... نسائم إلا بالوفا لن تنسما
منازل من أهوى سقتكِ مراحمٌ ... وباكركِ الوسميُّ غيثاً وأنْعُما
منازلُ حال الحتف بيني وبينها ... تناءت بها الأحباب صرماً محتما[2]
إذا جئتُها رَوَّيْتُها بمدامع ... فتنبت في قلبي القتاد المُسَمَّمَا[3]
ولو أنني أسقيتها الدمع خالصاً ... رضيت ولكن طالما حال عَنْدَمَا[4]

(١) القلى: البغض. مصرما: قاطعا.
(٢) صرما: فراقا.
(٣) القتاد المسمما: الشوك السام.
(٤) طالما: كثيرا ما. حَالَ عندما: تحوَّلَ الدَّمْعُ دما. العنْدَمُ: صبغ أحمر قان يستخرج من شجر العندم.

أنادي الثرى حتى تغيب حقيقتي ... فأسمع من نفسي مجيبا متمتما[1]
هنالك لم أشعر أفي الأرض موقفي ... أم العرش تحتي أم أنا الأرض والسما
وفي مِقْوَلي ما لا أطيق خفاءه ... مقالا إذا أرخى اللثام تجسما
إليك سميَّ المصطفى وارثَ الهدى ... عن المصطفى مني الثناءَ المعمما
إليك إمام المسلمين محمدا ... تحية مشتاق تناءى به الحمى
إليك وليّ الله والتربُ بيننا ... نداءَ وليٍّ كاد يجتثه العمى
محمد لا أسلوك دهري ولم أجد ... على الأرض من يسلو محياك ما انتمى
محمد إن نحمد سراك فإننا ... ذممنا سرانا إذ فقدناك موسما
هلم إلينا ترأب الصدع بيننا ... وتبرئ جرحاً ناكئاً أنضب الدما
هلم بنا سُسْنَا برأيك إنه ... هو الرأيُ صانَ الدينَ أن يتحطما
وماذا عسى أدعو وقد بَلِيَتْ بنا ... ملابسُ حاكَ الهاشميُّ وألحما
دراك الهدى يا ابن الذبيحين أنه ... ذبيح أخي هابيل مذ كان مغرما[2]
دراك الهدى يا سيد الرسل إنه ... هوى تحت أقدام الضلال محطما
تدارَكْتَهُ يوماً فأحييت مَيْتَهُ ... وغادرته كالطود لما يهدما
فعاث به الأدنى وخاس ابن أمه ... فأصبح منبوذاً طريداً مدمدما
رسول الهدى مازلت أجلوك مخلصاً ... وأدعوك مشتاقاً وأرجوك مُسْلِمَا
وأرنوك في قربي وبعدي كأنني ... أرى الله في آياته متكرما
عليك صلاة الله ثم سلامه ... تسوقهما الأرواح مسكاً مختما

* * * * *

(١) التمتمة: التكلم بكلام لا يُفْهِمْ.

(٢) دِرَاكِ الهُدى: أي أدْرِكْ الدين مما هو فيه من محنة وبلاء.

(٩) حلبة الرشيد[١]

أنشأها جوابا على أبياتٍ بعثها إليه صديقُه علي بن منصور الشامسي في قالب العتب الأخوي على صديقِهِ أبي سرور

سَفَرَتْ فَبَرْقَعَهَا الحيا والدينُ ... ومن الكرائم سافِرٌ ومَصُونُ
سفرت فغشاها الجمال بزهوه ... ومن الجمال حقائق وظنون
سفرت فغازلها الهوى فتوردت ... ومن التفاعل خائن وأمين
سفرت فما عرف السفور مقالها ... فاحتار وهو بِوَهْمِهِ مفتون
سفرت فأبْصَرَتِ الوجود فخر في ... أحضانها والكائنات سكون
يتلو سطوراً في صحيفة خدها ... فيرى الجلالة[٢] فيه وهي شجون
هذي الحقيقة إن أردت حقيقة ... وعلى المجاز ستاره الموضون[٣]
يا صاحبَيَّ إلى الحقيقة إنها ... شرف به سر النفوس مصون
ما لي أرى عين الوجود كليلة[٤] ... عما يحيق بشأنه ويحين
أغفا يقينا أم تغافى خدعة ... برح الخفا[٥] إن الخداع طعين
ولقد نظرتُ إليه نظرة مبصر ... فرأيتُهُ والحسنُ فيه خؤون

---

(١) راجعتها طبقا لنسختها في ديوان وحي العبقرية المطبوع. الرشيد: هو هارون بن محمد بن عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي ولد سنة ١٤٥هـ/٧٦٣م. خامس الخلفاء العباسيين، وأشهرهم وأعلاهم ذكرا وصيتا. بويع بالخلافة سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م، وتوفي سنه ١٩٣هـ/٨٠٩م. أنظر تاريخ الطبري، راجعه وقدم له نواف الجراح، دار ومكتبة الهلال، الجزء الخامس ص ١٦٩٧، وص ١٧٠٤، وص ١٧٤٧.

(٢) الجلالة العظمة.

(٣) الموضون: المنقوش.

(٤) كليلة: ضعيفة.

(٥) برح الخفاء: وضح الأمر.

ورأيتُهُ والكارثاتُ صوارمٌ ... في سرحه والكائناتُ متون
ورأيتُهُ متطوراً متقلبا ... متغيراً أصباغه التلوين
والليلُ يزجرُ بالظلام كأنه ... بحرٌ يزمجرُ تارةً ويهون
وترى النجومَ سفينَ بلّورٍ به ... والكهرباءُ تنيرُها فتبين
والفجرُ ينشرُ للنهار غلالةً[١] ... تكسو الوجود نضارة وتزين
والشمس ترسل للفضاء أشعة ... تغذو القلوب كأنها ياسين
وكأنما هذي الطبيعة طائر ... لَدُن[٢] الجناح مبارك ميمون
والماء يكتب للبسيطة أسطراً ... ينساب بين متونها التكوين
وكأنما يبدو على جنباتها ... خضر الغلائل طرزتها العين
ما تُمْنِمَتْ[٣] عبثاً ولا نَمَّ الصَّبَا ... بأريجها لكن هناك شؤون
يا للبصائر قبل أن تبصري ... إن النهاية أزرق مسنون[٤]
عظة البصير لنفسه من نفسه ... والمرء بالقدر المتاح رهين
والعقل أهدى للمرام من القطا[٥] ... حتى يصادف والقضاء كمين
يا نجل منصور سلاماً عاطراً ... كالروض باكره السحاب الجون
يا نجل منصور تحية وامق[٦] ... فيها لحبك شاهد مأمون

(١) الغلالة: ثوب رقيق يشف عما تحته، والمعنى المقصود نور النهار.
(٢) اللَّدُنُ: اللَّيِّنُ، سهل الانثناء، مَرِنُ.
(٣) النمنمة: النقش. نَمَّتِ الريح: جلبت الرائحة. واللفظة وردت في نسخة القصيدة بديوان وحي العبقرية المطبوع: (تمتمت).
(٤) الأزرق المسنون: الرمح، وهو هنا كناية عن الموت.
(٥) القطا من القَطْو وهو تقارب الخطو من النشاط، والمعنى أن عقل الإنسان هو من يوصله لأرشد غاياته لا قوة جسمه.
(٦) الوامق: المحب.

تـزجي السلام حمائماً ميمونة ... وقعت عليك شعارها التأمين[١]
تدعو حميداً فوق دوح بيانها ... وحميد يشدو والوجود أنين
نادتـه في لحن ألـذ من الهنا ... فأجاب وهو بمثله لقمين[٢]
فتجاوبا في سجعها وهديله ... يشدو لهن وسجعهن حنين
يا حلبة ملأ السرور فضاءها ... وقف الأمين عليك والمأمون[٣]
فتزيني وتبهرجي وتمايلي ... هذا المُجَلِّي فوقه هارون
واللّٰه ما حَظِيَتْ كمثلكِ حلبة ... إن الزمان بمن ذكرت ضنين
لكن دعوت فما أُضِيْعَتْ دعوة ... رفعت عقيرتها لها آمين
فَغَنِيْتِ بالفرسان عن كل الورى ... حتى كأنك فيهمُ قارون

---

(١) أي أنها تُثَوِّبُ على الدعاء بكلمة: آمين.

(٢) لَقَمِيْنُ: أي لجدير. وحميد الوارد اسمه في البيت السابق هو الشاعر أبو سرور الشيخ القاضي حميد بن عبدالله الجامعي.

(٣) الأمين هو محمد بن هارون الرشيد سادس الخلفاء العباسيين تولى خلافة الدولة عقب وفاة والده في سنة ١٩٣هـ/٨٠٩م وبقي في الحكم حتى خلعه أخوه المأمون سنة ١٩٦هـ/٨١٢م. تاريخ الطبري ص ١٧٧٨، وص ١٧٨٣. يذكرُ أن الأمين ذا ثقافة واسعة في اللغة والفقه والأدب والتاريخ. المأمون هو عبدالله بن هارون الرشيد سابع الخلفاء العباسيين تولى الخلافة بعد مقتل أخيه الأمين بفعل الصراع الذي نشأ داخل رواق الحكم العباسي بين التيار العربي الذي يمثله الأمين ووزيره الفضل بن الربيع وبين التيّار الفارسي ويمثله المأمون ووزيره الحسن بن سهل البرمكي. تفرّد عهد المأمون بتشجيع مطلق للعلوم، من فلسفة وطب ورياضيات وفلك. وأسس في بغداد عام (٨٣٠م) بيت الحكمة الذي مَثَّلَ جامعة علم في ذلك الوقت. وفي عصره وبرعايته اخترع الاسطرلاب، وعدد من الآلات التقنية الأخرى، وسعى علماء عصره إلى قياس محيط الآرض. وتشبيه الشيخ عبدالله للشاعرين المتنافرين علي بن منصور الشامسي وحميد بن عبدالله الجامعي بالأمين والمأمون إجلالا منه لقدرهما واستلطافا لنفسيهما، وشهادة نفيسة من أمير بيان عمان لشاعريتهما، وهذا من مظاهر سمو خلق الشيخ عبدالله فارس الشعر المجلي الذي لا يشق له غبار.

عتب الإخاء على الإخاء قمين ... والعتب للسر الخفيّ يبين
لولا العتاب على الصفا لجف من ... ماء الأخوة بالجفاء مَعين
لك يا عليُّ ألف حق واجب ... وعلى حميد ما عليه يكون
فعلى حميد أن يعودك قبل أن ... يدعوه إخوة يوسف لو دينوا
لكنه أبدى ويا حسن الذي ... أبدى وعذر الصادقين متين
ولعله راعى فَنَاءَى[1] قالبا ... والقلب عندك بالوفاء مدين
وأظن ذاك وما أخال لديكما ... إلا قرائح زانها التدوين
فتجاريا وتباريا وتساجلا ... ما فيكما من أشقر مغبون
لله دركما وما خلدتما ... من جوهر لكنه المكنون
قلدتماه للمعالي نحرها ... والكون يشهد والزمان عيون
يا شاعريَّ إلى اللقاء بحلبة ... أخرى بها للناظرين فنون
نسعى إليها ناشطين نشيدنا ... سفرت فبرقعها الحيا والدين

* * * * *

(١) نَاءَى: بَاعَدَ.

(١٠) لفح الأسى[١]

اللّهَ فيه فقد جَفَّتْ مآقيه وكاد يحرقه لفح الأسى فيه
اللّه فيه صبابات يوزعها مثل الرماد لهيب في مطاويه

(١) راجعتها طبقا لنسخته في ديوان وحي العبقرية المطبوع. لهذه القصيدة قصة جَرَتْ بين أمير البيان والقاضي أبي سرور. ذلك أن الشيخ عبدالله قال قصيدة ذكر فيها أستاذه النحوي الشيخ حمدان بن خُمَيّس اليوسفي الذي هو أيضا أستاذ أبي سرور، ولما طبع الشيخ عبدالله ديوانه وحي العبقرية جعل تلك القصيدة ضمن قصائد ذلك الديوان. لكن بيتين من القصيدة سقطا عند الطباعة وهما قول الشيخ عبدالله:

رَعْياً لِحَمْدَان أعْشَانا فقد نطقت أبْيَاتُهُ الغُرُّ عَمَّا كُنْتُ أُخْفيهِ
ساقَ المعاني إليكم من معادنها كالبحر يُلْقي نَفيس الدُّرَّ من فيهِ

فكتب أبو سرور إلى الشيخ عبدالله يعاتبه في سقوط البيتين من قصيدته معتبرا ذلك من عدم وفائه لأستاذه اليوسفي، مستخدما لهجة حادة كان أشدُّها قوله: "سوائم الغدر"، وقوله: "من للوفاء ويا أين الوفيُّ به"، كما هو واضح من قوله:

أين الوفاءُ على شتَّى معانيهِ أين الوفاءُ وفياً في مبانيهِ
من للوفاء وقد داستْ مُقَدَّسَهُ سوائمُ الغدْرِ عاثَتْ في رَوابيهِ
من للوفاء ويا أينَ الوفيُّ بهِ وَاحَرَّ قلبي عزيزٌ في لياليهِ
بيتانِ شعراً حذفتُم من قصيدتكم مِنْ لِلْبيان إذا قُمتُ أُزْجيهِ

فأجابه أمير البيان بهذه القصيدة: لفحُ الأسى، مستقبلا عَتْبَ أخيه أبي سرور بمعهود كريم خلقه وحبه وتواضعه وتجمله لإخوانه، قائلا:

أبا سرور أتاني في صحائفه كالمسك عَتْبُكَ يزكو في غواليه
يهدي إليّ عُرا عَيْبِي مفككة والله يرحم عني فيه مُهديه
والله ما أنا بالنَّاسي وهل ليَ أنْ أنسى على النَّأي قلبي أو مُغَذِّيه
اليوسفيُّ ومن كاليوسفيِّ إذا مالت إلى الزهد عين الله تؤويه

للوقوف على قصيدة أبي سرور وجواب أمير البيان عليها أنظر ديوان أبي سرور، للشيخ القاضي حميد بن عبدالله بن حميد الجامعي، مكتبة الفردوس، سمائل، عُمَان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م، المجلد الثالث ص ١٥٥-١٦٤.

الله فيه اشتياقات تـزج بـه ... عبر الأثيـر ولا سلك يـؤديـه
الله فيـه فـلـلأهـوال قعقعة ... من حوله تـذهل المسرى وحاديه
الله في رمـق قـد بـات يعصره ... كف الوقائع حتى انحل بـاقيه
كأنـه في حنايا الدهر تـحمله ... ذو النون يدعو ولطف الله يحميه
كأنـه الـبُـسْـرُ يغلي في مراجله ... صبراً ويُسْلَمُ للرمضاء تـقليه[1]
كأنـه الليث مكبوحاً على حسك ... من الحديد يد السجاَّن تـزويه[2]
كأنـه السيف يصدا في القراب على ... ضيـم ومفسدة الخذلان تـبليه
كأنـه الـدرع لا صـدر يـقوم بـه ... لكن صدر الثرى كالسرّ يـخفيه
كـأنـه الـرمـح خانتـه بـوادره ... وطأطأ النبع للتحطيم حانيه
كأنـه التـرس لم تسعده قبضتـه ... بل أسلمتـه لحد السيف يـبريه
كأنـه الشـمس تـجري خلف أردية ... من السحاب تـغشيها غواشيه
كأنـه البدر يؤويه الخسوف إذا ... أوفى على التَّـمِّ واستوفى لياليه
كـأنـه الكـوكـب السـيـار عـوّقـه ... أمـرٌ من الله تـحتار الـنُّـهى فيه
كأنـه الـفَـلَـكُ الـدوار عاكَـسَه ... صرف القضاء فعاقتـه مجاريه
كأنما هو سر في الحياة سرى ... لو تـهدأ الشـمس لم تهدأ خوافيه

(١) البُـسْـرُ: ثمر النخل قبل أن يُرْطِب. وفي عمان نخلة شهيرة تسمى المبسلي كان الأوائل ولا زال البعض يجدُّونها وهي بُـسْـر، ويطبخون بُـسْـرَها في مراجل تغلي بالماء حتى يفغر البُـسْـرُ (فَيُسَمُّونه الفاغور)، ثم يلقون به في مُسَطَّحٍ من الأرض (يسمُّونه المسطاح) لا تفارقه الشمس طيلة النهار، ويتركونه على هذه الحال لأيام حتى يَيْبَسْ. وهذا شرح لقول الشيخ عبدالله: ويُسْلَمُ للرمضاء تقليه. وكانت تجارة عمان في القديم تقوم من بين ما تقوم عليه على الفاغور الذي يتم تصديره إلى بلدان خارجية أشهرها الهند. وفي البيت تشبيه لما أصاب الشيخ عبدالله من الأسى.

(٢) الحسك: شوك من حديد يلقى حول معسكر الجند ليعيق تقدم خيل الغزاة.

كأنما هو نور في الفضاء أضا ... الشمس والبدر من ينبوع صافيه
كأنما هو آيات إذا تُلِيَتْ ... شَفَتْ من المَسّ مَنْ أمسى يعانيه
كأنما هو رمز لا يحلله ... عقل ولا يدعي إدراك خافيه
كأنما هو غيث لا تقوم سوى ... به الحياة ولا تزهو سوى فيه
ذاك الخيال الذي الإنسان جوهره ... يفنى الوجود ولا تفنى معانيه
العلم والحلم شيء من حقيقته ... والدهر والكون والمَحْيَا بأهْليه
يغشى الليالي فتغشاها عوالمه ... ويقعد الدهر يطويها وتطويه
ويركب الصبح لا تحدوه غرته ... إلا إلى شرف كالشمس عاليه
حميد يا نجل عبد الله معذرة ... من مخلص لك عاقته مساعيه[١]
يروم سبك اللآلي وهي شاردة ... أيعرض السلك خلواً من لآليه
فهل يلام على ما ليس يملكه ... وهل يلام فتى خانته أيديه
تعمق الدهر في أحشائه صخبا ... والمرء يعذره للدهر شانيه
تخيفه دعوة المظلوم مخترقا ... بها السماوات تزجيها مآقيه[٢]
ويربط الليل جفنيه إلى سهر ... بجانب النجم صفراً من أمانيه
إذا تَلَمَّسَ عن جنبيه منيته ... تَلَمَّسَ الشوك نصلا من عواليه
وإن ترامت به الأهواء عارمة ... رمى الفجاج بسيل من قوافيه
وإن شكا دهره شاك القتاد وإن ... شكا إلى الله ألفى وهو كافيه
عُتْبَى أقدمها حتى تنال رضا ... يا عاتبا عَتْبُهُ بالود يزجيه[٣]

(١) هو الشاعر أبو سرور.

(٢) في هذا البيت استلهام للحديث النبوي الشريف: "اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب".

(٣) العَتْبُ لومُكَ الرجُلَ على إساءةٍ كانت له إليك. والعُتبى رجوعُ المعْتُوب عليه إلى ما يُرضي العاتِب.

رأيت شعرك يا خير الرفاق وقد ... جرى يمج رضاب الخمر من فيه[١]
أبا سرور أتاني في صحائفه ... كالمسك عَتْبُكَ يزكو في غواليه
يهدي إليّ عُرا عَيْبِي مفككة ... والله يرحم عني فيه مهديه[٢]
والله ما أنا بالناسي وهل ليَ أنْ ... أنسى على النأي قلبي أو مغذيه
اليوسفيُّ ومن كاليوسفيِّ إذا ... مالت إلى الزهد عين الله تؤويه
قضى الحياة خميص البطن محتسبا ... لله يؤثر عن ماضيه آتيه
لم يَصْحَبِ الدهر منه غير ذي حذر ... بِبُلْغَةٍ[٣] من يسير العيش تكفيه
ولم يُعَلّقْ على الرَّغْبَاء[٤] همته ... ولم تكد لحظة في العمر تغريه
ولا تَعَلَّقَ بالأفضال معتصما ... بأهلها، وضِبَاعُ الفقر تفريه[٥]
حمدانُ كنت أمير الضاد تحزؤها[٦] ... أنَّى تشاء بوحيٍ منك توحيه
فلم تزل بعد أن فوَّزْتَ[٧] باكية ... وفاقد كنزه لا شك يبكيه
فهل تراها بكت والعلم في شغل ... والفضل، بل بَكّياه في بواكيه
فكيف بي وبأمثالي إذا عرضت ... ذكراك والحب للإنسان يبكيه
حمدان حمدان أستاذي أُجِلُّكَ في ... نفسي وترعاك من قلبي محانيه[٨]

---

(١) يَمُجُّ: يُلْقِي.

(٢) عُرى العيب مواضعه. وفي الشطر الثاني استلهام لقول الفاروق عمر رضي الله عنه: رحم الله امْـرَءاً أهدى إليَّ عيوبي.

(٣) البُلْغَةُ ما يكفي لسد الحاجة ولا يَفْضُلُ عنها.

(٤) الرَّغْبَاء: المسألة، أي طلب الحاجة من الناس أعطوا أو منعوا.

(٥) أي أنه من تَعَفُّفِهِ لم يكن يتعلق بفضل غيره رغم أنه على حال من الفقر المؤلم كإيلام نهش السباع.

(٦) تحزؤها: تجمعها، تسوقها من حزأتُ الإبلَ إذا جمعتُها وسقتُها. وهي هنا بمعنى جامع علوم اللغة العربية وحاويها.

(٧) فَوَّزْتَ: مُتَّ.

(٨) محاني القلب: عواطفه التي هي مشاعر الحب والرحمة.

بيتان حَلَّيْتُ أشعاري برسْمِكَ في ... إنسان عينهما[1] نوراً لرائيه
الدهر يشدو على لحن الرضا بهما ... معي فيطرب من في الكون شاديه
(رعيا لحمدان أعشانا فقد نطقت ... أبياته الغر عما كنت أخفيه)[2]
(ساق المعاني إليكم من معادنها ... كالبحر يُلقي نفيس الدر من فيه)
فهل تركتهما عمداً تُرَانِيَ أمْ ... سهواً فقد ينكر العرفان ناسيه
أستغفر اللّٰه من هذا وذاك وهل ... يستغفر اللّٰه إلا مذنبٌ فيه
حميد قل للذي وافى يعاتبني ... على لسانك في نصح وتَنْبِيْهِ
أطلق عنانك فالميدان متسع ... وفارس النصح ما أسمى مجاريه
وقف أمامَيَ أُلْقِيْ الحبَّ خالصه ... مني عليك جزاءً دون تمويه
وقم بنا نتلافى فائتاً جمحت ... به الليالي بإصلاح لتاليه
ونختم القول جِدّياً براعته ... أزكى من المسك في عطف من التِّيه

* * * * *

(١) إنسان العين بصيرُها الذي ترى به.

(٢) هذا البيت والذي يليه هما مبعث ثورة أبي سرور رحمه الله على أمير البيان.

الإخوانيات الثالثة

(١) اجتلاء العيد[١]

بعثها لأخيه الشيخ علي بن جبر الجبري[٢] رداً على أبيات وردت منه تحمل شعار التهنئة بعيد الفطر

خذ من بيانك في اجتلاء العيدِ ... لحن الهناء ونغمة التَّمْجِيْدِ
واقرأ سطوراً من إخائك بَيَّضَتْ ... وجه الطروس بتهنئات العيد
واعلق بأجنحة الوفاء محييا ... بالشكر كل مهذب صنديد
وتلق من بحر الصفاء جواهرا ... نظمت فعانقت الوفا بالجيد
واشرب على ذكر الفتوة والإبا[٣] ... حلب الهناء بيومه المشهود
واسحب على روض الرضا برد الهنا ... واطرب عليه بنغمة الغرّيد
أسلالة النجب الكرام الصيد ... السائدين مكانة التسويد
الآخذين على المعالي شأوها ... والقابضين على زمام الجود
يا نجل جبر يا أخا جبر[٤] إلى ... ركن من الشرف الرفيع عتيد

---

(١) راجعتها طبقا لنسختها في ديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) الشيخ علي بن جبر بن سعود بن علي الجبري (١٣٣٦هـ/١٩١٧م – ١٤١٦هـ/١٩٩٥م) ولد في مدينة مسقط، وفيها توفي. أصله من ولاية سمائل وقد تلقى تعليمه على يد علمائها. عمل أمينًا لمكتبة المعهد الإسلامي، إلى أن أحيل إلى التقاعد عام ١٩٩٠م. ترك ديوانين شعريين هما: «من وحي القريحة» و«بهجة النفوس في مدح السلطان قابوس». تنوعت أشعاره بين المديح والرثاء والإخوانيات والإلهيات. يرى بعض دارسي الشعر أنَّ ضراعاته الإلهية تكسوها نزعة صوفية. أما في الإخوانيات فإنه يمتح لغته وخياله وطريقة بناء أشعاره من موروث القيم الفنية العربية. توجد له ترجمة في كتاب شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، الجزء الثاني ص٦٤.

(٣) الفتوة في الرجال تعني: الرجل الكامل. والإباء عنفوان النفس وعزتها وترفعها.

(٤) قوله يا أخا جبر يدعوه بقبيلته: الجبري.

أنـت العليّ مكانة واسما فكن ... كالبدر فوق الطالع المسعود
واقرأ على صفحات دهرك أسطراً ... بـيضا لآبـاء كـرام صيد
وانهض على تلك الخطا متقدما ... فلأنـت منبع ذلك المورود
وافـى نظامك يا أخـيّ مرتلا ... آي الهناء بخالص التوحيد
فكأنـه وتـر عـلى أنـغامه ... تشدو به جِدَةٌ على مجدود[1]
وكأنـه حلبُ البيانِ تحللت ... فيه النهى فطغى على الموجود[2]
يزجي الهناء ولا هناء كمثله ... ويعيد وهو خلاصة الموعود
فَلَك الهناء يعود عرفاً زاكيا ... يذر البسيطة نفحة من عود
فتلقه بيد كتبت سطوره ... نوراً بها واهنأ بكل سعود
واسعد بعيدك مفطراً من بعد ما ... أديت حق الصوم للمعبود
واستقبل الأيام وهي هنيئة ... تلقاك أعياداً بلا تحديد
تلقاك والدنيا بخير سعادة ... حسناء ضاحكة بكل جديد
وإليك مني في الختام تحية ... تتلو السلام بنغمتي داود

* * * * *

(١) الجِدَةُ: السعة والغنى. مجدود: محظوظ، أي صاحب حظ عظيم.
(٢) حَلَبُ البيانِ: صفوته وأعلى صوره وأبلغ فصاحته.

(٢) نباة الهناء[١]

بعثها لصديقه علي بن منصور الشامسي[٢] بمناسبة قرانه الجديد

سلامٌ عليه من قلائده شَذْرُ[٣] يَزينُ به جِيْدُ التحية والنَّحْرُ
سلام على روح الصفاء وروحه ونفحته ما فاح عن زهره النشر
سلام على نفس إذا ما تنسمت نسائهما فهي الوفا وهي الشكر
سلام على من لو يقاس وفاؤه بما في الوفا وزناً لأنمى به الكثر
سلام على من كان بالطبع وارثا ودادي عن عم وخال هم الغر
سلالة منصور رعى الله أيديا لكم ما عفاها تحت أخمصه الدهر
وأنى له إن يُعفها يَعف دونها وأنى له والتبر جوهره تبر
وما الحب إلا أن يكون نياطه نياط الفؤاد[٤] فهو في جذره جذر
عليّ ابن منصور تحية وامق يلذ له في ذكرك النظم والنثر
أخي هاك مني نبأة السعد والهنا عليها من التوفيق أردية خضر
وهاك التمني في الحجال[٥] كأنه على العرش بلقيس يحوط بها الفخر

---

(١) راجعتها طبقا لنسختها في ديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) الشاعر علي بن منصور الشامسي (١٣٤٤هـ/١٩٢٦م-١٣٦٥هـ/١٩٤٦م)، خطيب مقتدر، وكاتب أديب، وشاعر أريب صنو أقرانه أمير البيان، والقاضي الجامعي، والشاعر البكري وغيرهم. أنظر معجم شعراء الإباضية للسعدي، الترجمة رقم ٣٠٢، ص٢٨٥.

(٣) الشَّذْرُ: قِطعُ الذَّهَب تُلْتقطُ من مَعْدِنه.

(٤) النياط هو الفؤاد، وهو أيضا ما يُعَلَّقُ به الشيء ومعناها هنا موضع مقام الحب. ونياط الفؤاد: عِرقٌ غليظٌ عُلِّق به القلبُ إلى الرئتين.

(٥) الحجال جمع حَجَلَة وهي ستار كالقُبّة يُزَيَّن بالثّياب والستُور للعَروس.

فمَرِّدْ لها صرحاً على لجة[١] الهنا ... يَبِنْ لك خلف الستر ما ضُمِّنَ الستر
وأبشر وباشر نعمة الله حامداً ... فلله تحت الحمد من فضله بحر
لك الله توفيقاً لما أنت رمته ... تباركه عين العناية والبشر
ودونك من عين السعادة آية ... كأن سناها الشمس ماج بها نهر
فقف حولها بين الترائب راكعاً ... كما ركعت للمصطفى القُضُبُ النُّضْرُ[٢]
وسبّح بها لله واسبح على المنى ... كما سبّحت في أفقها الأنجم الزهر
وشق شغاف القلب حول رموزها ... كما انشق للمختار في الفلك البدر
وذاك تمام النذر فانهض بعبئه ... فليس لحر لا يفي نذره عذر

---

(١) المَرْدُ: التَّمْليسُ. ومَرَدْتُ الشيءَ ومَرَّدْتُه: لينته وصقلته. والمُمَرَّد بِناء طويل؛ وبناء ممرّد: مُطَوَّلٌ. اللُّجَّةُ: ماء كثير تصطخب أمواجُه.

(٢) القُضُبُ: جمع قَضيب، لكن أمير البيان يريد بها جمع قَضْب وهو كل شجرة طالت وبسطت أَغصَانها. والنُّضْرُ: جمع ناضِرُ: وهو الشديدُ الخُضْرَةِ، وفي البيت إشارة إلى ما حفظته السير مما حدث للنبي محمد صلى الله عليه وسلم في عصره من معجزات خارقة للعوائد شهدها البعض من الناس، وكانت باعثا لهم على قبول دعوته صلى الله عليه وسلم، من ذلك ما أخرجه الهيثمي عن ابن عمر قال: "كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، في سفر، فأقبل أعرابيٌّ فلمَّا دَنَا قال له النبيُّ صلى الله عليه وسلم: أين تُريد؟ قال: إلى أهلي. قال: هلْ لكَ في خير؟ قال: وما هو؟ قال: تشهدُ أنْ لا إله إلاَّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، وأنَّ محمَّداً عبدُهُ ورسولُهُ. قال: مَنْ شاهدٌ على ما تقول؟ قال: هذه الشجرة. فدعاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم وهي بشاطئ الوادي فأقبلَتْ تخُدُّ الأرضَ خَدًّا حتى جاءت بين يديه فاسْتَشْهَدَها ثلاثا فشهِدَت أنه كما قال، ثم رجعَتْ إلى مَنْبَتِها، ورجع الأعرابي إلى قومه وقال: إن يتْبَعُوني آتيك بهم وإلاَّ رجعتُ إليك فكُنْتُ معك". الحديث أخرجه الهيثمي برقم ١٤٠٨٥ في باب: شهادة الشجر بنبوته صلى الله عليه وسلم. وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. أنظر كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لمؤلفه أبي الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، الجزء الثامن، ص٢٩٢.

وأوقف عليها النفس قبل نفيسها ... فمن خطب الحوراء لم يغله المهر[1]
ولله فيما رمته له لك نعمة ... تقر بها عين ويقوى بها ظهر
ويزكو بها فرع وتزدان دوحة ... ويعلو بها صيت ويسمو بها ذكر
على الله أن تبقى سعيداً مُهَنَّأً ... ويسعد محفوفاً بأفراخه الوكر

* * * * *

(١) هذا الشطر اقتباس من بيت للشاعر أبي فراس الحمداني في قصيدته: "أراك عصيّ الدمع"، حيث يقول:

تَهُونُ عَلَيْنَا في المَعَالي نُفُوسُنَا ... ومنْ خطبَ الحسناءَ لمْ يغلها المهرُ.

أنظر ديوان أبي فراس الحمداني، شرح الدكتور خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ١٦٥.

(٣) رد التهنئة[١]

بعثها جوابا على أبيات وردت بالتهنئة من الشيخ الشاعر الفقيه سالم بن حمود السيابي[٢]

تحية اللّٰه حيي منزل الكَرَمِ ... وباكريه من الرحمى بِمُنْسَجِمِ
وراوحيه بأرواح السلام كما ... يراوح الروح نفح البرء من سقم
وبايتيه كما بات المشوق على ... مهد اللقاء يداوي البؤس بالنعم
يا مطلع السعد من شمس الإخاء لقد ... أنَرْتَ حالِك مجهول الصوى[٣] فدُم
ويا مشارق أقمار الهناء على ... أفق الوفاء لقد جَليت فاحتكمي
ويا نسائم أرواح السرور على ... روض الحبور لقد وافيت فابتسمي
ويا فواغي الأماني في خمائلها ... سقياً لغصنك بين اللطف والشبم[٤]
يا سالم ابن حمود يا ابن بجدتها[٥] ... حتام سعيك بين السيف والقلم
تجلو الطريدة في ماضي الشباة كما ... تجلو الغريبة في مألوفة الكلم
جلوت آي بيان كالغزالة في ... راد الضحى ما طوت وخْطاً على كتم[٦]

---

(١) راجعتها طبقا لنسختها في ديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) أنظر التعريف بالشيخ سالم بن حمود السيابي في حاشية كلمته التقريضية في مقدمة هذا الديوان.

(٣) أنرت حالك مجهول الصوى: العبارة هنا كناية عن نور العلم الذي يحمله الشيخ سالم بن حمود وأثره في إنارة بصائر الناس.

(٤) الفواغي: مفردها فاغية وهي زهر كل نبت ذي رائحة طيبة. مَاءٌ شَبِمٌ: بَارِدٌ.

(٥) ابن بجدتها: العالم بالشيء المتقِن له.

(٦) جلوتَ: أظهرتَ. آي: جمع آية ومن معانيها المعجزة، فآي بيان: تعني بيانا معجزا. رأد الضحى: وقت انبساط الشمس وارتفاع النهار. الوخط انتشار الشيب في الرأس. الكَتَمُ نبات فيه حُمرة فإذا خلط بالحِناء وخُضِب به جاء أَسودا. أي أن بيان الشيخ سالم من الوضوح هو كمثل بياض لون الغزالة في منتصف النهار لم تنطوي على شيء من السواد.

جلوتها بين هالات الجمال لها ... نور يزحزح عنها طرة الظلم
من لي -وقد شَدَهَتْنِي- أن أحققها ... لما شهدت عليها جوهر الحكم[١]
عذراءُ لو لمستها كف ذي ألم ... يوماً لفازت بروح البرء من ألم
عفيفة الجيب لكن طرف مقلتها ... يُصْبِي ويَسْبِي[٢] النهى من كل ذي كرم
غناء لو أنها غنت على جدثٍ ... بالٍ لقام طروب الحال في نغم
زَفَفْتُهَا بين طيَّات النظام كما ... زُفَّتْ بجنح الدجى مقصورة الخِيَم[٣]
يضوع نشر التهاني من خمائلها ... كما يضوع شذا الفردوس عن أَمَم[٤]
فاهنأ بأحمد عود التهنآت بما ... في العيد والحج من فضل ومن عظم
واستقبل الدهر أعياداً تُسَرُّ بها ... واجعل زمانك حجا غير منصرم
واسعد بأرفه أوقات الهناء ودم ... في ذروة المجد محموداً بكل فم
وقابل الله بالشكر الجميل لما ... أولاك من كرم محض ومن نعم
واسلم وسلم على الشيخ الرضي فتى ... جميّل وعلى الأبناء كلهم
واخصص أباك بإهداء السلام ومن ... حوى جوارك من ندب ومحترم[٥]
ومن لدنا أخو سعد أسامتنا ... والآل والصحب من عبس وغيرهم
هذا وخير الدعا منا ومنك لنا ... والحمد لله في بدء ومختتم
من مخلصيك رعاة الود عمرهم ... بني عليّ ابن عبد الله ذي الهمم
خذها لعشر وتسع قد خلون بها ... من شهر ذي الحجة المعقود بالذمم

* * * * *

(١) شُدِهَ فلان: دُهِشَ وتَحَيّر.

(٢) عفيفة الجيب: طاهرة العرض. يُصْبِي: يُرْجِعُ الشيخ الوقور إلى عهد الصبا والطيش. ويُسْبِي: يستولي على العقل والتفكير.

(٣) مقصورة الخِيَم: العروس. فالمقصورة من النساء المصونة المُخَدَّرة التي لا يُسْمَح لها بالخروج من بيتها.

(٤) عنْ أَمَم: عن قرب.

(٥) رجل ندب: سريع إلى الفضائل.

(٤) ذكرى الأخوة[١]

بعث بها إلى الشيخ الأديب عبد العزيز بن عيسى الكندي تحية ودية وتهنئة أخوية[٢]

تحية من صميم القلب أهديها ... وحسبي الله عوناً أنْ أؤَدِّيها
إلى الذي طال في حفظ الوداديدا ... وزان إذا زاد نوراً في تجليها
عبدالعزيز ابن عيسى من علا فجلا ... من الأماني لنا ما عز جاليها
إليك يا ابن الكرام الصيد من يمن ... خريدة من بنات الفكر أهديها
غراء ترفل في ثوب الصبا مرحا ... كأن شيرين[٣] أبدت حسنها فيها
تفتر عن ناصع لا البرق يشبهه ... كلا ولا الشمس في أبهى مجاريها
جلَّت فحلت بقلب لا بَوَاءَ[٤] له ... إلا إلى مثلها أو مثل مهديها
قامت إلى وجهك الضاحي مؤدية ... من واجب الشكر ما يبغي مؤديها
ما سُوِّمَتْ[٥] قبل رعيا في مسارحها ... إلا لتشهد شيئاً من معانيها
فأقبلت بالأماني وهي حافلة ... ضرعاً يسيل لجيناً من تهانيها
تعيد بالعيد ذكراها إذا بدأت ... بيومه الأكبر الجالي أمانيها
وتسأل الله أن يزجى لملتها ... حَمِيْدَ عَوْدِ الهنا دهراً يواتيها
وحسبها الله إحساناً إليك ومن ... رعيت في الله أو راعيته فيها
يا ويحها أتراها وهي ناسية ... لك التهاني بحج البيت تَوْجيها

---

(١) راجعتها طبقا لنسختها في ديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) بحثت عن تعريف للشيخ عبدالعزيز بن عيسى الكندي في معجم البابطين، وفي شقائق النعمان للخصيبي، وفي معجم شعراء الإباضية للسعدي، ولم أعثر له على ترجمة.

(٣) شيرين: راجع التعريف بها في حاشية على القصيدة رقم (١٤) بعنوان: منزل الشان.

(٤) البواء: الكفء، والنظير.

(٥) ما سُوِّمَتْ: ما أرسلت.

ماذا رأيت به والناس معلنة ... لبيك لبيك رب البيت تنويها
خير الشعور شعور نفس صاحبه ... تكاد تنشق من رعب مطاويها
الله في ذمة الذكرى هناك فقد ... كادت تطير لها روح تغذيها
وأن لي أسوة فيكم وحسبي أن ... أكون في موقف الذكرى أزكيها
ذكرى الأخوة أغلا ما يمثله ... حر وأعلا من العليا وعاليها
يا من إذا أنا أجريت اليراع له ... طغى وأطغى بأفكاري قوافيها
عليك مني سلام الله ما طلعت ... شمس النهار وأعيت عين رائيها
واقرأ سلامي أباك الندب من شهدت ... له المعالي بما قد كان يعليها
وكل أعمامك الشم الأباة ومن ... قد أنتجوا من بني العلياء بانيها
وليبق في كنف المولى سعودكم ... عليه من صيغة التسليم زاكيها
ومن هنا إخوة زانت بطلعتهم ... هذي الحياة وغالت فيهم تيها
وعترة وبنو صلب وحاشية[1] ... يزجون في ختمها ما شاء مزجيها
من مخلص الود عبدالله نجل علي ... حر الهوى أريحي النفس ساميها
وهاكها بنت حين ما أَلَوْتُ[2] لها ... جهداً وحسبكها أن قام شاديها
فقد جلوت بها الآيات باهرة ... في طرسها تكسب الألباب تنبيها
لستة بعد عشر الحج قد غشيت ... فقام تاريخها يجلو غواشيها

* * * * *

(١) عترة الرجل أقرباؤه. وبنو الصلب: إخوانه من صلب أبيه. والحاشية: الحشم.
(٢) ما ألَوْتُ: أي ما قصَّرْتُ، ما ادَّخَرْتُ من الجهد.

(٥) هو العيد[١]

بعث بها إلى أخيه سعود بن علي الخليلي أثناء إقامته سفيرا لعمان بالقاهرة[٢]

سل العيد هل غادى ربوعي هناؤُهُ ... وهل ساق غير الذكريات مساؤُهُ
وهل صافحتني بالسبات نجومه ... وألحفني بالياسمين رداؤه
وهل بات منه جانبي غير شوكه ... وهل لذَّ لي مقليُّه أو شواؤه[٣]
وهل ساعدتني في الظلام جفونه ... على النوم أمْ أدْنَى سروري ضياؤه
وهل ضحكت لي فيه سنُّ حبيبة ... إليّ وكم سنٍ بدا لي جلاؤه
هو العيد ليس العيد يوماً معينا ... ولكنه يوم سعيد لقاؤه
تطيب به نفس وتلتذ مقلة ... ويرتاح قلب عض فيه عناؤه
ويسعد مشتاق برؤية أوجه ... يبيت يناجيها فيبدو خفاؤه
فإني لحر ثالث لثلاثة ... كأقمار دجن نام فيه شتاؤه

---

(١) راجعتها طبقا لنسختها في ديوان وحي العبقرية المطبوع.

(٢) التعريف بالشيخ سعود يُراجع في مقالته المنشورة في مقدمة هذا الكتاب.

(٣) من عادة العمانيين في العيدين أنهم يأكلون اللحم على ثلاث طرائق: مقليا ويسميه البعض مُحَمَّسا حيث يقطع اللحم قطعا صغيرة وتضاف عليه توابل ثم يوضع على موقد النار في مقلاة أو قدر حتى ينضج، ويأكله بعضهم بالخبز والعسل، وبعضهم بدونهما. ومشويا على نوعين: مشاكيك، وهو قطع لحم صغيرة تُشَكُّ في عبدان دقيقة من الحطب ويُتَبَّلُ بخلطة من البهارات ثم يُشْوَى على الجمر. وأخر يُسَمّى شِواء وهذا يحتوي قوائم الذبيحة وأفخاذها وما عظُمَ من أجزاء جسمها يجهز كذلك بخلطة خاصة من البهارات وتغلف كل قطعة من اللحم بأوراق الموز، ثم تُكْنَزُ قطع اللحم داخل خَصْفَة مسفوفة من خوص النخيل وتلقى في تنور في باطن الأرض يجتمع أهل الحارة جميعهم في دفن مشاويهم فيه. والشاعر هنا لسان حال قومه يصف عاداتهم.

طوى البين عنه اثنين فانفاء[١] مفردا ... أسيراً لصرف الدهر كيف يشاؤه
ولولا اعتناء الله جل بشأنه ... لخابت مساعيه وجد بلاؤه
هم إخوة كانوا على الدهر كتلة ... إذا شدَّ شدُّوهُ فضاق وعاؤه
وإن جل خطب جللوه بمحكم ... من الحزم عن رأي متين بناؤه
وإن كلحت أم الدواهي تسابقوا ... إليها بعزم لا يفل مضاؤه
وكم رام صرف الدهر شق عصيهم ... فخاب ولم يفلح بحال رجاؤه
لتهنَ الليالي ساعدتها يد النوى[٢] ... عليهم وجاءتها بشيء تشاؤه
وساقت إليها منية لم تكد ترى ... حقيقتها والحلم يعلو بكاؤه
فهل ستوافيها مكافئة لها ... بعيد عن الأفراح شق لحاؤه
على مهرجان فيه كل بناتها ... يهنئنها بالعيد وهي هناؤه
سلا الراحلين التاركين أخاهما ... وراءهما والدهر وعر وراؤه
هل ارتضعا ثدي النعيم فهوّما ... عليه وفي النعماء للمرء داؤه
وهل أقمرا تحت النوى حين أظلم الـ ... ـمقيم ومن يظلم يعز اهتداؤه
أم ارتديا ثوب المسرات ضافيا ... فأنساهما إلاَّهُ منه ارتداؤه
سليل أبي إني على ذلك الوفا ... مقيم إذا خان الصديق وفاؤه
تلقيتُها بالعيد منك بطاقة ... عليها الهناء ضافيات مُلاؤه[٣]
كأن يد الإبريز[٤] خطت سطورها ... فطار بها عبر الفضاء صفاؤه
وبات سرور العيد يمسح خدها ... ويندي ورود الوجنتين اجتلاؤه

(١) انْفَاءَ: رجع، صار.
(٢) النوى الفراق والبعد.
(٣) المُلاء: جمع مُلاءة وهي الريطة والملحفة والإزار.
(٤) الإبريز: الذهب الخالص.

وترتسم القبلات من كل شيّق ... عليها وداء الشوق صعب دواؤه
وتبدو عليها للخيال مسارح ... تظل عليها سارحات ظباؤه
بأفلاكها سعد السعود مفيئة ... بشأو عليّ[١] أرضه وسماؤه
كأن سماء النيل صاغت نجومها ... على نحرها كالعقد نارَ سناؤه
وحاك لها من لونه بردة الهنا ... فجاءت بها والوشي بادٍ بهاؤه
فلم أدرني لما فتحت غلافها ... فتحت غلاف الجد عما أشاؤه
أم ارتسمت حولي من النور صورة ... عليها مَلاَكٌ كالحياة حياؤه
يمثله قلبي وإن غاب شخصه ... وألمسه في الروح وهي خِباؤه
عليك سلام الله في القرب والنوى ... إذا رجّع الشادي[٢] فهاج غناؤه
يطير بأجواء الزمالك واقعا ... بطائره الميمون حيث تشاؤه[٣]
يعيد الهناء في ظروف رقيقة ... تشف عن الإخلاص وهي ضياؤه
يقدمها شوقاً إليك ليلتقي ... هناءآن في كف عليه هناؤه
فخذها على لحن المسرات وارتشف ... سلافتها كالأرْي[٤] لذ اجتناؤه
ودم في نعيم مستمر وغبطة ... مدى الدهر معقوداً عليك لواؤه
ولله عندي أنعم لو شكرته ... عليها لآد الشكرُ مني أداؤه[٥]
أعيذ بذكراها المقال من الجفا ... وأختمه بالمسك لَدْنًا رداؤه[٦]

* * * * *

(١) مفيئة بشأو عليّ: عائدة عليَّ بشأن.
(٢) رجَّعَ الشادي: ردَّدَ صوته بالغناء.
(٣) كان مقر سفارة السلطنة ومنزل السفير في مصر في جزيرة الزمالك.
(٤) الأرْيُ: العسل.
(٥) لآدَ الشكرُ مني أداؤه: لأعجزني أداء الشكر.
(٦) لَدْناً رداؤه: مبللاً رداؤه بدهن المسك.

(٦) عَسْعَسَ الليلُ

عَسْعَسَ الليلُ واستهام الطروب ... وسرى النجم والظلام رهيب[١]
وخلا الحِبُّ بالحبيب[٢] يناغيه ... بلحن يحلو به الأسلوب
وهواهُ في غيده[٣] إذ تَمَنَّى ... وتَمَنّي الحسان شيءٌ عجيب
إذْ سَرَتْ نغمة من الأدب الـ ... ـغَضّ عليها من الغوالي طيوب
ورؤاها لطفٌ يشف عن الـ ... ـحسن وفي الحسن سالبٌ وسليب
تتغنى بمن تود وتذري ... دمعها خلف رَكْبِهِ وتهيب
وتنادي موسى سلالة عيسى ... عبر آذيِّها فلا يستجيب[٤]
شغلته معالم العز تسمو ... بسمائيل[٥] تتقيها الخطوب
فتغنى بها وألف فيها ... وبدا شاعرا له تأويب

---

(١) عَسْعَسَ الليلُ: أقْبَلَ بظلامه. اسْتَهَامَ: عَرضَتْ له حال الهيام وهو عشق يفضي إلى الجنون. واستُهيم قلبُ فلانٍ: سُلِب من الحُبِّ.

(٢) خلا: انْفَرَدَ، دخل في خلوة. الحِبُّ: الحبيبُ.

(٣) غِيْدُ: جمع غادة وهي الفتاة اللينة الناعمة.

(٤) المقصود بموسى سلالة عيسى: الشاعر موسى بن عيسى بن ثاني البكري. وهو من معاصري الشيخ عبدالله الخليلي ومن أصدقائه الخلص. راجع التعريف به في حاشية على القصيدة رقم ٧ بعنوان: سباق الأعنة. الآذيُّ: الموج.

(٥) سمائيل: يقال بأن هذا الاسم هو أصل تسمية مدينة سمائل. ويظهر أن له صلة بهجرات العرب العدنانيين الذين قدموا إلى عمان في عصور قديمة من شمال شبه جزيرة العرب مثل عبس، وذبيان، وهوازن، وتغلب، وغيرهم، وشكلوا منذ القديم أغلبية سكان هذه الولاية. وسمائيل في اللغة العبرانية تعني سماء الله جلَّ جلاله، أو عرش الله تبارك وتعالى. وقد صغتُ هذا المعنى شعرا في قصيدة قلتها في سمائل:

كانت سمائيلُ في إطلاق من غبروا ... حيث اسمُها من سما والإيْلُ باريها
شريفة بجلال الله رُتْبَتُها ... مَنْسُوبَةٌ للإله الحق تنويها

أوَينسى الفيحاء من أكرمته ... بهواها واستقبلته الدروب
وتجلى في حلَّتيها لِيَشْآى[١] ... مسابقات الميدان وهو صليب
وترامى بين المعالم فيها ... بدر تَمٍّ عليه برد قشيب
فهي فوق الإطراء والمدح شأوا[٢] ... وعليها من الجلال مهيب
تتهادى بين الحسان بفضفا ... ض[٣] عليه غصن يميس رطيب
ترصد الليل عن مطالع أقما ... ر عليها من الهدى شؤبوب[٤]
إيه موسى ومن كموسى إذا ما ... سل سيفا به اليراع خطيب
إنه شاعر مجيد ورام ... لا تصيب الرماة ما قد يصيب
وأبوه الأديب من درس الفقه ... ومن الآداب وهو خطيب
فسلام عليهما من أديبين ... استباحا كنزا عداه الرقيب
واستنارا طرائق العلم في الله ... ولله قصدها المحبوب
ليفضا مسك الختام شذيا ... من صلاة الرسول يجلوه طيب

* * * * *

(١) لِيَشْأى: لِيَسْبِق.
(٢) الشَّأْوُ: الغاية، والشأن، والشوط.
(٣) الفضفاضُ من الثياب الواسع.
(٤) الشؤبوبُ الشدَّةُ من كل شيء. وكذلك هو الدفعة من المطر.

(٧) الصنَّاجة[١]

بحري بسيط ولكن بحره هَـزَجُ ... يشدو على الناي منه مطرب هَزِجُ[٢]
يصيح في الناس إن الخير مكمنه ... في منطوى الشر عنه تنجلي الفرج
حتى كأن الضواري وهي حاقدة ... يـرى بأنيابها إنْ كشَّـرت فرج
فهل ستبلعه أم قد تَغَصُّ به ... ريقا فتلفظه ما إنْ به حرج
تبارك الله في ذي النون[٣] تبصرة ... للمبصرين بها غم ومنفرج
إخواننا من صميم العرب فوق أديـ ... ـم الأرض حتام ذي الضوضاء والهَرَجُ[٤]
ما بالنا نكره الأيام صامدة ... لم يُصْبِهَا المُصْبِيَان اللحظ والغَنَجُ[٥]
ونستريح إلى الأنغام راقصة ... يهوي بها المغريان الطَّرْفُ والدَّعَجُ[٦]
أليس في وسعنا ان نستجيش لها ... وسورها الكافران الغش والدَّجَجُ[٧]
ونمتطي القمرين حيث يقصر عن ... مرامنا المضنيان العَدْوُ والدَّلَجُ[٨]
ونركب المرهقين في الفضا طبقا ... يهوي به طبق من تحته لجج

---

(١) هذه القصيدة في العلامة الأصولي الفقيه اللغوي الأديب الشيخ إبراهيم بن أحمد الكندي، وقد نقلتها إلى هنا من ديوان فارس الضاد.

(٢) البسيطُ والهَـزَجُ: بحران من بحور الشعر العربي. هَزِجُ: مُتَـرَنِّـمٌ في غنائه.

(٣) ذو النون: النبي يونس عليه الصلاة والسلام.

(٤) الهَـرَجُ: الفتنة والقتل.

(٥) المُصْبِيَان: الباعثان للشعور بمرحلة الصبا. اللحظُ: العينان. الغَنَجُ: دلالُ الزوجة وتحببها لزوجها.

(٦) الطَّرْفُ: تبريقة العين وترميش طرْفها. الدَّعَجُ: وُسْعُ العيون مع اشتدادِ سوادها وبياضها.

(٧) الدَّجَجُ: مشْيٌ متقارب الخطو على هيئة التلصص، وربما أراد به التجسس.

(٨) الدَّلَجُ: سَـيْـرُ الليلِ كله.

ونعتلي الدهر أقسى صهوة جمحت ... يستاقها الزاجران العَجُّ والمَعَجُ[١]
ونلمس الحق في عرف النسيم إذا ... سرى به الأطيبان النفح والأرج[٢]
هبني درست أساليب الحياة بها ... فشف عن مخبايها المكر والخلج[٣]
فقد فتحت لأحبابي الفؤاد فما ... دنوا إليه ولا لَجُّوا ولا وَلَجُوا[٤]
لكنهم صدفوا عنه مراغمة ... وأوسعوه جفاء ثمة أدلجوا[٥]
كانوا بِوَاحَتِه حُلَّالَ ساحَتِهِ ... فغادروه وماتت طيَّه البُهُجُ[٦]
كانوا مقيمين فيه ما بهم ملل ... ولا هم عن هواه رغبة خرجوا
لكن تخالفت الأهواء فاختلفت ... على اختلاف موازين القوى المهج
حتى المودَّات ما اسْطاعت دخيلتها ... قهر الطبيعة والغايات تنبلج
وشادِنٌ يتهادى سَيْرُهُ جَلَبٌ ... في إثره لجب في كفه وَهَجُ[٧]
له من الكبريا درعٌ، ومن حَوَرٍ ... سَهْمٌ، ومن لحْظِهِ صمصامة ضَرِجُ
ويقهر القرنَ منه أحْوَرُ دَعِجٌ ... وكم أغار على أقرانه الدَّعَجُ[٨]
كأن الغرام غريم الإحورار به ... ونقطة الباء حيث الملتقى البَهِجُ[٩]

---

(١) العَجُّ: الصياحُ بصوت الأمر: المَعَجُ: سرعة السير.

(٢) النَّفْحُ: انتشار ريحة العطر. الأرَجُ: عبيره.

(٣) مخبايها كذا وردت ولم يمكنني تصحيحها لعدم وجود الأصل. الخَلَجُ: الاضطراب.

(٤) لَجُّوا: ألَحُّوا. وَلَجُوا: دخلوا.

(٥) أدْلَجوا: ساروا ليلا.

(٦) البُهُجُ: جمع كثرة، والمفرد: بَهْجَة.

(٧) الشادنُ: ولد الظبية. في سيره جَلَبٌ: أصوات. اللَّجَبُ: صوتُ العسكر. الوهَجُ: وهج الشمس شعاعها. ووهجُ العطر انتشارُ رائحته.

(٨) أحْوَرٌ دَعِجٌ: حَوَرُ العين شدة سواد سوادها وشدة بياض بياضها، والدَّعَجُ مثله مع اتساع في العين.

(٩) البَهِجُ: المُبْهِج.

ثم انطوى فطوى همي بعمة مَن ... قد أنشر الذات باللذات تبتهج[١]
لأنه منبع الفصحى ومنبتها ... صنَّاجة العُرْب بالآداب ممتزج[٢]
من معشر قال عنه العلم مفتخرا ... بالإنتساب إليه والهدى لَهِجُ
حسبي بكندة مصباحا أنيرُ به ... دربي ومَحْتِدُ فخر فيه أبتهج
يا من أُجِلُّ عن الإطراء باللقـ ... ـب الغازي وإن كاد باب الغزو ينفرج[٣]
فلا أناديه (بالدكتور) مفخرة ... مالي إلى الفخر بابن الغير أنتهج
لكن أناديه شيخ العلم عمدته ... إذ أنه كل أبواب الهدى يلج
وقد تضلع بالفصحى وشاد بها ... حصنا من العلم فيه للهدى خَلَجُ[٤]
فالضاد مضربه والنحو ملعبه ... والفقه منصبه والآي والحجج
إياك يا ابن الكرام الصيد من يمن ... أعني لما أنا أعنَى فيه إذ ألج
رأيت ندوتك العصماء باكية ... شوقا إليك ونار الشوق تلتعج
لما تغيبت عن أعلامها ردحا ... وما لمتنك شرح عنه ينبلج
وهم ينادون في إنشادهم رتلا[٥] ... كريم شخصك والشادي به لجج

---

(١) أضاف عمامة العلم التي يعتمرها ممدوحه إلى الذات الإلهية رفعا لقدره فقال: "فطوى همي بعمة من أنشر الذات باللذات تبتهجُ".

(٢) صنَّاجةُ العرب: يعني به العلامة الدكتور اللغوي الأديب الشيخ الفقيه ابراهيم بن أحمد بن سليمان الكندي.

(٣) هذا لأن العلامة الشيخ إبراهيم الكندي حاصل على درجة الدكتوراة. وكثير من ذوي الأصالة العلمية العربية يأنفون من لقب دكتور فقد بات لا يعبر عن مقدرة علمية قدر ما هو إطار شكلي للتفاخر فقط. ولهذا السبب يجل أمير البيان عن أن ينعت به العلامة الكندي فهو في علمه وديانته أرفع من مستوى حملة هذا اللقب.

(٤) خَلَجَ الشيءَ: نَزَعَه، جَذَبَه. وخَلَجَه أمر: شَغَلَه. فقول الشيخ: فيه للهدى خَلَجُ: أي فيه نزوع إلى الهدى واشتغال به.

(٥) الرتل: حسن تناسق الشيء.

هبك اختبأت فما أصحرت عنك فهل ... ترى لشأنك عذرا بابه تلج
عافاك ربك في قرب وفي بعد ... فإن في عفوه للمرء مبتهج
وهذه الندوة الغراء قد خشيت ... أن يجرح العتب حبا قلبه بهج
فأقسمت أنها لم تلف عاتبة ... ولو أغار عليها الألْعَس الغنج[1]
إذ ربما قلب العتب الإخاء إلى ... صرم وعتب الإخا في ذاته سمج
وحسبها بشقيقين انبرى لهما ... صوت العتاب فلم يعلق بهم حرج
هل ذاك إلا لإخلاص لها بهما ... ومخلص الحب أنَّى هِيْجَ يبتهج
ودونك الصدق مختوما بغالية ... من مسك حبك بالألطاف يمتزج
فيه الصلاة على المبعوث من مضر ... والآل والصحب من في حبه ولجوا

* * * * *

(١) اللَّعْسُ: سوادٌ مُسْتَحْسَنٌ في باطن الشفة.

(٨) أبو مسلم[١]

الله يحكم والأكوان أعيان ... والنصر يشرق[٢] والصمصام نشوان
وحجة الله بالبرهان قاطعةٌ ... محجةَ البُطل إن البُطل خسران
ونوره يتجلى بالفتوح له ... من جانب الله أنصار وأعوان[٣]

---

(١) هذه القصيدة أوردها أمير البيان رحمه الله تعالى في ديوان فارس الضاد تحت عنوان: أبو مسلم، ضمن قصائد الإخوانيات. ويظهر من سياقها أنه قالها في الأمسية التي أقامها المنتدى الأدبي لتكريم شاعرية أبي مسلم. كما أنه أوردها في قصيدته الكبيرة: وحدة الشعب، كمفتتح بعنوان: فيض الرحمة، بباعث اتخاذه لأبي مسلم نبراسا في الشعر الاستنهاضي. وبالمقارنة بين نسختي القصيدة في ديوان فارس الضاد وفي قصيدة الوحدة اتضح أن القصيدة هي نفسها في النسختين، إلا أن نسخة قصيدة وحدة الشعب تفردت بما لا يقل عن خمسة وعشرين بيتا لم ترد في نسخة القصيدة بديوان فارس الضاد. الأمر الذي يجعل كلا النسختين قصيدة قائمة بذاتها. وقصيدة وحدة الشعب أوردها أمير البيان بين دواوينه المخطوطة كقصيدة مستقلة وكأنه كان في خطته أن يصدرها في ديوان مستقل على غرار قصيدة وحي النهى. ولكن تبويبنا الموضوعي لأعماله الشعرية اقتضى أن تجتمع قصيدة وحدة الشعب وقصيدة وحي النهى وقصيدة المقصورة في ديوان: من نافذة الحياة. كما اقتضى جمع القصائد الإخوانية من جميع الدواوين وجعلها في هذا الديوان بجامع الموضوع.

(٢) كلمة: يشرق، وردت في نسخة قصيدة وحدة الشعب: (يبرق).

(٣) بعد هذا البيت وردت الأبيات التالية في نسخة قصيدة وحدة الشعب:

والفتح فوق متون العاديات له ... سيف من الرعب لا تزويه أرسان
وفيض رحمته ينهلُّ منسجما ... على البرية يستجليه رضوان
لله من نظرات في أخي أدب ... شيخ له في سلاف الذكر إدمان
شيخ له انقادت الفصحى ملبية ... طوعا يدبرها حبٌّ وإذعانُ
قد ذللتها له أيد سماوية ... ما إن يطاولها شأو ولا شان
وطوعتها كما شاءت إرادته ... لسرجه فهي والتوفيق أحضان
بوركت يا ناصر العرفان من علم ... وجادك المزن والأنواء هتان

ونصرة الحق والتوفيق مُرشدها ... سعيا وقائدها هديٌ وإيقان[١]
ونظرة الله في أهل الطريقة لم ... تبرح مراحمها باللطف تزدان
ونظرة الناس تقليد لنظرته ... لكنها هي تخليد ووجدان
لله من سادة عمت مكارمهم ... أهل البيان وأهل العلم مُذ كانوا
جَلَّتْ أبا الشُعرا كيما تكرِّمه ... وإن إكرامه للضاد إحسان
أخا رواحة من بهلان محتده[٢] ... نفخت بالشعر روحاً فهو يقظان

(١) كلمة مرشدها: وردت في نسخة قصيدة الوحدة: (قائدها). وورد فيها بعد هذا البيت البيت التالي:

وآية الله في أهل الطريقة لم ... تبرح مراحمها باللطف تزدان

(٢) قول أمير البيان عن أبي مسلم: (أخا رواحة من بهلان محتده) يشير به إلى النسب المزدوج لهذا العلم الكبير أبي مسلم ناصر بن سالم بن عديّم (البهلاني الرواحي). وقبل بضع سنوات ثار نقاش بهذا الخصوص، وعُرِضَ الأمر على سماحة الشيخ العلامة أحمد الخليلي حفظه الله تعالى فكان جوابه أنَّ البهلانيين فرع قديم من طيء، وأن أبا مسلم جاءه النسب العبسي من جهة سكنى أسرته في وادي مَحْرَمْ لتقلد جده الشيخ عبدالله بن محمد البهلاني منصب القضاء على قرى ذلك الوادي في أيام دولة اليعاربة. وهذا القول لسماحة الشيخ أحمد قرأته بنفسي في استفتاء وجهه إليه الشيخ محمد بن عبدالله الخليلي حين عُرض عليه ما انبثق من خلاف بين بني رواحة وآخرين حول نسب أبي مسلم. وفي تقديمه لديوان أبي مسلم (النفس الرحماني) ذكر العلامة الخليلي رعاه الله تعالى هذا القول لكنه ساقه مساق السماع وليس التحقيق. أما بنو رواحة فيقولون بأن البهلانيين رواحيُّو الأرومة أصالة، وأن صفة البهلاني التصقت بهم من جهة أنَّ طائفة من بني رواحة كانوا رجال دولة بني نبهان، وكانوا يقيمون في بهلا، ولما سقطت دولة بني نبهان، وقامت دولة اليعاربة رجع بعض رجال تلك الطائفة إلى موطنها في وادي محرم ومن ضمنها أسرة الشيخ أبي مسلم التي عُرِفَ رجالها فيما بعد بالبهلاني. ويتأيَّد هذا الزعم بسكوت أبي مسلم عن النسب البهلاني إذ لم يذكر في آثاره العلمية والشعرية أي صلة للبهلانيين بطيء أبدا، بل إنه لم يذكر نسبا بهلانيا أصلا وهو العالم بأحكام الشرع في الأنساب وغيرها. وقد عَرَجَ في أشهر قصائده وهي النونية التي استنهض فيها قبائل عمان من أجل مقاومة الإنجليز ونصرة الدين، على ذكر مفاخر أعياص القبائل العمانية قبيلة قبيلة، ومنها قبيلة طيء فلم يشر إلى انتسابه إليها، بل لم يزد ذكره لها عن بيت واحد، بينما بلغ عدد الأبيات

التي ذكر فيها بني رواحة ١١ بيتا تضمنت افتخاره بتفاصيل مجد بني عبس وبني ذبيان، وذكر فيها انتسابه إلى عبس، وخصها بثناء ومديح يتأكد به رسوخ انتمائه العبسي في نفسه، من مثل قوله: (ويا بني عمنا ذبيان)، وقوله: (إذا مدحت بني ذبيان إخوتنا)، وقوله: (إنا وإياكم). كما هو جليٌّ في أبياته التالية من النونية:

وأين عن أجربيها منع بيضتها "والأجربان بنو عبس وذبيانُ"
ياجمرة العرب يا عبس الطعان ألا لا يُطْفِئَن جمركمُ بغيٌ وعدوانُ
لا تشعلوا الحرب إلا في مواقدها حيث الجهاد على الباغين مَوْتَانُ
ويا بني عَمِّنَا ذبيان مجدكمُ إنا وإيَّاكُمُ في المجد صنوانُ
بآلِ حصنٍ وبالعَمْرين قد فَرَعَتْ عزا ونبلا جميع الناس غطفانُ
إذا مدحتُ بني ذبيانَ إخوتنا أظهرْتُ شمسا لَها في العين برهانُ
فيا ليوث بغيضٍ دَرَّ دَرُّكُمُ هلاً سباقٌ إلى خير وإرهانُ
فُرْسَان داحس والحنْفَاءَ حسبكُمُ من الرِّهَان جهادٌ فهْوَ ميدانُ

إن ضمير المتكلم في تلك الأبيات يُوَضِّحُ أن "البهلاني" عند أبي مسلم لقب لا صلة له بنسب طائي. وأن النسب الذي يعرفه لنفسه هو النسب الرواحي العبسي. ويزيدنا أبو مسلم يقينا أنه عندما جاء في النونية على ذكر طيء لم يزد قوله فيها عن بيت يتيم هو:

عادات طيءَ تخضيبُ السيوف وإرْ واءُ المُثَقَّفِ وهْوَ اليومَ عطشانُ

ولديَّ نسخة من ديوان لأبي مسلم طبع سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٨م في المطبعة العربية بمصر، بعناية الشيخ يوسف توما البستاني صاحب مكتبة العرب، وقد جاء اسم أبي مسلم على غلاف الديوان كالتالي: "العلامة ناصر بن سالم بن عديِّم الرواحي العماني". وإضافة إلى ذلك وَجَدْتُ فيما أهدانيه الشيخ عبدالله بن سعيد بن حمد الرواحي من الأوراق، ورقة فيها استفتاءات شعرية موجهة للشيخ أبي مسلم، من ضمنها أبيات فيها إطراءٌ لمناقب بني رواحة مرسلة إليه من الشيخ نصرالله بن محمد الكندي (لمعرفته أنظر: معجم شعراء الإباضية، لفهد بن علي بن هاشل السعدي، مطبعة الجيل الواعد، ط١، ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م، ترجمة رقم ٤٢٣، ص٣٩٤) يقول فيها:

لله درُّ بني رواحة إنهم رفعوا منارَ العزّ فوق الفرقد
وحَمَوْا ديارَهُمُ بأسْدِ شراتهم ومَحَوْا ببيض الهند دار المُعْتَدي

فأجابه أبومسلم بقوله:

سَبَقَتْ مديحكَ خطةٌ عبسيةٌ خضعتْ لعزّتها رقابُ الحُسَّد
جَلَّتْ عن الإطْراء سَوْرَةُ مجدنا أوْ لا، فَقُمْ نحو الكواكب فاعْدُدِ
عَلِمَ القبائل أننا جَمَرَاتُهَا وسَرَاتُها ولنا تراث السؤددِ.

فليتني قد حضرت الحفل منشرحاً صدراً وقلبي بآي الحب ملآن
علِّي أهيب به من فوق ربوته فإنما هو أنغام وألحان
يا منشد الشعر فيه رُوح روعته كأنما هو والروعات خلان

وكنت سألت الأديب يحيى بن محمد البهلاني رحمه الله تعالى عن هذه المسألة فقال: "الجد الرابع لأبي مسلم البهلاني –رحمه الله- هو جدّي السابع، وأصل القبيلة من إزكي، وبالتحديد من قرية يُطلق عليها القشع وهم أول من سكن هذه البلدة"... أما فيما يتعلق بانتساب الشيخ ناصر إلى بني رواحة فهذا من جهة الانتماء فقط، وهذا ما نَحَتْ إليه القبائل الصغيرة بانضوائها تحت لواء القبائل المشهورة مع اختلاف نسبها، ويرجع ذلك للظروف التي كانت تحيط بالبلاد، وفيما يتعلق بقبيلة البهلاني فهي لا تمت بصلة نسب إلى بني رواحة فقد ذكر أحد العارفين بالأنساب أن قبيلة البهلاني من قبائل طي". أنظر: ملحق جريدة عمان الثقافي، العدد ٧١٠٧، بتاريخ الخميس ١٩ من شعبان ١٤٢١هـ/١٦ من نوفمبر٢٠٠٠م، ص٣. وإذا كان سماحة الشيخ أحمد الخليلي حفظه الله تعالى قد ساق كلامه مساق السماع، فكذلك كلام الأديب يحيى رحمه الله تعالى يحتاج إلى توثيق، فمن هو ذلك العارف بالأنساب الذي قال بأن البهلانيين من طي؟ وهل لهذا القول مستند من مصدر علمي؟ وأينه؟ وإذا كان البهلانيون هم أول من سكن قربة القشع في إزكي، فأين كانوا قبل ذلك إذن؟ قد يؤيد هذا القول زعم بني رواحة بأن البهلانيين فرقة منهم تركت بهلا بعد سقوط دولة النباهنة الذين أقيمت لهم محكمة في عهد الإمام عمر بن الخطاب الخروصي جردتهم من جميع أموالهم وأراضيهم ودورهم وكل ما كان بحوزتهم، (أنظر في هذا تحفة الأعيان، الجزء الأول ص٣٧٨ وما بعدها)، ويحتمل أنْ يكون ذلك الحكم قد لحق أيضا رجال تلك الدولة من بني رواحة الذين ربما فرُّوا من بهلا إلى إزكي بسبب ذلك وعَمَرَوا قرية القشع. ومعروف بأن إزكي من مناطق نفوذ بني رواحة. كذلك فإنه بجانب إصرار الشيخ أبي مسلم على نسبه الرواحي فإن ابن أخيه الشيخ ناصر بن سليمان بن سالم بن عديِّم، وهو أديب وشاعر معروف، كتب اسمه على قصائده ومخطوطاته ولديَّ صورا لبعضها: ناصر بن سليمان بن سالم البهلاني العبسي، وليس الرواحي فقط. أي أنه ذهب إلى أعمق مما ذهب إليه عمُّه، وهذا يعني أن رجال هذه الإسرة، وهم بين عالم زكي وشاعر ذكي، لا يعرفون لهم نسبا غير النسب العبسي ولهذا التزموا الانتساب إلى رواحة وعيصها عبس. وكان والد الشيخ أبي مسلم واليا للإمام عزان بن قيس على نزوى، وقد أورد ذلك الإمام السالمي فقال: وَوَلَّى (الإمامُ) عليها سالم بن عديّم الرواحي. هكذا ذكره مجردا من لقب البهلاني. أنظر تحفة الأعيان ج٢، ص٢٧٧.

قد عشت تسبح في بحر البيان فما ... أحراك بالروع حيث السحر أفنان
حتى لجأت إلى الأذكار منقطعا ... والذكر عقباه أرواح وريحان
هذا جزاءُ ملِظٍّ ليلُهُ عبقٌ ... وخالص الذكر أسماء وقرآن
يهيم في سبحات الله تُسلمه ... إلى الإرادة والأنوار هتان
إني أقول لأقطاب قد اعتمدوا ... إكرامه إنما الإكرام عرفان
إن تكرموه فقد أكرمتم الشعرا ... والشعر والعلما والعلم لا هانوا[1]
وإنه لجليل القدر ذو همم ... تحدوه منها إليها الدهر نشدان
إني أقول له والكل يسمعني ... ومذهبي الجهر حيث السر خوَّان
أيا أبا مسلم جرَّدت من بلدي ... عمان صفاً رصينا رصَّه الشان
مما حداني أن أقفو خطاك على ... تلك الوتيرة مهما عنَّ إمكان[2]
حتى ركبتُ عناناً كنت راكبه ... لكنني ضالع والشوط ميدان
وأنت أنت ضليعُ القوم تحمل ما ... لا يستطيع له إلاك إنسان[3]
وقد أحاط بي النقاد واتبعوا ... خطوي وللنقد أفراح وأحزان

---

(١) ورد في نسخة قصيدة الوحدة بعد هذا البيت البيت التالي:

فتى عديم يا حادي أعنتها ... شوقا إلى الله والبتار عطشان

(٢) ورد في نسخة قصيدة الوحدة بعد هذا البيت البيت التالي:

فإن واسع خطوي لا يُثَبِّطُهُ ... عجز ولا يتلوَّى بالحجا ران.

(٣) ورد في نسخة قصيدة الوحدة بعد هذا البيت الأبيات التالية:

فإن تجز لي أجريت العنان على ... مضماره جامحا مرماه أعنان
وإن حصرت فإن الحصر لي حصر ... مع أنني النوء إذ يحدوه إرنان
أسابق الشهب بالشقر العتاق ولي ... من حضرة القدس أنوار وتيجان
حتى بنيت بحسن الظن قاعدتي ... وحسن ظن الفتى للخير عنوان
فسوف آتيك بالآيات شاهدة ... على جلية أمري فهو حسان
ويستبين لك القصد المشرف من ... مسعاي والصدق للإيمان برهان

مع أنني لم أنل من عرض ذي مقة ... ولم أشِنْ أهل بيتٍ عَزَّ لو شانوا
ولم أُرَيِّض[1] لسوء الظن عادية ... شقراء تسبح بي والأفق طوفان
لكنني كنت في مسعاي معتدلاً ... بين القبائل والإنصاف ميزان
ذكرت كلا بأسْمَى ما سمعت به ... عنه وقلبي لم تعلقه أدران
وتلك من نعم الرحمن بي فله ... حمدي وشكري ولا كيل وأوزان
وإن صحبت صديقاً لا أقصر عن ... وفائه لو طحا بي عنه شنآن
ولن يؤدنيَ الإرجاف زلزلة ... لو صُم من وقعه بالبؤس آذان
ولن أكون عليه عنه منقلبا ... لنبأة قد حداها فيه شيطان
تلكم صفاتي وتلكم شيمتي ولقد ... أوتيتها إرث أشياخ بها ازدانوا
فما ترى لي والإقدام حافزه ... عندي وحاديه أبناء وإخوان
فقد نراك مع الأحياء تشرب من ... نميرهم يتروَّى عنك عطشان
ولم يمت من له علم كعلمك أو ... ذكر كذكرك مهما مات جثمان[2]
فالله يرحم أشلاءً ممزقة ... في الترب منك فإن الله رحمن
واغنم فلله في دار الخلود يد ... للعاملين عليها نصَّ قرآن

(١) أُرَيِّضْ: كذا وردت، ولعل الأصوب: أرَوِّض.

(٢) ورد في نسخة قصيدة الوحدة بعد هذا البيت الأبيات التالية:

وخالص القول أنّيْ قد تبوأ بي ... من الهداية للرحمن إيمان
فكيف يهوي بي الخسران في وحل ... يطوي يديه على العرفان نكران
وأشرئب إلى غاياته لأرى ... أنواره مشرئبات لها شان
وأوقظ الطرف مشدوها تعاوره ... أيدي الإرادة والمرتاد نشوان
يا نجل سالم قد أجريت من مئة ... جري المذاكي غلابا وهي عقبان
فما غلبت على شوط ولا انقلبت ... قواك عنه بحال فيه خسران

تغنم صلاة على الهادي مطيبة في الخافقين لها بالوزن رجحان[١]
والحمد لله في بدء ومختتم حمد المقصر وفى منه إيمان

* * * * *

(١) ورد في نسخة قصيدة الوحدة بعد هذا البيت الأبيات التالية:

تغنم من السعد ما تسمو العقول به من العناية حيث المنّ غدران
والله يجلو عليك الآي باهرة أنوارها وهي آذيٌّ وشطآن
ويختم الحمد بالزلفى لذي كرم صافي الفرند له بالأفق ميزان.

الإخوانيات الرابعة

(١) رأي الجمهور[١]

سلام له تحت السرور دبيبُ ... يجيئ إليكم بالهنا ويؤوبُ
سلام كأنفاس الحبيب إذا سرى ... به الشوق والراعي الغيور رقيب
سلام كما قد لامس الزهرَ في الربا ... نسيمُ الصَّبا فالكون ثمت طيب
سلام كما قد داعب البدرَ في الدجى ... فواغي الهنا حيث الفضاء رحيب
سلام وفي طي السلام تحية ... تعاهد عهداً حل فيه حبيب
سلام عليكم ما ألذ سؤالكم ... وأحلاه في قلب يكاد يذوب
"فإن تسألوني بالنساء فإنني ... خبير بأدواء النساء طبيب"
"إذا شاب رأس المرء أو قل ماله ... فليس له في ودهن نصيب"
نعم غير أني أخرق الجمع سالكا ... طريقاً لعلي للسويّ أصيب

---

(١) راجعتها طبقا لنسختها بديوان وحي العبقرية المطبوع. هذه القصيدة جواب من أمير البيان على سؤال ورد إليه من الشيخ الأديب خلفان بن ناصر السعدي الطائي عن بيتين للشاعر الجاهلي علقمة بن عبدة هما:

فإن تسألوني بالنساء فإنني ... خبيرٌ بأدواء النساء طبيبُ
إذا شاب رأس المرء أو قلّ ماله ... فليس له في ودهن نصيبُ

وهما من قصيدة طويلة مطلعها:

طَحَا بِكَ قَلْبٌ فِي الْحِسَانِ طَرُوبُ ... بُعَيْدَ الشَّبَابِ عَصْرَ حَانَ مَشِيبُ
تُكَلِّفُنِي لَيْلَى وَقَدْ شَطَّ أَهْلُهَا ... وَعَادَتْ عَوَادٍ بَيْنَنَا وَخُطُوبُ.

أنظر الكامل في التاريخ، لابن الأثير، تحقيق تدمري، الجزء الأول، ص ٤٨٩. والشيخ خلفان السعدي أديب سمائلي من أسرة لها مكانة باذخة في الشرف واليسار. وحسبما يُذْكَر فهم من سلالة الصحابي مازن بن غضوبة السعدي الطائي السمائلي رضى الله عنه. والخليليون مصهرون إلى أسرة الشيخ خلفان فأخته والدة الإمام محمد بن عبدالله الخليلي عم أمير البيان. للشيخ خلفان ترجمة في كتاب شقائق النعمان في أسماء شعراء عمان ص٢٨٥.

فأجدر بمثلي أن يرى العقل حجة ... إذا حار مرتاب وضلّ مريب
فبالطبع إن الشيب للنفس صاحب ... بغيض فصرماً حين لاح مشيب
ولا فرق عندي بين فحل وغادة ... ولكن فرق الإدّعاء غريب
رأيت الرجال حائفين على النسا ... حياتهم والواقعات شعوب
ولكنهم يشكونهن على المدى ... وَرُبَّتَ[1] شاكٍ وهو ثمت ذيب
فقلت وخير القول أدناه للهدى ... مساساً وآراء العقول ضروب
صبوت إليها وهي حوراء كاعب ... وصارمتها إذ آذنتك تَشيب[2]
بلى إنها شابت كما شبت قبلها ... فما فَرَكَتْ[3] لما رأتك تَشيب
وقالت حبيب واحد لست أبتغي ... سواه ولا نفسي بذاك تطيب
أبو ولدي لا أرتضي صاحبا به ... ولو ساءني من جانبيه معيب
رضيت به منذ الشبيبة والصِّبا ... أيجمل هجريه[4] غداة يَشيب

(١) رُبَّ من حروف المعاني. وتدخلُها التاء فيقال: ورُبَّتَ رجل. كما تدخل (ما) عليها فيقال: ربَّمَا ورُبَمَا بالتخفيف، وكذلك: رُبَّتَمَا، ورُبَتَمَا.

(٢) الحوراء هي من اشتد سواد وبياض عينيها. والكاعب المرأة الفتية الناهدُ ثدياها. صارمتها: فارقتها. آذَنَتْكَ: أعْلَمَتْكَ. يقول: إنك انجذبت إليها وتحببت حالما كانت في فورة نمو جسمها واستثارة مفاتنها، ولكنك ما إن رأيت بوادر شيبها حتى فارقتها.

(٣) فما فركت: فما بغضت. وفي الحديث النبوي أَنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال: «لا يَفْرَكْ مؤمنٌ مؤمنة، إن كَرِه منها خُلُقاً، رضي منها آخَرَ». قال الشارح: (يَفْرَك) الفِرْك: البُغض، يقال: فَرِكَ يَفْرَك فِركاً وفَرْكاً وفُرُوكاً. أنظر كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول، لمؤلفه أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الشيباني الجزري المتوفى سنة ٦٠٦هـ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، بدون تاريخ نشر، الحديث رقم ٤٧٢٣، الجزء السادس ص ٥١٧.

(٤) أَيَجْمُلُ هَجْرِيْهِ: أيليق بي أن أهجره.

وقالوا لها لكن جفاك إلى التي ... ضَـرَّتْ بـك قـالـت إنـهـا للعوب
تجمل مظلوم ضعيف وقد سطا ... به ظالم صعب المراس صليب[١]
وقالوا لك احفظ صحبة لشبابها ... وأبـنـائـهـا إن الشقاق رهيب
أتنسى زمـانـاً كنـت فيه منعما ... عُسَيْلَةُ[٢]معسول وأنت طروب
فإن يـبل منـها بدرها في محاقه ... فشمسك أدنـاهـا إلـيـه مغيب
كرهت عليها الشيب لما بدا بها ... أترضاك في شيب علاك كعوب[٣]
وقـالـوا لـك ارعَ اللّٰه فيها فإنه ... قـوي ولا تنساه وهـو قريب
فقلتَ لهم شاخَتْ وجفَّ نضيرها ... فهل جَفَّ إلا فيك فهي دَبُوبُ[٤]
وقلتَ لقد قاربتُها فشممتُ من ... خياشيمها لفحاً لظاه مُذيب
فعدتُ إلى هيفاء عجزاء معصر ... أَنِسْتُ بها إنَّ الشباب خلوب[٥]
نعم.. أَرْغَمَتْ تلك الصبية نزوةٌ ... من الظلم حيث النائبات تنوب[٦]
فجاءتكَ جسماً دون لُبٍّ وقلبُها ... يحن إلى غصن لحاه رطيب[٧]
وقلتَ ستلقى عنديَ الخير كله ... وخير النسا حيث الخلاط يطيب

(١) صعب المراس: صعب المعاملة. صليب: صلب.

(٢) عُسَيْلَةُ المرأة: جماعُها.

(٣) علاك كُعُوْبُ: أي برزت عظام جسمك بعد أن أنحلك الشيب.

(٤) جف نضيرها: ذبلت نضارة جسمها. دَبُوْبُ: تدبُّ في خدمة زوجها أي تسعى بجهد كما تدب الدابة في الأرض.

(٥) الهيفاء ذات القوام الرشيق، والعجزاء ذات العَجُز البادية، والمعصر التي بلغت مرحلة الشباب.

(٦) أرغمت: أي ذُلِّلَتْ بعدوة ظلم.

(٧) لحاء الشجرة قشرها، ورطيب ناعم. وهذه كناية عن تطلع الفتاة إلى شاب في مثل سنها يوازي نضارة جسمها ونعومة بشرتها.

فقالت لك الشمطاء[١] عنديَ فوق ما ... لديك وتعريض الحسان عُيوب
ولكنها شمطاء هامت بأشمط ... وللتِّرْب[٢] من تِرْبٍ رعاه نسيب
فقس ذا بذا في كل حال تر الذي ... أقول وفيه للعدالة طيب
وذلك رأيي ما حييت أقوله ... وإن عابه قوم فلست أعيب
سلام على الأيام وهي غزالة ... يعانقها تحت الشباب شبيب
أخلفان وافاني سؤالك ضاحكا ... من الرمز أزرار له وجيوب
يضم الهوى في بردتيه وينثني ... إليّ وتحت السحر منه أديب
كأني لديه من سعاد وتربها ... مصاب وإني بالغرام مُهيب
فلست بعدَّاء إليه وإن عدا ... عليّ ولكني عليه نجيب
أذلله لله حتى يذل لي ... وألجمه التقوى غداة يطيب
وأركبه لكن إلى مبلغ الرضا ... من الله لو أن المقام عصيب
وأهفو إليه راضياً بحلاله ... ولو عضني والراقيات خطوب
وأقرعه حتى يلين قياده ... لَوَ انَّ الليالي فيه وَهْيَ نيوب
وألعقه في الله صابا وعلقما ... لأشتاره كالأرْيِ وهو حليب
جهينة أخبار النساء مدققاً ... حقائقها إنَّ الجمال كذوب
تجاهلتَ حتى قد ظننتُكَ جاهلا ... وأكثر حدس الحادسين يخيب
وقمتَ تنادي يا لودي إليكمُ ... فإن فؤادي بالغرام سليب
وأقبلتَ في أحلام نفسك سائلا ... ورب سؤال جد وهو مجيب
طويتَ الهوى تحت السؤال وإنه ... ليجدر بي أنْ ليس ثَمَّ أجيب
أتنكر أياماً سقتك سلافها ... من الدهر صرفاً لم تشبه لغوب
إذا رُضْتَهَا ذلَّت وإنْ عُدْتَ راكبا ... عليها فخير السابحات ركوب

(١) الشمط لون يكون في الشعر وهو عبارة عن اختلافه بلونين من سواد وبياض.
(٢) التِّرْبُ المثيل في السن.

وإنْ زُرْتَها أزْرَتْ بشيرين[١] مَسْحَةٌ فأَمْتِعْ بها إنَّ البنان خضيب
وإنْ عُدتَ تستسقي هواها لبانه[٢] فأرْوِ به إنَّ المقام خصيب
وكم قد أتت تسعى إليك مشوقة ينوء بها عند القيام كثيب
أأم تلك أيام تَقَضَّتْ وذكرها حرام لعمر الله ثم ذنوب
رعى الله أيام الشبيبة إنها عيون لأيام الحياة قلوب

* * * * *

(١) شيرين: راجع التعريف بها في حاشية على القصيدة رقم (١٤) بعنوان: منزل الشان.

(٢) لبان الهوى: نَهْمَةُ الشهوة إليه. لبانة الإنسان اندفاعه في طلب الشيء لا لحاجة ماسة وإنما لنهمة شهوة نفسه.

(٢) صَبَا الأسحار[١]

طاف الخيال على صفا الأحجارِ ... فغدا يذوب به على الأنهارِ
وتدفقت بالذكريات عيونه ... كجداول فاضت على أشجار
وتسلقت قمم الجبال صواديا ... فكأنها أفْضَتْ إلى التيار[٢]
وكأنها لفحات نار معذب ... أخْنَى به قدر من الأقدار[٣]
يا من ثناه الوهم دون لهيبها ... قف في حماها وقفة المغوار[٤]
هي تلك نار الذكريات من الهوى ... ما الحب إلا شعلة من نار
ما الحب إلا نعمة أو نقمة ... متباين الأطوار والأوطار[٥]
فإذا عرفت الأصل فاعرف كل ما ... يبنى عليه وزد على المقدار
فهناك بحر تغرق الأشيا به ... حاش العظيم ونعم عقبى الدار
وسل المجاز عن البيان فإنه ... أدرى بنيه بموضع الأسرار
عني لمن بعث البيان مسائلا ... وهو البيان ومطمح الأبصار

---

(١) راجعتها طبقا لنسختها بديوان وحي العبقرية المطبوع. هذه القصيدة وردت أيضا في ديوان: بين الفقه والأدب، وهو ديوان مطبوع، وقد طابقتها عليه. وهي جواب أمير البيان على سؤال من الشيخ سالم بن حمود السيابي عن بيت للشاعر محمد بن شيخان السالمي، نصه:

بعث الحبيب رسائل الأعطار ... فأتت تهيم بها صبا الأسحار.

وهو مطلع قصيدة طويلة قالها ابن شيخان مادحا العلامة الإباضي الجزائري الإمام محمد بن يوسف اطفيَش رحمهما الله تعالى، والقصيدة موجودة في ديوان ابن شيخان ص ٢٢٣-٢٢٦.

(٢) الصَّوادي النخل وما شاكلها طولا من الأشجار التي بَلَغَتْ عُرُوقُها الماءَ فلا تَحْتاجُ إلى سَقْيٍ.

(٣) أخنى به القدر: أَهلكه.

(٤) المغْوَارُ: مقاتل كثير الغاراتِ على أَعدائِه.

(٥) الطور: الحالُ، وجمعه أَطْوارٌ. الوطر: كل حاجة يكون لك فيها هِمَّةٌ، فإذا بلغها البالغ قيل: قضى وَطَرَه وأَرَبَهُ، والجمع أوطار.

يفضي الـيّ بـما يـكنّ ضميـره ... إن الـوفـا مـن شيـمة الأحـرار
من لي بـما يـرضى البـيان لأهلـه ... وحـجـايَ من علم هنالك عـار[١]
أتريـد من صحـراء قيسك مطعما ... ولأنـت مرتـبع على الأمصـار[٢]
ولأنـت أسـتاذ البـيان وشيـخه ... ولأنـت أسـتاذي وقطب مـداري
لكـنّ لـي رأيـاً أكـاد أقـولـه ... عـلّـي أكـون وفـيـت حـق الجار
فـأقـول ليس الشعـر إلا نغمـة ... عـن هاجس مـن ذي خيـال سار
يأتي الرمالَ فيُستهامُ بلينها ... ويهيمُ في الأجبـال بالأجحار
ويهيمُ تحت البدر حيث يخال في ... وجـه الحبيب مطالـع الأقـمـار
ويرى الظباءَ سوانحا[٣]فتروعه ... فيبيت مـلء ذهـولـه المحتار
وتـــراه يظـلـم تـارة فكأنـه ... نشـوان تـحت ظلامـه الجبـار
والطيـرُ يصدح حـولـه فكأنما ... أســمـاعـه وتــرٌ مـن الأوتـــار
وكأنما نَـــوْرُ الربيع تجاهه ... نُـوْرُ الحبيب وهاجس التذكار
وكأنما روح الطبيعة حـولـه ... روح الـعـتـاب لـشـادن معطار
أتـلـوم شاعر مصره لما شـدا ... بين الـمـروج بنغمة الأشـعـار
أتـلـومـه إن هـام خـلـف خيالـه ... ومضـى يـقـول بـرنـة الـمـزمار

(١) الحجا: العقل والفطنة. وأمير البيان يظهر تواضعه في هذا البيت بقوله عن نفسه بأنه خال من العلم إذ العاري من الشيء الخلي منه.

(٢) مُرْتَبِعٌ: نَازِلٌ. الأمصار: جمع مصر وهو المدينة الكبيرة. والمدن بطبيعتها غنية في كل شؤونها عن غيرها من الأنحاء. والمعنى أن أمير البيان يقول للشيخ سالم: أنت المقيم في مدن العلم فلا تطلب علما عندي إذ ليس لديّ منه ما أسعفك به فأنا كالمقيم في الصحراء ليس عنده ما يغني به ساكن المدينة.

(٣) السَّوَانِحُ جمع سانِحُ: وهو ما أَتاكَ عن يمينك من ظبي أَو طائر أَو غير ذلك، والبارح: ما وَلاَّك ميَاسره أي ما أَتاك عن يسارك.

"بعث الحبيب رسائل الأعطار ... فأتت يهيم بها صَبَا الأسحار"
أتُرى هناك له حبيبا غير من ... ولهت به الألحان في الأعصار
ليس الحبيب سوى الجمال فروحه ... روح الأنوثة في الشباب الطاري
ومن الغريبة أن يعيش بلا هوى ... ذو نُهية، أو مَصْرَمٍ ومَزَارِ[1]
ما إنْ هناك رسائلٌ مسطورةٌ ... أبداً ولا أرجٌ من الأعطار
لكنَّ أجنحة النسيم رسائلٌ ... وخفوقها كتلامس الأزهار
فالقلب يخفق كلما خفق الهوى ... بالذكريات على الهواء الجاري
وأرى صَبَا الأسحار ثمت خصَّها ... لصفاء بردتها من الأكدار
النوم أرسل للقلوب سباتها ... فأراحها من هم كل نهار
حتى إذا هَبَّتْ وقد سكن الفضا ... غير النسيم ونغمة الأطيار
والليل من تحت الهدوء كأنما ... يدني الأحبة عن يد المقدار
وكأنما سَحَرَ الدُّجُنَّة طائر ... لَدُنِ الجناح مغرد المنقار[2]
نشطت فهامت في الطبيعة حرة ... تحت السماء نقية الأفكار
وتفتقت أكمامُها عن فكرة ... مصقولة كالصارم البتار
فغدت وقد بدأت وعادت بالهوى ... تفتض ختم المسك عن إسكار

* * * * *

(١) النُّهْيَةُ: العقلُ، وتُجمع على نُهَى. ذو مَصْرَمٍ: ذو قطيعة. ذو مَزَار: ذو صلة.
(٢) الدُّجُنَّةُ: الظلام. لَدُن: مُبْتَلٌّ (من البلل).

(٣) جلال الغابر[١]

خذ في حديثك عن جلال الغابر ... وأشح بوجهك عن جمال الحاضر
واقرأ سطوراً بَيَّضَ التاريخ من ... صفحاتها الملأى بكل مفاخر
وانظر إلى راياتِ أمْسِكَ والظُّبا ... فوق الأعنة كاللظى المتطاير[٢]
حيث العروبة لا تهون لغامز ... حيث الشريعة لا تلين لهاصر
حيث العنا والفقر تحت شعاره ... أقوى من الجبروت للمتكاثر

(١) راجعتها طبقا لورودها في ديوان وحي العبقرية المطبوع، وديوان بين الفقه والأدب المطبوع كذلك. وقد كتبها أمير البيان جوابا على سؤال ورد إليه من الشيخين سعيد وسالم ابني حمد بن سليمان الحارثي يسألان عن بيتين للشيخ عبدالرحمن بن ناصر الريامي هما:

لله در كريمـــــة أرخت على ... صدري ذوائبها محل سرائري
لم أرض ذا القرنين من أكفائها ... كلا ولا موسى كأني سامري

والشيخان الحارثيان سعيد وسالم من مشايخ العلم والسلوك. خدم الشيخ سالم الشريعة قاضيا، وخدم العلم مؤلفا ومحققا لكتب الفقه. للمزيد عن سيرة الشيخ سالم، أنظر كتاب: سالم بن حمد الحارثي، ذكرى بنوّة لأبوّة تأليف الدكتور عبدالله بن سالم بن حمد الحارثي، مطبعة المداد، دبي، الإمارات العربية المتحدة، بدون تاريخ نشر، ص ٤٧ وما بعدها. وكذلك شقيقه الشيخ سعيد الذي تقلد منصب الولاية ثم صار مديرا لدائرة التربية الإسلامية بوزارة التربية والتعليم، ثم مديرا لمعهد القضاء والوعظ والإرشاد. ألف بعض الكتب في العقيدة والفقه والتاريخ. توجد للشيخ سعيد ترجمة يسيرة جدا في كتاب شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان للشيخ الخصيبي، الجزء الثاني ص ٧-١٢. أما الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن عامر الريامي (١٣٠١هـ/١٨٨٤م-١٣٧٤هـ/١٩٥٤م). فهو من أدباء ولاية إزكي، وينتمي لأسرة معروفة بالعلم. للشيخ عبدالرحمن ترجمة في كتاب شقائق النعمان في أسماء شعراء عمان ص٢٦٨. وفي معجم شعراء الإباضية للسعدي تحت رقم ٢٤٦، ص ٢٣٦.

(٢) الظُّبَا: جمع ظُبَّة وهو حد السيف. والأعنة: الأزمة، وهي هنا كناية عن الخيول. واللظى: لهب النار الخالص من غير دخان.

حيث الشعور شعار مجد باذخ ... حيث الجمال كمال جيل ثائر
حيث الحضارة شيمة عربية ... لا تستهين لأجنبيٍّ ماكر
تحمي كرامتها وتحفظ خلقها ... وتصون بيضتها بعزم صابر
وترى تقاليد الأبوَّة في الهدى ... حرماً يصان بكل ليث كاسر
ما إنْ تُقَلِّدُ غيرها في حالة ... لكن يُقَلِّدُها الورى كالفاخر
سُقْياً لها في أوْجها حيث الدنا ... تخشى سطاها[١]عن قويٍّ قادر
حيث الملوك وما تشيد وتقتني ... تحت السنابك[٢]كالهشيم الخائر
ما خان رايات القياصر في اللِّقا ... خَوَرٌ ولا خامت[٣]عزوم أكاسر
لكن غدوا والعيش همّ نفوسهم ... إذ همّ عِيْصكَ في القنا المتشاجر[٤]
حتى إذا الجمعان شدَّا حملة ... تحت القنا طعناً وضرب الباتر
وتلاحم الفئتان في حرِّ الوغى ... نكص الحياة عن الحِمَام الهادر
تُعْسُ الحياة وذلُّها لَهَوَاتُها[٥] ... فهي الفنا ومن الفنا كالناضر
أين الذين ترفعوا عن لؤمها ... حلماً وعزوا بالمقام الباهر
جعلوا الرَّدَى خُطًا إلى غاياتهم ... حتى استووا بالقهر فوق القاهر
ما مات تحت السيف إلا خالدٌ ... إنْ حيَّ تحت الذل كل مقامر
جيل الإبا والغيرة العرباء بل ... جيل الكرامة كابراً عن كابر

---

(١) السَطَا: البطش.

(٢) السنابك: حوافر الخيل. واحدها سُنْبُك وهو طرف الحافر.

(٣) الخَوَرُ: الضعف. خامت: تراجعت.

(٤) عِيصُكَ: أصلُكَ. القنا: الرماح، واحدها قناة. القنا المتشاجر أي الرماح المتشابكة بأيدي المتقاتلين في ساحة المعركة.

(٥) لَهَوَاتُهَا: مُلْهِيَاتُهَا. من اللَّهْوِ: وهو ما لَعِبْتَ به وشَغَلَكَ من هوى وطرَبٍ ونحوهما.

جيلُ العروبةِ والنُّبُوَّةُ تُمِّمَتْ أخلاقه وجلاله عن ناصر[١]
جيلٌ بغيرته وفضل إبائه يعلو السما لا بالجمال الباهر
ما إنْ تَلَذَّذَ بالسفور لِغَيْدِهِ متعرضاً بجمالهن لعاهر
لكنه ضَرَبَ الحجابَ صيانة للحسن عن لمسات وهم عابر
ومضى يغار على الحريم فلا اشْتِها نفسٍ هناك ولا تلذُّذُ ناظر
وبنى الخدورَ على البدور فلا يدٌ تدنو ولا أملٌ ولو لمغامر
وأشتاق لكن للخيال فهام في أحلامه عن وجنة ومحاجر
ورأى الطلولَ فشاقه أُلَّافُها فسرى يهيم بِلَعْلَعٍ وبحاجر[٢]
وتراه يعملُ والحسانُ بجنبه مخبوءة تحت النقاب الساتر
فكأنها شمس النهار بدت على وشي الطبيعة في الجمال الساحر
وإذا نظرت إلى العلوم سمعتها تروي الثقافة عن تفنن شاعر
وسمعتها تستنبط الأحكام من آياتها عن لج بحر زاخر[٣]
ولكم هنالك غادة محجوبة قادت عساكر نجدة لعساكر
ما ضرها ضرب الحجاب ولا الحيا إذ صانها للمجد يمن الطائر

(١) مصداق ذلك الحديث النبوي: "إنما بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مكارمَ الأخلاق".

(٢) لعلع والحاجر موضعان، ويقال بأنَّ لَعْلَع جبل وقعت عنده موقعة.

(٣) لُجُّ البحر: وسَطُه. والعبارة مديح لعالم هو من سعة المعارف وعمقها كالبحر. والأبيات من قوله: جيل الإبا والغيرة العرباء بل ... جيل الكرامة كابرا عن كابر، وصفٌ للقيم التي تربى عليها الصحابة والصحابيات على يدي النبي صلى الله عليه وسلم، كما تصف العلاقة التكاملية بين الرجل المسلم والمرأة المسلمة مع الصيانة والعفاف من غير حجر على المرأة كما حدث في عصور لاحقة.

لله أم المؤمنين غداتئذْ كَبُرَتْ أُنُوثَتُها ذكورةَ خادر[١]
وغزالة إذ أقسمت يوماً فما حنثت وصَلَّتْها صلاة مخاطر[٢]
وكأنما الحجاج في جبروته يرنو إليها عن عيون الصافر
لو حافظ الجيل الجديد على الإبا صوناً لمفخر خِنْدَفٍ وتماضر[٣]

(١) كَبُرَتْ أنوثتها ذكورة خادر: أي عظمت أنوثتها عن ذكورة رجل خادر في مَخْدَرِه. والمُخْدِرُ الذي اتخذ الأجمة خِدْرًا. والإشارة هنا إلى مشاركة أم المؤمنين السيدة عائشة رضوان الله عليها زوج النبي صلى الله عليه وسلم في موقعة الجمل.

(٢) غزالة (٧٧هـ/٦٩٦م) من شهيرات النساء في الشجاعة والفروسية. خرجت مع زوجها شبيب بن يزيد الشيباني رئيس الخوارج الصفرية على الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان سنة ٧٦هـ. كانت غزالة شديدة البأس تقاتل قتالا يعجز عنه الأبطال. خرجت وزوجها إلى الكوفة يريدان مهاجمتها وخرج الحجاج إليهما فطلبته غزالة للمبارزة لكنه امتنع خوفا منها، وأسرع إلى التحصن في قصر الإمارة. وقد عيّره الشعراء بذلك منهم عمران بن حطان الذي قال:

أسد عليّ وفي الحروب نعامة فتخاء تنفر من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبه بفوارس تركت منابره كأمس الدابر

أنظر كتاب البداية والنهاية، تحقيق علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ج٩، ص ٢٥-٢٦.

(٣) خندف، هي ليلى بنت حلوان بن عمران بن إلحاف بن قضاعة زوجة إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، الجد الخامس عشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم. أنجبت مُدْرِكَةَ بن إلياس (أبو قبيلتي كنانة وقريش) ، وطابخة بن إلياس (أبو قبيلة تميم) ، وقَمْعَة بن إلياس (أبو قبيلة خزاعة في أحد قولي أهل النسب). فمن أبنائها الثلاثة تكونت قبائل خندف أحد حيي نزار والحي الآخر قبائل قيس. ولذلك تسمى خندف أم عرب الحجاز، يقول الراجز: "وخندف هامة هذا العالم". أنظر كتاب الأعلام، لخير الدين بن محمود الزركلي، (ت ١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م، ج٥، ص٢٤٩. أما تماضر فهي الخنساء بنت عمرو بن الشريد السلمية من أهل نجد، صحابية وشاعرة مخضرمة، أدركت الجاهلية والإسلام وأسلمت، كانت عاقلة حازمة لا يجرؤ أحدٌ على التهجم عليها أو التحدث عنها، عرفت بحرية الرأي وقوة الشخصية، واشتهرت برثائها لأخويها صخر ومعاوية. خرجت مع أبنائها الأربعة لتشهد حرب القادسية، فقالت لهم: يا بَنِيّ، إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل

وطوى العمائم ناصعات بالهدى ... متلحياً منها بعز طاهر
ورعى الأبوة في كريم شعارها ... بالدين بالخلق العظيم الزاهر
بالاتحاد بما له من شيمة ... (بحفاظ)[1] مرهوب الحفيظة غائر
لَحَمَى الحمى عن كل عاد غاشم ... واحتز من صهيون[2] رأس الغادر
هيا إلى الأسس القويمة إخوتي ... أسس الرسالة في جلال الغابر
هيا ننقي ساحة الأوطان من ... وَغْد دخيل بالعناد مكابر
أشرٌ سعى يمتص فضل دمائنا ... ويَبُثُّ فينا فضل سم خاثر[3]
شُذَّاذُ آفاق تَبَنَّوْا أرضنا[4] ... أرض النبوة تحت غي ظاهر
هذي فلسطين الأبية لم تزل ... في الاضطهاد فريسة للعاقر[5]
والغرب يشحذ مدية الجزار عن ... غرض دنيء تحت هزء ساخر

في حرب الكافرين، واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية، فإذا أصبحتم غدا إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين، وبالله على أعدائه مستنصرين، فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها، واضطرمت لظاها على سباقها، وجللت نارا على أرواقها، فتيمموا وطيسها، وجالدوا رئيسها، عند احتدام حميسها، تظفروا بالغُنْم والكرامة، في دار الخلد والمقامة، فخرج بنوها قابلين لنصحها، فقاتلوا حتى استشهدوا جميعهم فبلغ الخبر أمهم، فقالت: الحمد لله الذى شرفني بقتلهم، وأرجو من ربى أن يجمعني بهم في مستقر رحمته. أنظر كتاب: الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء، لأبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، (ت ٦٣٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ج٢، ص ٤٧٥-٤٧٦.

(١) كلمة (بحفاظ) وردت في نسخة القصيدة بديوان بين الفقه والأدب: (بحافظ).

(٢) صهيون: دولة إسرائيل.

(٣) أشِرَ: بَطِرَ واستكبر. خاثر: صار غليظا متكثفا.

(٤) شُذَّاذُ آفاق: غرباء لا وَطَنَ لهم. تَبَنَّوْا أرضَنَا: ادَّعَوْها ملكا لهم كما يدَّعي مُتَبَنٍّ وَلَداً ليس من صُلبه.

(٥) العاقر من البشر الذابح، ومن الحيوان المفترس.

ما بالنا وهو العدو لعيصنا ... نقفو خطاه صاغراً عن صاغر
نغدو على أزيائه ونظل في ... حاناته ونبيت تحت الحافر[١]
أو ليسه قد كان أمس مواطئاً ... لأعنة ومآكلا لبواتر
أو ليسه قد كان طوع مرادنا ... عن عزة قعسا وصيت طائر
لكن تفانينا على الدنيا فلم ... تأخذ بأيدينا لجد عاثر[٢]
وتنكرت لوليها أخلاقنا ... فأضاعها سخطاً كأمس الدابر
مني السلام على كريمَيْ محتد ... نَشَئَا بإيوان الجلال العامر
وتفيَّئآ ظل العروبة وارفاً ... في عز سادات وعزم كواسر
وتسنما عرش الشريعة باذخاً ... في عود صلب لا يلين لعاصر
أسعيد هاك تحيتي أخوية ... ولسالم مقرونة ببشائر
يا نجلَيِ الشهم الأبي الطاهر ... حمد الكريم ابن الكريم الزاهر
وسلالة الشرف الرفيع الباهر ... في ذروة العز العتيد الصادر
إيَّايَ يا أخويَّ أم إيَّاكُما ... ناداه قِسُّ زمانه في شاعر[٣]
أم أنه نادى الشريعة وهي في ... وعثائها تزجي مطيّ مسافر
أسمعتماه وهو ينشد فاخراً ... بتراثه تحت الوقار الوافر
(للّه درُّ كريمة أرخت على ... صدري ذوائبها محل سرائري)
(لم أَرْضَ ذا القرنين من أكفائها ... كلا ولا موسى كأني سامري)

(١) المعنى: ما لنا نقلده في لبسه ومسلكه حتى بتنا نعب حانات الخمر كما يعبها.

(٢) لعل الشطر الثاني وقع فيه تصحيف لأن عثار الحظ يكون مع التفاني على الدنيا بينما مؤدى العبارة في الشطر ينفي ذلك.

(٣) قُسّ زمانه: الشاعر الشيخ عبدالرحمن بن ناصر بن عامر الريامي. وقُسّ هو قُسُّ بن ساعدة أحد حكماء العرب في الجاهلية، كان خطيباً عاقلاً حليماً له نباهة وفضل. أنظر كتاب: معجم الشعراء، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت٣٨٤هـ)، بتعليق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م، ص٣٣٨.

هـي تـلـك زيـنـتـه وزيـنـة جـده ... شرف الأبـوة بالجلال الظاهر
شرف اللُّحَى شرف الأبوة والهدى ... ومكانها منـه مكان الخـاطر[١]
للّه من شعـراتِ مَجْـدٍ أَنْـبَـتَـتْ ... في وجه صاحبها صباحة بـاقر[٢]
وتخلقت خلق الشهامة عندما ... خلقت بمهجتـه إرادة ظافر
وتـعـززت فيـه بـه عـن وصمة ... في سمت ذي حلم ووثبة طافر
صانت فصينت عن تلمس حالق ... وتـرفـعـت عـن قـاطـع متـعـاور
عظمت فلا موسى لها كفؤ ولا ... ترضى بذي القرنين أي كمعاشر
موسى وذو القرنين تورية[٣] بـمن ... بالكهف ذكرهما أتـى في الآخر
هذا هو المعنى القـريب ولم يـرد ... والموس والمقراض قصد الشاعر
فليبق مجد العُرْب في عليائه ... متـرفـعـاً عـن عـابـث متهاتر
متـعـلقاً بـاللّه فـي أحـكـامـه ... وبـأحـمـدٍ فـي مـسـتـواه البـاهر
وعـلى الختـام تحيـة مسكيـة ... تزجي الصلاة على النبي الشاكر

* * * * *

(١) اللُّحَى: مفردُها لِـحْيَـة وهي الشعر النابت في وجه الرجل. وفي البيت تفسير لقول صاحب البيت: للّه درُّ كريمة. فالكريمة هي اللِّحْية.

(٢) صباحة الوجه إشراقه. الباقر المتوسع في العلم. وهو يشير إلى أن شعر اللحية في وجه العالم تزيده إشراقا بجانب ما يعروه من نور العلم.

(٣) أي أنه يريد بقوله: لم أرْضَ ذا القرنين: أي المقراض الذي تُقَصَّرُ به اللحية. ولا موسى: أي شفرة الحلاقة التي تُحْلَقُ بها.

(٤) ماء الحسن[١]

سلام كالنسيم جرى رقيقاً ... وفاح بلطفه روضاً أنيقاً
وضمخ صفحة الأكوان طيبا ... فماد الكون من طرب خفوقاً
وعطر سائر الأرجاء حتى ... لَخُيِّلَ إنها ملئت خلوقا[٢]
سلاماً يا أخا سعدٍ سلاما ... يهز من الثنا عطفاً رشيقاً
سلالة ناصر خلفان من لي ... بمثلك إن غصصتُ الدهر ريقاً
أبا يحيى لقد أحييت ميتا ... بقلبي كان بالإحيا خليقا
قضى فقضت به الأحشا حريقاً ... وعاد فعاد ذاويها رحيقا
فمثلك من تحركه المعالي ... ومثلي من يبيت لها مشوقا
تطارحني اللطائف مستبينا ... وحسبي ما أكابده طُروقا[٣]

---

(١) راجعتها طبقا لنسختها في ديوان وحي العبقرية المطبوع. كتبها أمير البيان جوابا على سؤال ورد إليه من الشيخ خلفان بن ناصر السعدي يسأل عن هذين البيتين:

فلو لم يجر ماء الحسن منه ... بصحن الخد لم ينبت شقيقا
تود بأن تكون الشمس أختا ... له والزبرقان أخاً شقيقاً

البيتان للشاعر الكويتي عبدالله بن محمد بن فرج المسعري الدوسري (١٢٥٢-١٣١٩ هـ/١٨٣٦-١٩٠١م). من قصيدة له بعنوان: هَامَ وَجْدًا. أنظر ترجمته في معجم البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين تحت مادة: عبدالله الفرج.

(٢) كلمة (لَخُيِّلَ) وردت في نسخة القصيدة بوحي العبقرية المطبوع: (يُخَيَّل). الخَلُوْقُ والخِلاَقُ نوع من الطيب، وبعض يقول هو الزعفران.

(٣) الطروق: الهموم، سمّاها كذلك لأنها أكثر ما تسطو على الإنسان في وقت راحته وهو الليل، وكان النبي علّمَ أمته الاستعاذة من طوارق الليل، فكان صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم إني أعوذ بك من طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن".

إذا أسـرجت للعليا جـواداً تعمّى الجري وجهته طريقا
وأيـم الله لـو ضاقـت سبيلي عليَّ لما شكوت الدهر ضيقا[١]
ولكنـي أريـه الـجد عمري ونـهج مـرامـه منـي مضيقا
وأحمله على قتب المنايا[٢] وأوسـعـه كفعلتـه عقوقا
تؤنبني بنات الدهر[٣]لؤما وقـد علمت بـما آتـي مطيقا
تكلفني فأوسعها احتمالا وتـثـملنـي[٤]فـآتيها مُفيقا
رويـدك يا بنـات الـدهر إنـي لـمن عاينـتـه كـرماً عريقا
أقص على الزمان حديث صدقي مـجاملـة وأحسـبـه صديقا
أريـه قـعـر تـيـاري صـفـاء ويـبـدو لـي عـلـى كـدر عميقا
كـأنـي بـيـن جنـبـيـه سـراج يضيء سنا ويـجهده حريقا

---

(١) أيْمُ الله: بعض النحويين يقول بأنه: اسم، وبعضهم يعتبره: حرف. والهمزة فيه عند بعضهم همزة وصل، وعند بعضهم همزة قطع لأنه عندهم جمع يمين، وأن أصله: يَمِيْنُ الله، ومنه قول امرئ القيس:

فقلتُ يمين اللهِ أبْـرَحُ قاعِداً ولَوْ قَطَعُوا رأسي لَدَيْكِ وأوْصالي.

ويُجْمَعُ على أيْمُن، فيقال: أيْمُنُ الله، ومنه قول الشاعر زهير ابن أبي سُلْمَى:

فَيُجْمَعُ أيْمُنُ منا ومنكمُ لِمَقْسَمَةٍ تمورُ بها الدماءُ.

فقالوا عند القسَم: وأيْمُنُ الله، ثم كَثُرَ استعماله فحذفوا النون فقالوا: أيْمُ الله، كما حذفوها من: لم يكُنْ، فقالوا: لم يَكُ. وعند الإمام الغزالي هو يَمِيْنٌ على وجهين، أحدهما كقولك: بالله. والثاني كقولك: أحلف بالله. أنظر كتاب نيل الأوطار، لمؤلفه الإمام محمد بن علي الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، الجزء الثامن ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٢) القِتْبُ والقَتَبُ: رحْلٌ يوضع على سنام البعير. وقتب المنايا في البيت معناه رَحْلُ الموت.

(٣) بنات الدهر: شدائده.

(٤) تثملني: تُسْكِرُني.

حـرام أن يعيش الدهـر حر ... أسـيـراً بـيـن أسـرتـه رقيقا
دع الأيـام تـأتـي كـل غش ... وعِشْ من ربقة[١] الأهوا طليقا
وصاحِبْها على حزم وعزم ... وحـاذرْ أن تكون بـها وثوقا
إلهي إنْ يكُ المضمار وعرا[٢] ... فحسبي أنت في قصدي رفيقا
إلهي ما أَلَوْتُ[٣] رضاك سعيا ... فأبلغني المرام وكن شفيقا
أقول لمرسل البيتين بحثا ... إليك فماء عرفاني أريقا
ولكن استعين الله قولا ... وقَدْني[٤] منه حُسباني حقيقا
أتعرف من رماه اللحظ حتى ... ترامى شاعراً وبكى عشيقا
فقال وبابليُّ السحر[٥] يسقي ... لهاه فتنجلي روضاً أنيقا
"ولو لم يجر ماء الحسن منه ... بصحن الخد لم ينبت شقيقا"
"تود بأن تكون الشمس أختا ... له والزِّبْرِقان أخاً شقيقا"
بكسر الزاي والراء اتفاقا ... هو البدر الذي أوفى شروقا
فهذا ما أراد هنا وفيه ... سوى هذا وحسبكه خليقا
ودونك بنت ضحوتها فخذها ... وقد عبق الفضا منها عبوقا
ودم وإليك تسليمي وشكري ... بمختتمي ومن لي أن أطيقا

* * * * *

(١) الرِبْقة: الحبْلُ والحَلْقةُ تشدّ بها الغنم. وربقة الأهواء استيلاؤها على مسلك الجاري في تيارها إلا أن ينزع.

(٢) الوَعْرُ: المكانُ الحَزْنُ ذو الوُعُورَةِ ضدّ السَّهْل. والمقصود هنا ما يكابده الإنسان من مشاق الحياة.

(٣) ما أَلَوْتُ: ما قصَّرْتُ في السعي لأجل نيل رضاك.

(٤) وقَدْني منه حسباني: يكفيني منه ما أَحْسَبُهُ حقيقا.

(٥) المقصود بالسحر البابلي هنا الشعر. وكثيرا ما يرمز الشعراء بالسحر البابلي إلى الشعر وإلى الجمال الأنثوي الفتَّان. لمزيد من الشرح راجع قصيدة سابقة بعنوان: سباق الأعنَّة ورقمها في بابها ٧.

(٥) تكاليف الغرام[١]

ما للمرائي على عينيك تَشْتَبِكُ ... والشمس يغرق في لألائها الفَلَكُ
أمْ ما لعقلك والأنوار تملؤه ... كأنه بسواد الشك مرتبك
أمْ ما لقلبك كالناعي أحبته ... يكاد مما به يعتاده وَعَكُ
أهكذا الحب إن تنجم طليعته ... تهجم طبيعته بغياً فتنتهك
كأنه الحرب إنْ يَحْم الوطيس بها ... تبدو بها للردى في أهلها سِكَكُ[٢]

---

(١) وردت هذه القصيدة في ديوان وحي العبقرية المطبوع وديوان بين الفقه والأدب المطبوع أيضا. وراجعتها طبقا لورودها فيهما. وهي جواب من أمير البيان على أبيات وردت إليه من الشيخ القاضي سعيد بن أحمد الكندي، وهذا نص أبياته:

يا من رقى لسماء زانها حُبُك ... سماء عِزٍّ يُرَى من دونها الفَلَك
فتى عليّ الخليلي من رجوت به ... إيضاح صبح الهدى فالجهل محتلك
أهدي سؤالا به نسج القريظ على ... منوال فقه ففيه العقل مرتبك
(ريم ولم أدر أن الغدر شيمته ... يسبي العقول بألحاظ وينتهك)
(ابتعت بالدين والدنيا مودته ... وخانني فعلى من يرجع الدرك)
فهل على العين إذ تجني بناظرها ... أم يلزم القلب أم بالكل يشترك
أوضح جوابا يخفف بعض نار جوى ... من الذي صادني من لحظة الشَرَك
لقيت منه تكاليف الغرام بما ... لم يلقه سُوقَةٌ قبلي ولا مَلِك

والقاضي الكندي هو سعيد بن أحمد بن سليمان بن عامر (توفي سنة ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)، شاعر أديب، ولد في نزوى، وعاش متنقلا بين ولايات عمان متقلدا منصب القضاء في عهدي الإمام محمد بن عبدالله الخليلي والسلطان سعيد بن تيمور. كان ذا معارف جمة، حافظا للكثير من الأدب والشعر، واسع المعرفة في علوم الدين والتاريخ والنسب. أنظر ترجمته في معجم شعراء الإباضية لفهد السعدي، الترجمة رقم ١٤٩، ص١٦٥، و١٥٧.

(٢) الوطيس: التنور، حُفَيْرَةٌ يُخْتَبَزُ فيها ويُشْوَى. ذلك أصل الكلمة، أما معنى يحم الوطيس هنا فالمقصود اشتداد الحرب.

تأتي على الهمة الكبرى صغيرته ... كما أتى بقضاء مُبْرَمٍ مَلَكُ[١]
ويأخذ النفس قسراً من أسرتها ... كأنه لأسارير النهى حَسَكُ[٢]
أم القلوب شتاتا في مآخذها ... فسالمٌ وأخو صبْر ومُنْهَتِكُ[٣]
فذا يقود الهوى قهراً وذاك له ... ينقاد جهراً وهذا أمره رَبِكُ[٤]
تبارك الله كم لله من حكم ... يسوقها الوهب فياضاً فَتَنْسَبِكُ[٥]
مهلا أخا كندة فيما أتيت به ... كأنني أنا أنت الْيَلْمَعُ الحَنِكُ[٦]
مهلا فكافيك ما قد قيل في خبر ... وأنت منه بذاك السر محتنك[٧]
لو أفصح العلم عنه قال منتسبا ... حسبي بكندة أصلا زانه نسك[٨]
ما لي وللعلم تبلوني سوائمه ... شوارداً وأنا البطَّالة الترك[٩]
أنفقت عمري فيما لا خلاق له ... خلف الأماني فخانت رجلي الورك[١٠]

---

(١) قضاءٌ مُبْرَمٌ: أي مُدَبَّرٌ بإحكام.

(٢) الأسارير: خطوط الجبهة والوجه، ملامح الوجه، يقال: برقت أسارير وجهه إذا تهللت بالبشر والارتياح. النهى جمع نُهْيَة وهو العقل. الحسك: نبات عشبي بري شائك.

(٣) منهتك: منشق.

(٤) أمْرُهُ رَبِكٌ: اختلط عليه الأمر وضعُفَتْ حيلته.

(٥) تنسبك: بمعنى تنصبُّ في العقل كما ينصبُّ الذهبُ المذابُ النقي من الشوائب في قوالب السبك.

(٦) الْيَلْمَعُ: الذكي. الحَنِك: المُفَوَّه. ورجلٌ حنيك: لبيب عاقل حنكته التجارب.

(٧) مُحْتَنِكٌ بالسر: مالك العلم. وفي المعجم: احتنكَ فلانا: استولى عليه، استماله.

(٨) يقال في الأدبيات العمانية: لو انتسبت الإمامة لقالت خروصية، ولو انتسب العلم لقال كنديا، وذلك لكثرة الرجال من بني خروص الذين انتخبوا أئمة للدولة في عمان، ولكثرة العلماء من بني كندة الذين تركوا مصنفات زاخرة فاخرة. وقد بلغ رجال بني خروص في الشرف مبلغا عظيما فقد ناف عدد أئمة الدولة منهم عن عشرين إماما ومع ذلك لم يُقْدِم أحدٌ منهم على الاستبداد بالملك وجعله وراثيا في أسرته أو قبيلته كما حدث من أسر وقبائل أخرى.

(٩) البطَّال: السيْ. التَّرِك: المهمل.

(١٠) الوَرِك: جزء من جسم الإنسان يبدأ من الخصر إلى الفخذ.

مهلا أخا كندة أجريت من مائة ... جري المذاكي غلابا والمدى البرك[١]
مهلا جوادك في مضمار غايته ... فهو المُجَلّيْ وخيل السبق تعترك
تركتني بين أقدام الجريء على ... فَتْك وإحجام من أعيا به فَتَك[٢]
لكن أقول وعون الله حسبيَ أن ... يأخُذْ بِضَبْعِيَ والأهواء تشتبك[٣]
نَزِّهْ هواك ونَهْنِهْ فيه نفسك عن ... مرامها فالهوى في حاله مَلِك[٤]
يقضي عليك بما يبغي مفاجأة ... فيستبيحك مغلوبا وينتهك[٥]
يقضي ولا غير تقوى الله تدفعه ... وللموفق في آفاقها حُبُك[٦]
أما الضرورة والرحمن يعلمها ... فحكمها ظاهر ما دونه حَلَك
تبارك الله كم يبلو خليقته ... فمؤمن وأخو كفر ومرتبك[٧]
فذا يثاب وذا يُوْلَى العذاب وذا ... في شأنه للرجا والخوف معترك
"أحبب حبيبك هونا ما" فلا دَرَك ... ولا يكن كلفا فالمُبْتَلَى مَحِكُ[٨]
وبائع الدين والدنيا على عرض ... فَانٍ فناهيك في خسرانه الدرك

(١) المذاكي: الإبل. الغلاب: المغالبة في السباق وغيره. المدى: الغاية.
(٢) فَتْك: القتل. أعيا به فَتَك: أعيت به الشجاعة من فَتَكَ الرجل: إذا كان شجاعا مقداما.
(٣) ضبعيَّ: مثنى الضبعُ: وهو ما بين الإبط إلى نصف العضُد من إعلاها.
(٤) نهنه نفسك: ازجرها.
(٥) ينتهك: يُضني، يُجْهِدُ. يُذهِبُ الحُرمة.
(٦) حُبُك: جمع حبيكة وهي الطريق.
(٧) مرتبك: مضطرب.
(٨) "أحبب حبيبك هونا ما": هذه العبارة مجتزأة من حديث نبوي شريف مروي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحبب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما، وابغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما". دَرَكُ: اسم مصدر من الإدراك. مَحِكُ: لجوج.

"مهلا بني حارث ألحاظ ريمكم ... فكلها لفؤادي كله شرك"[١]

يا ويح نفس تولاها الهوى فغدت ... تعشو به وهو داجي اللون محتلك

يَدُعُّها في مهاويه ويزهقها ... ولا يَدِيْ لِدَمٍ باللحظ ينسفك[٢]

لا وَاخَذَ اللّٰه عيني في جنايتها ... حتى تُواخَذَ من نعل الفتى الشَّرَكُ

ولا جزى القلب فيما قد أتاه على ... رغمٍ وأنيَ بالإيمان محتبك[٣]

إلا إذا حاد بي عما خلقت له ... غياً وأصبح وهو الواله السَّدِك[٤]

فالقلب والعين تأتي والجوارح في ... غد شهوداً وما يدريك تشترك

حسبي من الحب ما يرضى الإله به ... ولو غلبت وسِتْري فيه منهتك

ولو لقيت تكاليف الغرام به ... وساءت الحال مني والهوى وَعَكُ[٥]

هاك الجواب وما جهد المقل وإن ... يجهد ولكن جفاء الخلِّ مُتَّرَكُ[٦]

والحمد للّٰه حمداً غير منحصر ... حمداً يضيق بما في حائه الفَلَك[٧]

حمد المقصر عن إدراك غايته ... لو أنه هو ذاك النابه الحرك

مصلياً غب تسليم الإله على ... محمد المصطفى ما دارت الحنك

* * * * *

(١) هذه البيت أورده ابنُ عبد ربه في مجال الحديث عن العروض المخبون والضرب المخبون للبحر البسيط دون أن ينسبه إلى قائل بعينه. أنظر كتاب العقد الفريد، لابن عبد ربه: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٤هـ، ج٦، ص ٢٩٥-٢٩٦.

(٢) يَدُعُّها: يدفعها بشدة وعنف. المهاوي جمع مهواة وهي ما بين الجبلين من فجوة عميقة. يزهقها: يُهْلِكُهَا. ولا يَدِيْ: أي لا يدفع ما يجب عليه من الدية وهي الغرامة التي تجب في قتل النفس غير العمد. اللحظ: النظر بطرف العين. انسفك الدم: انصب وأريق.

(٣) بالإيمان محتبك: معتقد. من حَبَكَ العقدة قَوَّى عقْدَها ووثَّقَها.

(٤) السَّدِك: المولع بالشيء.

(٥) وَعَك: ألم، سقم.

(٦) جفاء الخليل مُتَّرَكْ: أي أن الخليل يسمح جفاء خليله.

(٧) حائه: من حاء أي ما حواه ويحويه الفلك.

(٦) المُغْرَم[١]

لو لم تقل يا قدوة الـ ـعصر لشيخ المسألة
ولم تكنه متى بلوته بالأسئلة
لساغ لي بأن أقو ل لا تخف غير الوله
لأنه معذب وقاتل من حمله
يموت فيه المرء لـ ـكن مَوْتَةً مُفَضَّلَة
موتة عذري قضى لِمَا أَحَبَّ أَجَلَه
أما إذا ظفرت بالـ ـحبيب فالعق عسله
وبثه شكوى الغرا م وارتشف مُقَبَّلَه
وضُمَّهُ والْثُمْهُ واخـ ـلعْ بالعناق حُلَلَه
واجْنِ ورود خده بدمعة مبللة
وعضّ فوق غصنه رمانة مدللة
واقطع سموط عقده وانثره تحت العجلة

---

(١) راجعت هذي القصيدة طبقا لنسختها بديوان وحي العبقرية المطبوع. وقد كتبها أمير البيان جوابا على سؤال ورد إليه هذا نصه:

يا قدوة العصر الذي سبحان من قد فَضَّلَهْ
ماذا أبو يحيى يقو ل للذي قد سأله
في مُغْرَمٍ لاقى الذي تيَّمه وأنحله
فضمه وشمه معتصبا وقبّله
ثم جنى رمانة الـ ـغصن الذي قد أمَّله
فجاءكم مشتكياً أتوجب القصاص له
أرجو الجواب شافيا نظماً بهذي المسألة

واسكب على مرشفه خمر الهوى مُذَلَّلَة
وغنِّهِ لحن الهوى من بعد أن تُقَبِّلَه
ودَاجِهِ إذا جفا واقطع عليه عِلَلَهْ[1]
وذُلَّ إنْ عَزَّ له لكن لكي تُذَلِّلَه[2]
واجهر بما تكنُّه ولا تدار العذلة[3]
لكنّ ثمَّ عصمة روحية مؤصلة
لا بد من وجودها وَاصِلَةً مُوَصِّلَة
يغتبط الجنسان في ربوعها المحللة
يسعد كل منهما فيها ويهنا عمله
فإن أتى الحبيب بعـ ـدُ شاكياً لم نُصْغِ له
ولا قصاص عندنا له إذا ما أمّله
لكن قصاص غاصبٍ نعطيه مهما سأله
واحدة بمثلها أو مائة معجّلة
ذاك قصاص الحب بيْـ ـن أهله إنْ تَسَلَه[4]
وهكذا ليس له من دية إنْ قتله
أعني به قتل الهوى إنَّ الرجال قتلة
حكم يجيزه الهدى والحب رغم الجهلة
فاقتله وافتض ختا م المسك رمزاً للصلة

* * * * *

(١) دَاجِه: داره من المداراة. عِلَلَهْ: أعذاره.
(٢) تُذَلِّلَه: تُرَوِّضَهُ لمحبتك.
(٣) لا تُدَار: لا تُلاطِف. العَذَلَة: اللائمون.
(٤) إن تَسَلَهْ: إن تسأله، خففت لضرورة الوزن.

(٧) الوصال

من للوصال كؤوساً واللقا حانا ... وللهوى الطافر المشدوه فـنَّـانَـا
وللطفولة تستعدي تفاعلها ... والدمع يستنزف الآماق تهتانا
تشكو الغرام فيشكيها بلوعته ... ولو أطاق لراض العدل ميزانا
في قصة لو حكاها الدهر لانفعلت ... لـه الـعـوالـم آهـات وتحنانا
فهاكها برضاب الحب خالصة ... تدافع الشوق يزجي الوصل سلطانا
بات الصبيان جنح الليل يلفحهم ... طيف المحبة بالأشواق نيرانا
وأصبحا بزجاجات الغرام كأن ... يستسقيان الهوى المعسول وديانا
يسارقان لحاظ الحب عابثة ... عبث الصبا بالصبا الوردي فينانا
ليوقظاها إذا نام الخلي بها ... تسامر النجم في أفقيه حيرانا
وترصد الصدفة السمراء باسمة ... عن المسرات تجلو الوصل بستانا
كأنما النظرات الساحرات سرت ... إلى الصبيين أسيافا ومُرَّانا[1]
كأنما الحب إعصار تحكم في ... قلبيهما فاستحالا فيه دخانا
كأنما الشوق نار في قلوبهما ... تكاد تحرق في ذا الكون من كانا
كأن طي الحشايا من نفوسهما ... مصارع الحب أرواحا وجثمانا
كأن روح الهوى العذري ما نفحت ... إلا بِرَوْعَيْهِمَا سراً وإعلانا
كأن من نفحات الخلد روحهما ... عبر المحبة مذ كانت ومذ كانا
أطيَّ مدرسة القرآن ويحكما ... تقاطفان الهوى وردا ورمانا
وتبعثان عيون الحب جائعةً ... تكاد تلتهم الأحشاء ثعبانا
وتركبان متون الآي عائمة ... بأبحر الحب أحلاماً وتحنانا

(١) المُرَّانُ: الرماحُ الصُّلْبَة.

لا تتركا الحب مطوياً بخاتمه ... إن الخواتم تفشي السر أحيانا
وحاذِرَا لَفَتَاتٍ من فقيهكما ... فربما جذ حبل الوصل غضبانا
لكنما الحب سلطان إذا صدرت ... أحكامه لفؤاد ذَلَّ إذعانا
هبَّ الصبيُّ إلى عظم فخطهما ... بيتين قد جَلَيَا الأشواق ألوانا
فكان ما خطه والشوق يلفحه ... نارا تفجر بالأشواق بركانا
"ماذا تقولين فيمن شَفَّهُ سَقَمٌ ... من فرط حبك حتى صار حيرانا"(١)
"يشكو الصبابة في هم وفي سقم ... لا يستطيع لما في القلب كتمانا"
وفي اختلاس رماه للفتاة فلم ... تكد تلقاه أو ضمته وجدانا
فسودت فيه بيتين تفيضهما ... روح المحبة كالوسمي هتانا
فهاك ما سودته تحت أسطره ... ونمقته صبابات وأشجانا
"إذا رأينا محبا قد أضر به ... داء الصبابة أولیناه إحسانا"
"سيبلغ القصد منا في محبته ... ولو يكون علينا كل ما كانا"
وفي تصاعد أنفاس وكسرة أجـ ... ـفان ونفح تلاق فاح ريانا
رأى الفقيه أمارات الغرام على ... وجهي صبييه تجلو البشر نشوانا
والعظم يبرق في كف الفتاة سنا ... فقال ويحك ما للعظم قد خانا
هاتيه هاتيه لا تخشَيْ عليه فكم ... درست في مثله الآيات قرآنا
فجاذبته على لطف لتمحو ما ... بعظمها ذاك من شأنٍ كأنْ شانا
لكنها لم تطق محواً له أبدا ... إذ أَنه كان بالتذكار ملآنا

---

(١) هذا من شعر الشاعر علي بن الجهم (١٨٨هـ-٢٤٩هـ). وقصته أنه أخذ اللوحَ وهو لا يزال طفلا يدرس في الكُتَّاب وكتب فيه إلى بنت صغيرة كانت معه:

ماذا تقولين فيمن شَفَّهُ سَهَرٌ ... من جَهْدِ حُبِّكِ حتى صار حيرانا

أنظر ديوان علي بن الجهم، تحقيق خليل مردم بك رئيس مجمع اللغة العربية ١٨٩٥م-١٩٥٩م، منشورات دار الآفاق الجديدة بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص ٧.

هاتيه يا طفلتي هاتيه واحتفظي ... بما عليه وقيت الدهر خوَّانا
فسلمت في يديه العظم راضية ... فصل القضاء إذا ما اشتد أو لانا
فسرح الطرف فيه فاستطير به ... فلم يطق لقديم الحب كتمانا
فخط بيتين شفا عن عميق هوى ... إليك فاجعلهما للحب عنوانا
"صِلِي مُحِبّكِ لا تخشي مراقبة ... إنِ المُحِب غدا بالحب ولهانا"
"أما الفقيه فلا تخشي عقوبته ... لأنه قد بُلِي بالحب أزمانا"
ورده نحوها باللطف مبتسماً ... يقول حسبك ما بالعظم إيمانا
فخبَّأته لكيما تستريح إلى ... تكرار ما فيه آنا يقتفي آنا
لكن رآه أبوها وهي تقرؤه ... والدمع يحفر في الخدين غدرانا
وكان يلحظها من حيث لم تره ... حتى إذا خبَّأته وانتحت شانا
أتاه سراً فما إن كاد يقرؤه ... حتى تَبَيَّنَ ما عنه الخفا بانا
فقال ويح الهوى إنْ تجنياه على ... حكم الحنيفة أولى منه خلانا
فصاغ بيتين أبدى رأيه بهما ... كانا لذاك الهوى العذريِّ إيوانا
"لا فرق اللّٰه جمعاً كان بينكما ... وظل واشيكما حيران تعبانا"
"أما الفقيه فلا واللّٰه ما نظرت ... عيناي أفسق منه قط إنسانا"
وقال قم يا فتى خذها مباركةً ... في ذمة اللّٰه واطو السعد أحضانا
وهاك آصرة التزويج قائمة ... على الشريعة إن الشرع ربانا
فكان من نقطة الآمال منطلق الـ ... ـمآل عُشاً بناه الدين بنيانا
عُشاً على شجرات الأنس تحفظه ... عناية اللّٰه أركاناً وحيطانا
سليل منصور يا راوي الرواية لي ... تشدو بأبياتها الغراء ألحانا[1]
أوتيت مزمار داود فعشت به ... على سمائل صداحا وفنَّانا

(١) سليل منصور: الشاعر علي بن منصور الشامسي.

علي من شامس للخزرج اتصلت أعراقه فجلت للضاد حسانا[١]
فأنت من ذلك المضمار واحِدُه وما برحت لدين الله حسانا
حتى قضيت فهل أبقيت من خلف تعيش في أفقه العلوي سحبانا
تفض خاتم مسك عن معتقة فيها الصلاة على أعلا الورى شانا

* * * * *

(١) بهذا يكون نسب الشوامس من الأزد.

الإخوانيات الخامسة

هذه الإخوانيات لم تكن من صميم هذا الديوان وإنما استحدثتها من قصائد إخوانية وجدتها متفرقة في الدواوين الأخرى فنقلتها وجمعتها في هذا الديوان لصلتها الموضوعية به.

(١) العُتْبَى[١]

خفقاتُ الهوى ودقاتُ قلبي ... وذهولي ومن أودّ بجنبي
ومروري على منازل أحبا ... بي بقلب مشّرد الفكر صبِّ
وابتعادي لكن لغير[٢] جفاء ... عن كرام هواهمُ حشوُ قلبي
واجتيازي مضيرب العزّ[٣] لم أحـ ... ـظ لديها بوقفة (المتنبي)

---

(١) وردت هذه القصيدة في ديواني الموعظة وفارس الضاد. وقد كتبها أمير البيان ردا على قصيدة قصيرة بعنوان: العتاب بعث بها إليه الشيخ الفقيه سالم بن حمد بن سليمان الحارثي قاضي المضيرب بولاية القابل بالمنطقة الشرقية، وهذا نصُّها:

يا سليل الأخيار من مرّ قُربي ... كيف أنسى من ليس ينساه قلبي؟
ذاك (عبدالإله) كنز المعالي ... من نماه (الخليل لا المُتنبي)
لا أقول الكلام مني حرامٌ ... بل حلالٌ أحلَّهُ اللهُ ربي
يا رعى اللهُ موكباً مَرّ عصراً ... ليته قرّ واستقرّ بجنبي
علَّنا نذكر الأحبَّة قدما ... يغفر الله فيه يوما لذنبي
فبذكراهم أودّ احتفاظا ... أنا قِلٌّ فذكرهم ليَ حسبي
فهنيئاً لمثلك العيد شيخي ... كل عام يأتي وأنت تُلَبِّي
قاتل الله ناقلات البرايا ... سفن النار حيث لجّت بصحبي

هل زمان يعيد ركب المطايا ××× مطمئنا بالزائر المستحب (هذا البيت موقعه في ديوان الحارثي قبل البيت الأخير).

وسلام عليك ما جد وصل ... وتحياتنا على الشيخ تُربي

لست للشعر مصلحاً فاغتفرها ... من أخيكم على الوفا ستر ربي (هذا الشطر ورد في ديوان الحارثي: (من صفيٌّ على الوفا مُتَربِّي). وهي ممضاة بتاريخ ١٥ من ذي الحجة ١٣٩٠هـ. وقد طابقت قصيدة الشيخ عبدالله مع نسختها الواردة في ديوان الحارثي للشيخ سالم بن حمد الحارثي، المطبوع بمطابع النهضة، بدون تاريخ نشر. والقصيدة وردت في ص٢٢.

(٢) هذه اللفظة وردت في نسخة القصيدة بديوان الحارثي: (بغير).

(٣) هذه اللفظة وردت في نسخة القصيدة بديوان الحارثي: (النور).

وفـؤادي مـا انفـكَّ يمـرح فيها ... كدليل صدق على صدق حبـي[١]
فـذهـول الـقـلـوب عـنـد تجلي ... نـار أحبابها عن الشوق ينبـي[٢]
أنـا أهـوى الجمال إن باركته ... لمسة اللّٰه فانجلى وهـو يُسبـي
أنـا أهـوى الحياة تزخر بالعلـ ... ـم وتـجـلـو فـي أفـقـهـا كـلَّ نـدب
وأحـب العيـون تهمي من الخو ... ف مـن اللّٰه وهـي أكـرمُ إرْبِ
وصقيلٌ صافي الفِـرَنـدِ أصيل ... عربيُّ النجار كالنصل عضب
فـاض إحـسـاسُـه فـرقَّ شعوراً ... وطغـى عُـودُهُ عـلـى كـل صلب
وتـحـدَّى الأيـام تـقـذف شـرّاً ... وهو كالطود شامخ الرأس مرب
طـاف بـي فـي خيالـه بقريض ... (يـوسفي الجمال) يُسبـى ويُصبـي
ودعـانـي إلـى الـلَّـحـاق ولكن ... أشْـقَـرِيْ عاثِـرٌ فأنَّـى أُلَـبِّـي
سالم العرض يا فتى حمدِ الحمد ... أخا الحارث الهمام ابـن كعب[٣]
أنـت مـنـي كجلـدة بـيـن أنفـي ... ومآقي فكيف ينساك قلبـي؟[٤]
باركَـتْـكَ العلياءُ والمجدُ والـ ... ـجد فأنت الوفاء يا خير حب
وقَـرَتْـكَ الأنـواءُ تـنـزل بالـ ... ـرحمة سيبا على المحيطات يُـربـي

---

(١) هذا البيت ورد في نسخة القصيدة بديوان الحارثي هكذا:

وفـؤادي مـا انْـفَـكَّ رهـنَ هواها ... بـدلـيـل صـدقٍ عـلـى صـدقِ حُبـي

(٢) الشطر الثاني من هذا البيت ورد في نسخة القصيدة بديوان الحارثي هكذا: (نار أحبابها وقائع سلبِ).

(٣) هذه إشارة إلى نسب بني الحارث في عمان فهم أبناء الحارث بن كعب بن اليحمد أحد بطون الأزد القحطانية الشهيرة.

(٤) لفظة: (قلبي) وردت في نسخة القصيدة بديوان الحارثي: (لُبِّي). وفي الشطر الأول من البيت تضمين لمعنى قول عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما في ولده سالم:

يـديـرونـنـي عـن سـالـم وأريـغـه ... وجـلـدة بـيـن العـيـن والأنـف سالم

وتَلَقَّاكَ بالقبول قَبِيْلُ الله ... والبيتُ والحجيج يُلَبِّي[١]
ويد الله ترفع الحجب عن آ ... ي التجلي وأنت ثم تلبي
وكأن الأيام حولك وَعْيٌ ... ومن الوعي أنت آية قُرْبِ
وكأن الدنيا صحائفُ نور ... ومن النور أنت صفحة قلب
وكأن الزمانَ وحيُ ملاك ... ومن الوحي أنت إمداد وهب
وكأن السماءَ فيضُ نبوغ ... ومن الفيض أنت منهل سحب
وكأن الوجودَ ماءُ سماء ... ومن الماء أنت ثجَّاجُ عذْب
وكأن الحياة حبٌّ نزيه ... ومن الحب أنت زَوْرَةَ غِبِّ
وكأن الأكوان مرفأ شوقٍ ... ومن الشوق أنت عامل نصب
يا صديقي أتحفتني بعتاب ... ما ألذَّ العتاب من خير صحب
غير أني آثرت أن لا أراني ... لجميع الإخوان دَوْرَة عتب
وخليقٌ بالعَفْوِ مثلك رعيا ... لظروف الإخاء من غير سلب[٢]
ورجال الإيمان يرعون في الله ... أخاهم ولو تجافى بجنب[٣]
والأُلَى زُرْتُهُم شيوخٌ قُدامَى ... حقهم واجب كحق المربي
فيهُمُ روح ذلك السلف الصا ... لح مَن دِين حبهم خير كسب[٤]
وهناكم إخوان صدق كثير ... نارَ منهم على المحبة دربي[٥]

(١) الشطر الثاني ورد في نسخة القصيدة بديوان الحارثي هكذا: (ـله والبيت بالحجيج يُلبِّي).
(٢) عبارة: (من غير سلب) وردت في نسخة القصيدة بديوان الحارثي: (من كل نَدْبِ).
(٣) هذا البيت ورد في نسخة القصيدة بديوان الحارثي هكذا:
ورجالُ الإيمان أرْعَى لحق أخٍ ... في ذاته تبارك ربي
(٤) الشطر الثاني ورد في نسخة القصيدة بديوان الحارثي هكذا: (مَنْ هُم مِنَ البريَّة حسْبي).
(٥) عند هذا البيت انتهت القصيدة في ديوان الحارثي. والأبيات التالية بعده زيادة في هذه النسخة هنا.

حقهم واجب عليَّ فمن لي ... بوفاء لحق كل محب
وَلَوَ انِّي حاولته لَوَهَى بي ... الشوط عن واجبٍ وعن مستحب
أنت منهم وأنت أدرى بحق الله ... يا ابْنَ الكماة من خير عُرْبِ
فاقبل العذر يا أخي وأقلني ... إنْ يكن ما أتيته شبه ذنب
فبودّي رضاك ما بزغت شمْـ ... ـسٌ بشرقٍ يوما ومالت لغرب
ولك الحكم يا أخي ولك العُتْـ ... ـبَى إلى أنْ ترضى وذلك حسبي
يا ابن ودّي أنا الوفيُّ لخلي ... رغم ما في الحياة من كل صعب
أنا من لا يغيب عنك فواقا ... لو تناءى فقالبا دون قلب
أنا من سوَّد الوفاء صحافاً ... ورعى جانب المحب الأحب
غير أني ما زلت أزدرع التَّقْـ ... ـصير حرثا والدهر ثمت حربي
جاذبتني الأيام ثَنْيَ عناني ... فترامیت بين ضيقٍ ورحب
ورعيتُ الفؤاد وهْوَ سوام ... خلف أطواره بخصبٍ وجدْب
وعَجَمْتُ الْحياة عوداً[1] وحَلَّلْـ ... ـتُ رموز الزمان والجد ركبي
فَصِفِ الدهرَ أوفَصِفْنِي فيه ... تصف العز فوق أظهر قُبِّ
وسل الله رحمة تشمل الكـ ... ـل فرحماه لا تحد بغرب
وافضض الختم بالصلاة على المخـ ... ـتار مسكا عن نفحة الخلد ينبي

* * * * *

(١) عَجَمْتُ الحياةَ عودا: خَبِرْتُها وبَلَوْتُ أحداثها.

(٢) جواب على سؤال عن نسب[١]

(١) هذه القصيدة لم ترد في مجموع أعمال الشيخ عبدالله وإنما وجدت الشيخ سالم بن حمد الحارثي قد أوردها في ديوانه، وقال بأن الشيخ عبدالله الخليلي قد بعث بها إليه رداً على قصيدته التي وجهها للشيخ عبدالله بعنوان: سؤال عن نسب، وقدَّم لها بمقدمة من سطرين فيما يلي نصهما ونصُّ القصيدة:

"قصيدة تتعلق بفترة حكم الإمام الصلت والخليل والتي استمرت زهاء المئة عام وجهها أديبنا للشيخ عبدالله بن علي الخليلي بتاريخ ١٣ ربيع الآخر ١٤١٦هـ، حيث قال:

بحمد إلهي أفتح القول محكما ... سؤالا إلى شيخ البلاغة من سما
إلى ذروة العز المنيع وما احْتَمَى ... فأروى بخصبٍ كل من كان في ظما
حفيد سعيد نجل خلفان ذي الحجا ... ومن في بحور العلم خاض مصمما
فشدَّ عمادَ الدين صونا وأحكما ... وكان على الأعداء سما وعلقما
وزانت به الآفاق لما تحكما ... فأبقى لنا مجدا بديعا مُطَلْسَمَا
هو البدر لكن لا يُشانُ بخسفهِ ... هو البحر لكن بالعذوبة أُوْسِمَا
هو السيف لكن يقطع الهام والطّلَى ... هو الشمس لكن قل أجلّ وأعظما
رعى الله عصرا بالخليلي تبسما ... فأشرق من أنواره الأرض والسما
تعطرت الآفاق من طيب ذكره ... لذا ظل في أوصافه من تكلما
فما قول عبدالله شبل إمامنا ... عن النسب المشهور في الكتْبِ رُقِّما
خليل بن شاذان بن صلت بن مالك ... إمامان طار الصيتُ في ذكر ما هما
وشاذانُ ذاك الطود أضحى مناضلا ... لعزان هذاك الإمام المُكَرَّما
وبين خليل وابن صلت مراحل ... تزيد على غضبى فأين تراهما
أفدني جوابا كاشفا كل مشكل ... وعش أنت مجبور الجناح مُعظما
وصلِّ على المختار ما لاح شارق ... وآلٍ وأصحابٍ له ثم سَلِّما
عليكم سلامُ الله أهلَ ودادنا ... ورحمته من سالم وابْقَ سُلَّما

إلهيَ عبدٌ منكَ فيكَ بِكَ احتمى وبات على الغبراء يحتضن السما
ولكن غَـزَتْـهُ الرُّقْـشُ[1] جيشا عَرَمْرَما وكرَّتْ عليه الحـادثاتُ تَـقَـحُّـمَا
إذا هام في أذكاره جَلَّـلَ الحمى وإن عـاد في أوكـاره عـاد مُغرما
سلام عليه ما هفا المُزْنُ أو هَمَى

وإنْ كَلَحَتْ في وجهه الحرب أقْحَمَا وإنْ حَمِيَتْ نار الوطيس تقدَّما
وإنْ أبْكَتِ الجُلَّى بنيها تبسَّما وإنْ ضحكت في مُتْرَفيها تجهَّما
وإنْ أحجم المقدام لمْ يُلْفَ مُحجِما ولازَمَ دربَ اللّٰه يسعى مُصَمّمَا
وحادَ عن الدنيا فلم يطلبِ احْتِما

فـأكْـبِـرْ بـه لـمـا غـدا متقدما وأعـظِـمْ به لما استوى متحكما
هو الفحلُ يحمي بيضة الدين محتمى ويحمي شبابا أرخصوا في الهدى الدما
لذلك غارت منه في أرضها الحمى وعاذت به الأكوان أعظم أعظما
ولكن عليه لم تطق أنْ تَحَكَّمَا

خليليَّ ما للدهر يشكو التألما ويرسل دمع آمـاقٍ تَـوْأَمَ تَـوْأَمَـا
ويمشي الهوينا والطريق به عمى ويختبط العشواء ليلا مُظْلِمَا
لـه نظرة فـي الأفـق تبرق كلما تَـنَـوَّرَها الساري بـدوراً وأنْجُمَـا
وسارتْ بها الرُّكبانُ حتى يَلَمْلَمَا[2]

(١) الـرُّقْشُ: الحيَّات.

(٢) يَـلَمْلَمُ: جبلٌ قريب من مكة فيه مسجد لمعاذ بن جبل، وهو ميقات أهل اليمن ومن يمر من هناك.

وذي ظُـبَّـةٍ صافي الفِرَنْد إذا انتمى ففي دمه التقوى وفي المحتد احْتِمَى
يقودُ الأماني بالمنايا تَجَشّـما ويـزجُـرُ خـيلَ اللّه كـي تتقدما
ويسْتَبِقُ العلياء سبقا مُحَتَّما ويقفو خطاه البرق يحْفَى تأَلُّمَا
فـيـهـوي عـلـى أذقـانـه متلعثما

أخي زَوْرَةٍ حَيَّتْ فأحْيَتْ مُتَيَّما ترامَتْ به الأيـامُ تطويه مُغرما
وجاءته غضبى وهي تزجي مطهما ولكنما غضبى أبـت أن تكرما
فتفصح عما قـد أكَـنَّـتْ تكرُّما وأرخـت عليها بـرقـعا متجهما
وصَدَّتْ بخدَّيها فلم تُبْدِ مَعْلَمَا

هلمَّ بأترابي فقد عُـدْتُ مُعْلِمَا أُجِـلُّ شعوري أن يُـرَى مُتَبَرِّما
وأُلْهِبُ طِرْفي خلف طَرْفي[1] ليَقْدما فيهوي بسرجي في الأصالة مُلْجما
وأجلو به ريبَ الزمانِ إذا غَمَى أو اشْـتَـدّ فـي إغـوائـه مُتَقَحِّما
فطاشَ فلم يَبْلُغْ من القصد مغنما

(١) طِرفي: فرسي. طَرْفي: نظري.

فتى حمد يا سالم العرض والنما ومن هو أهدى للهدى ما تيمما
بعثت إليَّ الشعر يزهو مطهما وكنت لعلم الفقه للناس سُلَّما
فَلِمْ تنحني للشعر والقدر قد سما وأنت تُعالي الفخرَ سُلَّمَ سُلَّما[1]
ولكن لكي يرضاكَ من تتحكما

ودونك مني ما أردت وقلَّما تحكم في الجهد المُقِلُّ وذو العمى
وإني مُقِلٌّ أصفرُ الكف ما رمى قذيفته بالسهم إلا تقلَّما
ولكنَّ للأحباب حقا فأعظما به ولو أن العجز والعيَّ خيَّما
فعفواً أخي إنَّ القصورَ تحتَّما

سَألْتَ وفي طيِّ السؤال ليَ انْتِما ولكنَّ باعي قاصرُ الزند ذا عمى
فإنْ جسَّ نبضَ المشكلات فَدَمْدَمَا[2] فمالي وعيصٌ كاد يخترق السما
بالألائه في شهرة لن تكتما إليه انتماء الحكم والعلم إذ هما
قريناه مذ كان الأساس مقدما

(١) يجدد الشيخ عبدالله في هذا البيت أسفه على اهتمامه بالشعر، حيث قال في إحدى قصائده بديوان بين الفقه والأدب أنه كان يتمنى لو ترك الشعر واشتغل بعلم الفقه. ولهذا السبب جاءت عبارته إلى الشيخ سالم: "فَلِمْ تنحني للشعر والقدْرُ قد سما". فَقَدْرُ الفقيه عند الشيخ عبدالله أسمى من قَدْرِ الشاعر. ولا شك أن هذا القول هو واحد من أمثلة أخلاقه العظيمة وتواضعه وهضمه لِقَدْرِ نفسه بين مقامات الفضلاء وإلا فالشيخ عبدالله على مستوى من علم الفقه كما نضحت به أعماله الشعرية كلها وأخصها في هذا السياق ديوان بين الفقه والأدب وديوان الموعظة.

(٢) فدمدما: وردت في ديوان الحارثي هكذا: (فدم دما). ودمدم الشيء ألصقه بالأرض، وكذلك: أهلكه.

دعاني وعيصٌ بالنزاهة أوسما أُجَلِّلُهُ نوراً وأجلوه منشما[١]
لقد كان ما بين الحفيد ومن نما (سنين) تقضَّت دونها السر أحجما
ففي طيلة الأعمار للخِيْم[٢] محتمى وفي واسع التاريخ للمحتمى احْتِمَا
فأكرم بهم خيما بمجد تجسما

وإنْ يَقُلِ التاريخُ إنَّ على الحمى جدودا طوتهم في فم الفتن الدما
وكم قد طوَى بلعومها من تقدما فجاءتهمُ غرثى على فمها الظما
وأجدادنا كانوا على الدين قُوَّما لذلك كادتهم ولم تتلعثما
فأكرم بهم والصبر فيهم تحكما

ترى الفتنَ السوداء تأكلُ معْلما وذا شرفٍ صافي الفرند إذا انتما
فهم أهل ذيَّاكَ المجال فأكْرِما وهم دوَّخوا الدنيا لذي العرش سوَّما
وخاضوا بحار الهول سما وعلقما ولم يهنوا للخصم لما تجشما
سلامٌ عليهم في الهداية والرمى

ومالي وللشك الملبَّسِ بالعَمَى أتابع من أدواره ما تكتما
وما من سبيل ثم للشك ينتمى وقد طبق الآفاق شهرته لما
تسامى به من قدسه كيفما انتمى فأكرم به خِيماً يقود عرمرما
من الفخر بالإحسان في اللّه مقدما

وأزجي صلاةً للرسول هي الحمى بأنوارها تغشى الوجود منعّما
وأعقبه التسليم للّه مسلما لأفتض ختم المسك يَنْبَثُّ عَندما
وأنشط في أرواحه إذْ تنسما وأشدوه ألحانا وأجلوه منشما
وأسكر فيه مُسْلِما ومُسَلِّما

(١) المَنْشِمُ: من عطور الأقدمين .
(٢) الخِيْمُ: السجايا العلية.

(٣) بين السدر والضال[١]

حي العروبة بين السدر والضالِ[٢] ... في الشعر في قلم بالعلم سيَّالِ
بين المكارم والعليا توزعها ... مضاربا بين صهَّالٍ وصوَّالِ[٣]
حي العروبة والدنيا تؤازرها ... والدين يحفظها من وصمة القالي[٤]
مالي وللدهر ما أمعنت في أمل ... إلا وفتَّت بالتسويف آمالي
ولا أهبت بأحوالي تنازله ... إلا وفاجأ بالإرجاف أحوالي
كأنه ولسان الحال في فمه ... يشدو وللكون أذن غير مكسال
كم من رشيد رشيد في تصرفه ... ما نال جاها ولا حظا من المال
وكم غويٍّ لئيمٍ أهْوَجٍ[٥] فُتِحَتْ ... له الكنوز ونال المنصب العالي
دعني أجامل دهري في تطاوله ... حلما وأرعاه بين السدر والضال
دعني أساوره علِّي أُذَلِّلُهُ ... وسطوة اللّٰه في سيفي وعسَّالي[٦]
فإن أُوَفَّقْ فكم مولاي عوَّدني ... توفيقه لو نَبَتْ في القصد أفعالي
سليل راشد يا حلم الكهولة في ... روح الشبيبة في قصد وأعمال
محمد يا ابن من راض العلوم على ... كل الميادين في سعد وإقبال

---

(١) قال أمير البيان هذه القصيدة في الشيخ الفقيه الأديب محمد بن راشد الخصيبي مؤلف كتاب شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان. وسيرد ذكره وذكر كتابه في ثنايا القصيدة.

(٢) الضَّالُ: السدر البرّي الذي ينبت بالمطر.

(٣) الصَّهَّالُ: الفرس. والصَّوَّالُ: الفارس.

(٤) وصمة القالي: عَيْبَةُ المُبْغِض.

(٥) الغويُّ: المُمْعِنُ في الضلال. اللئيم: الخسيس. الأهوج: الأهبل، الأحمق، من به طيشٌ وتسرُّع.

(٦) عَسَّالي: يريد بها لسانه كشاعر يفوه ببليغ الكلام وحلو البيان كما العَسَّال الذي يستخرج العسل اللذيذ من مواضعه.

قم عانق الحمد مشدودا على عنق ... العلياء والعلم في عز وإجلال
وخلد الذكر للأمجاد ما تُلِيَتْ ... آي المحامد في فعل وأقوال
وارسم "شقائق نعمان" بخارطة ... في صفحة الميم قبل الجيم والدال
وسل عمان وقد سالت مواهبها ... على البسيطة سلها بالهوى الغالي
سلها عن العلم في أفياء دوحتها ... سلها عن الشعر سيالا كسلسال
سلها وفتِّح لنعمانٍ شقائقه ... ففي الشقائق إيماء لذي بال
محمد قد جمعت الشاردات لنا ... على الشقائق فاحمد حظوة الحال
كم شاعر قد جهلناه وذي أدب ... جلوته في سناها دمت من جال
قلدت جيد عمان الفخر محتفظا ... بطابع الشعر عن فحل ومفضال
فاعقد على هامة الجوزا حمائلها ... حول اللواء وأسعدها بإكمال

* * * * *

(٤) حلل الهدى[١]

أَنَـهْـرُ بيانٍ عـبَّ علما رواؤه ... زكت مروة المسعى به وصفاؤه
أم الـنـور شـلالا تـدفـق نبعه ... ضياء فغشى العالمين ضياؤه
أم الآية الكبرى ولست بمسرف ... إذا قلت كبرى الآيتين سناؤه
هو العلم يرويه البيان بغربه[٢] ... فيثري بنيه المخلصين ثراؤه
وينساب بالريحان والروح عرفه ... ويـأتـي بـآيـات الـنـبـوغ إتـاؤه
ويشرق بالإيمان واليمن بدره ... وينهل بالتبيان سيبا حياؤه
على عدوتين عن يمين وشَمْأَلٍ ... بـواد عـليـه غـيـثـه وغـثـاؤه
وبالعدوة الدنيا الهدى وضياؤه ... وبالعدوة القصوى الهوى وشقاؤه
وبالعدوة الدنيا حُمَيْد يرقم الصـ ... ـحائف علما فاض نورا سماؤه
ويشدو بأنغام الشريعة شاعرا ... عليه من السحر الحلال رداؤه
على قبة حمراء من أدم الهدى ... بسـوق بـيـان لا يـطـال بـنـاؤه
كأني به من فوق صهوة أشقر ... يروض القوافي والبيان إزاؤه
ويعدو على أوراق علم منيرة ... إلى حيث حزب المصطفى ولواؤه
سلالة عبدالله أطلعت نيرا ... من الفقه لكن المجاز جلاؤه

---

(١) قال أمير البيان هذه القصيدة في الشيخ القاضي الأديب حميد بن عبدالله الجامعي المُكنى بأبي سرور. وسيرد ذكره في ثنايا القصيدة التي وردت في اثنين من الدواوين هما ديوان فارس الضاد وديوان الموعظة، وأثبتناها هنا.

(٢) الغَـرَبُ: القَـدَحُ.

أضاء بأحكام الشريعة أفقه ... وضاع بعذريٍّ الكُرَيْز زكاؤه[1]
وأصبح سفرا يملأ الكون نوره ... وروض هدى يشفي النفوس عطاؤه
فبورك من سفر إذا ما قرأته ... أفاد وأغنى عن سواه سواؤه
تحدر صافيه كما شاء عن أبي ... سرور فأوفى بالسرور وفاؤه
وجاء ليبقى شامخ الأنف عاليا ... يباركه من ذي الجلال علاؤه
هنيئا لما ألبست من حلل الهدى ... (حميد) لك الرحمن شكرا جزاؤه
ونالك منه ما تقر به غدا ... عيونا وقرب الله فيك انجلاؤه
وأنت تحيي بالصلاة زكية ... يد المصطفى والختم مسكا شذاؤه

* * * * *

(١) الكُرَيْزُ: هو شجر الكَرَز ذو زهرٍ أبيض وثمر هني لذيذ يُسمّى بحب الملوك. ولفظة الكَرَز تطلق على الشجرة وثمرها.

(٥) البيان[١]

جمح[٢] البيان ولانت الدرب ... فتساجل المحبوب والحِبُّ
وتجاريا والخيل طاغية ... سبقا فكان الأسبق الصب
وتداخلا درعا بمدرعة ... لولا الأعنة والمدى الرحب
يا من أجل ومن هو الحب ... أسلس قيادك إنه صعب
أظمأتني وعقرت راحلتي ... أكذا يكون الحب والقرب[٣]
وتركتني أهوي بداوية ... لولا المطهم والشبا العضب[٤]
حيران لا العيُّوق يرحمه ... كلا ولا الشِّعْرى ولا القطب[٥]
الصبح يكسر جفن منيته ... عنه كأن جفونها حرب
والليل يغفل عن طريدته ... مكرا فيحسب أنها تكبو
حتى إذا ما كاد يمسكها ... ويقر عينا حالت الحجب
ضق ما تشا ذرعا بها فلكم ... ضاق الكريم ومسه الكرب
من لي بذي مِقَةٍ[٦] أشاركه ... أمري كأنا في الوفا قلب
فإذا نَطَقْتُ نَطَقْتُ عن فمه ... وكذاك إنْ يَنْطِقْ ولا عتب

---

(١) قال أمير البيان هذه القصيدة في القاضي أبي سرور وأوردها في اثنين من الدواوين هما ديوان فارس الضاد وديوان الموعظة. وكان عنوانها في ديوان الموعظة: معنى الوفاء.

(٢) لفظة: جَمَحَ وردت: جَمَعَ في نسخة ديوان الموعظة.

(٣) الشطر الثاني من هذا البيت ورد في نسخة ديوان الموعظة هكذا: (أكذا وحقِّك ينهل الحِبُّ).

(٤) الدَّاوية: الفلاة. المُطَهَّمُ: الجواد. الشبا العضبُ: السيف.

(٥) العيوق والشِّعْرَى والقطب: أنجم. والبيت ورد في ديوان الموعظة بهذه الصيغة:

حيران يكسر جفن منيته ... عنه كأن جفونها حرب.

(٦) المِقَةُ: المحبة.

وإذا تَصَدَّعَ[١] كنتُ جابره ... وإذا انْصَدَعْتُ فإنه الرَّأبُ[٢]
كأبي سرور من لمستُ به ... معنى الوفاء ومن هو اللب
لا الكثر يدنيه إليك ولا ... يقصيه عنك القلُّ والشَّعْبُ[٣]
لكنما هي عصمة ربطت ... أمشاجه بك ريُّها غَرْبُ[٤]
الدين والإيمان قائدها ... ومنارها الإخلاص والحب
في ذمة الرحمن آصرة ... في اللّه منها الوصل والجَبُّ[٥]
أحميد عندي رجع صادحة ... ولديك ذاك البلبل الطرب
إني عرفتك شاعرا لبقا ... يروي القلوب نميره العذب
ورأيت شعرك فوق أسطره ... كالدر نظَّم سلكه طَبُّ[٦]
تدعو أبا ربحي مطارحة ... فيها الوفا والمندل الرطب[٧]
وتمس حاشية الرداء به ... مستعتبا والشوق لا يخبو
أوفى إليك بعتب ذي أدب[٨] ... في نثره من شعره ضرب
إذ لَجَّ في استعتابه وعلى ... أحشائه من حبه ندب[٩]

(١) لفظة: تَصَدَّعَ وردت في نسخة ديوان الموعظة: تشظَّى.
(٢) الرَّأْبُ: ما يُجْبَرُ به الصدع.
(٣) القلّ: عدم الوُجْد: الشّعبُ: الفُرقَة.
(٤) الغَرْبُ: القَدَحُ.
(٥) الجَبُّ: القَطْعُ، القطيعة.
(٦) الطَّبُّ: الحاذق الماهر.
(٧) المندلُ: العودُ الطيب الرائحة.
(٨) كلمة ذي أدبٍ وردتْ في ديوان الموعظة: ذي مقة.
(٩) هذا البيت ورد في ديوان الموعظة بالصيغة التالية: إذ قال تندبُ قربه وعلى الأ ... حشاء من هجرانه ندبُ.

أعـــذر بـــه فـالـحـب مـركـبـة ... فيها التـراحـم ثَـمَّ والسلب[١]
خـل الـعـتـاب[٢] بـبـحـره وأدر ... قـرص الإخـاء[٣] فـثـمـت الحب
أتـراك تـتهم الحبيب وقـد[٤] ... صـحـت مـحـبـتـه ولا ذنـب
فـالـحـب جـنـب بـات يـربطه ... بحبيبه تحت الهوى جنب[٥]
والعتب عـنوان المحبة كالأ ... مطار فاض بسيبها السحب[٦]
الـحـب حـــال لا تـحـلـلـها ... هـذي الـعـقـول فسهله صعب
يعلو مطا[٧] الـدنـيـا فتحمله ... مـسـرورة لـو طـالـت الـدرب
وتـدور أرحـاء[٨] الـوجـود به ... فـكـأنـه لـمـدارهـا قطب
والـدهـر يـهـوى لثـم أخمصه ... فـتـراه فـي آثـاره يحبو
والـعـيـن تـعـجـز أن تحققه ... والـرأي دون مقامه يكبو
يـا مـن أود وخُـلْـقُـهُ عجب ... حـوشـيـت[٩] لا كبر ولا عُجْبُ

---

(١) هذا البيت ورد في ديوان الموعظة بالصيغة التالية: أعذر به لو كان عن مقة ... هجرانه لكنه السلبُ. وبعده بيت لم يرد هنا وهو:

وتـقـول مـا بـي لـلألـى غـدروا ... حـبٌّ وحـظ مـنـافـق صـلـبُ.

(٢) خلّ العتاب: في ديوان الموعظة: خلّ النفاق.

(٣) قرص الإخاء: في ديوان الموعظة: قرص الغرام.

(٤) هذا الشطر ورد في ديوان الموعظة بالصيغة التالية: وحذار تتهم الحبيب إذا ...

(٥) ورد هذا الشطر في ديوان الموعظة بالصيغة التالية: بحبيبه دون الورى جنْبُ. وبعده ورد بيت لم يرد هنا، وهو:

أمـــا إذا فـسـدت مـحـبـتـه ... فـفـسـادهـا لـفـسـاده تِـرب.

(٦) هذا البيت لم يرد في ديوان الموعظة.

(٧) المطا: المركوب.

(٨) أرحاء: جمع رحا والمقصود هنا الحركة في الحياة.

(٩) حُوشيتَ: كُرِّمْتَ عن التلبس بالخلق المشين.

حـي الـجـلال فـلـي بـه شجن ... حيث الظُّبا والضُّمَّرُ القُبُّ[١]
حيث الهدى في أوج عزته ... وبعرشه تتربع الشهب
حيث الجلالة في مضاربها ... لا شرق يحكمها ولا غرب
لله ماضيها وحاضرها ... في الله والمستقبل الصلب
بيني وبينك ذمة ووفا ... وعلى الوفا يترابط الصحب
فمن السلام عليك فاغية ... يسبي العقول نسيمها الرطب
وعلى (عطاء الله) [٢]ذلك من ... جادت به الأُرْدُنُّ فالعُرْبُ
وعلى (أبي ربحي) وحسبي بالإ ... ثنين حسبي مفخرا حسب
وعلى سما الزرقا بدور سما ... ضاءت بهم واخضرت الترب
دعني أفض بطيب ذكرهم ... ختما على كل الشذا يربو

* * * * *

(١) الظُّبَا: السيوف. وهي جمع ظُبَّة وهو حد السيف. والضُّمَّرُ القُبُّ: الخيول المُعَدَّة للسباق.
(٢) عطاء الله وأبو ربحي أديبان أردنيان كان يعملان في سلك التدريس في سمائل.

(٦) ساحة النصر [١]

تبسم ثغر النصر في ساحة النصر ... ليشهد للأبطال في ساعة الكر
وشق الدجى نورا لكيما يرى به ... صراع الهدى للزيغ تحت القنا السمر
وأقبل خيل اللّٰه تهوي موازعاً ... وقال لمن كانوا حواليه من صُبْر
سأصبر حتى يشهد اللّٰه أنني ... صبرت وحتى أستريح إلى صبري[٢]
وأركب في اللّٰه الخطوب بهمة ... يجردها عزمي ويحزؤها فكري
وأسري عليها والدجى مانوية[٣] ... تخال عزيف الجن في ثوبه السحري

---

(١) قال أمير البيان هذه القصيدة في الشاعر الشيخ سليمان بن خلف الخروصي.

(٢) هذا البيت وجدته مشتركا بين هذه القصيدة وقصيدة أخرى بعنوان: الصبر جُنَّة موجودة في ديوان الموعظة.

(٣) المانوية ديانة ابتدعها رجل فارسي يُدعَى ماني بن فانك الفارسي ظهر جنوبي مدينة بابل في العراق سنة ٢١٦ ميلادية، في زمن كسرى شابور بن أردشير. مزج ماني في ديانته تعاليم المسيحية واليهودية والبوذية والزرادشتية. وزعم أنَّ موجد العالم اثنان: النور خالق الخير، والظلمة خالق الشر. وأنهما أزليان حيان. وفي العصر العباسي جدد بعض الفرس إحياء عقائدهم البالية، ومنها ديانة ماني. وقد ردَّ الشاعر الكبير المتنبي على فكرة المانوية بقوله:

وكم لظلام الليل عندكَ من يَدٍ ... تُخَبِّرُ أنَّ المَانَويَّة تكْذِبُ.

أنظر كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، لمؤلفه عياض بن موسى بن عياض اليَحْصُبي السبتي، (ت ٥٤٤هـ)، دار الفيحاء، عَمَّان، ط٢، ١٤٠٧هـ، ج٢، ص ٦٠٥. واستخدام أمير البيان للفظة (المانوية) يمثل ملمحا واضحا في موسوعته الشعرية لاحظته في أكثر من ديوان، فهنا في ديوان وحي العبقرية قال:

وأسري عليها والدجى مانوية ... تخال عزيف الجن في ثوبه السحري

وفي قصيدة الشعرى بديوان الخيال الوافر يقول:

تسري ولليل تحت المَانَوِيَّة أوْ ... هامٌ وإقْدامُكَ الجبَّار هازمُهُ

وفي ديوان من نافذة الحياة يقول:

دعني أخوض الدجى يسري ببرُقُعِه ... والمانويةُ بينَ الحلم والحُلم

إلى أن أشق الدهر عن آية الهدى ... وأبلغ قصدي فيه مستخلصا سري
حذار من الدنيا فقد جمحت بنا ... شرورا وعاثت في الفساد بلا نكر
ولم تبق مضمارا يكيد لمؤمن ... قصاراه إلا أقحمته على المكر
تجهم في وجه الأحبة وجهها ... تروضهم بين الأعنة والكبر
ودَسَّتْ عليهم تحت أردية الخنا ... مصائبها السوداء تجنح بالغدر
ولكنهم صُبْرٌ إذا الضرُّ غالهم ... ولله فيهم نظرة الواصل البر
تلقوا رزاياها بصبر وحنكة ... فهب أنها انفاءت تدور على الكسر
فلا جبر الله المصائب كسرها ... ولا نالها منه بسعد ولا بر
ولا سلطتها راحتاه على امرئ ... له صلة بالله في مطرف الطهر
سليمان بشرى إثر نزوة حازب ... بمكروهة تسري به نبأة الذعر
سليمان وقيت المصائب ترتمي ... بها صدمات تمسح الخير بالشر
ولا نالك المكروه فيمن توده ... وعشت بعين الله ترفل في السر
مع الأهل والأولاد والأسرة الألى ... رعتهم عيون الله في السر والجهر
وقرت بهم عيناك عينا وصانكم ... من الله حرز الله من كل مستشر

وفي ديوان على ركاب الجمهور قال:

وللبرد فيها هزَّةٌ إثْرَ هزَّةٍ ... وللريح بين المانويات مُدَّعَى

وفي جوابه على سؤال لأبي سرور بديوان بين الفقه والادب، قال:

والليلُ (تَسْتَنْفِرُ) الأنَاتُ هَجْعَتُهُ ... والمَانَوِيَّة بين الصدق والكذب

وفي قصيدة: مضل البعير بديوان فارس الضاد، قال:

فمال إليه والدُّجى غير قابع ... بخيمته والمَانَوِيَّة غُول

وكذلك قوله في قصيدة: الشأو والشأن في ديوان فارس الضاد أيضا:

ويركب الليل نسرا لا يُرَوِّعُه ... لِلْمَانَوِيَّةِ زجر بين غيطان

يظهر من تلك الأبيات أن أمير البيان يرمز بالمانوية للجهل، والضلال، والشر، فقد استعملها في مواضع اقترنت بالليل، والغول، والرعب.

فتى خلف إني بحكم هواكم ... جزعت على أنباء ضاق لها صدري
بأن بنيك استلأموا الصبر[1] للقضا ... بلى إنهم كانوا من الله في أزر
وكانت عيون الله ترعى كيانهم ... ومن هي ترعاه فلا نيل بالخسر
وأَنَّ "عسى أن تكرهوا" خير سلوة ... بها تطمئن النفس من مؤمن حر
ولكن أتاني ما به صغر النبا ... فدار على اليمنى وإن لم يكن يدري
فأثلج صدري وقعه حينما نما ... إليَّ وكم لله لطف أتى يسري
تبارك ربي لا يضيّع أهله ... له عادة فيهم بإحسانها تسري
فتى خلف من عيص شار ابن يحمد ... سلام عليكم في التجمل والصبر
وإني لأدعو الله أن يكتب الشفا ... لأبنائنا مما يعانون من ضر
وأن ينسيء الآجال تحت ظلاله ... وطاعته في الجهر منهم وفي السر
وأن يختم التطواف بالمسك فائحا ... بنشر صلاة للنبي مدى الدهر
وآل وأصحاب كرام ومن قفا ... سبيلهم في النهي لله والأمر

* * * * *

(١) اسْتَلْأَمُوا الصبرَ: أي تسلحوا بالصبر لمواجهة صروف القضاء.

(٧) خانني الجد[١]

خانني الجد إذ تعمق دائي ... وتعايى الآسي وأعيى دوائي
وتراخت إرادتي بعد أن كا ... نت تباري زعازع النكباء
وتفوت البرق استباقا إلى الغا ... ية بين التقريب والإرخاء
لا تلمها فعضة الداء فيها ... رميات القسيِّ في الهيجاء
راشديَّ النجار بوركت قصدا ... فلأنت المبارك الإيتاء
جئتني باحثا سلالة عبدالله ... والبحث شيمة الفطناء
جئت تزجي تساؤلاتك عن تا ... ريخ ذي الفضل جدنا البنَّاء
ولقد رمت أن أجيب فما اسْـ ... ـطعت جوابا لوطأة الأدواء
ولقد وجهت إلي بحوثا ... قبل عنه فكان عذري ابتلائي
فأقلني وأعذر وربك تقصيـ ... ـيري فإن المحب للعذر راء[٢]

* * * * *

(١) هذه القصيدة وجهها أمير البيان لرجل لم يصرح باسمه الكامل وإنما قال عنه: (سلالة عبدالله)، و: (راشدي النجار) فيحتمل أن يكون الشيخ القاضي حمود بن عبدالله بن حامد الراشدي.

(٢) راءِ: ناظر. أي نظر التقدير للمعتذر.

(٨) الشرف الأسمى[١]

طوقته بجيده ساعداها ... وطوته بخصرها إذ طواها
ودعته إلى السرادق والنو ... ر يغشى بلاطها وسماها
وأرته جمالها فتلاشى ... هبوات تَرْفَضُّ في أنحاها[٢]
واستعادت نشاطه فطوى الأف ... ق جناحا تهوي به عيناها
وجلته لحبها فتجلى ... بَدْرَ تَمٍّ يضيء في علياها
وأماطت لثامها لتحيي ... ه فضاعت رؤاه تحت سناها
هو قيس الغرام فيها ولكن ... هي ليلاه والهوى مغناها
يا لها إذ دعته قيساً فما صـ ... ـد فعادت باللطف رغم هواها
ودعته محمداً حمد المجـ ... ـد خطاه فسيحة في مداها
يا فتى أحمد سقتك المعالي ... غَرْبَها[٣] وهي تستقي أنواها
وغذتك النبوغ آية فضل ... وسعود بنوره يغشاها
غرس الله فيكم الشرف الأسمـ ... ـى فسدتم بهديه أهداها
وعلاكم من جانب الله نور ... فعلوتم بآيه أعلاها
وسعود الكريم واسطة العقـ ... ـد وبيت القصيد من لا يباهى

(١) كتب أمير البيان هذه القصيدة يوم ١١ صفر١٤١٤هـ الموافق ٣٠ يوليو١٩٩٣م ووجهها للسيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي العالم المفكر الأديب ورجل الدولة المعروف الذي شغل العديد من المناصب الوزارية كان آخرها منصب مستشار جلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية. ويدور موضوعها حول رؤيا منامية رآها أمير البيان في السيد محمد البوسعيدي.

(٢) هَبَوَات: الهبوات الذرات المتطايرة. تَرْفَضُّ: تتفرَّق.

(٣) الغَرَبُ: القَدَحُ.

هوفي الزهد مضرب المثل الأعلى ... وفـي الـعـزم غـايـة لا تضاهى
يـمتطي صـهوة الـجـواد ليعلي ... كلمة الله لا افتخارا وجاها
ويـقـود الأيـام طـوعـاً وكـرهـاً ... سـاجـدات لـذي الـجـلال جباها
غـايـة تـقعد الأمـانـي حسرى ... دونـهـا لا تـطيـق مـنـهـا اتـجاهـا
وابنه أحمد الـذي هو والفضـ ... ـل رضيعا لـبـان ثـدي نماها
قـد صحبنا منه فتى عبقرياً ... راض من شُقْرِ مجده أشْآها[1]
وحـدا الـفـضـل بـالـهـدايـة للّه ... فأوفى يجتاز أقصى صُواها[2]
فـكـن الإبـن يـرتـدي الـبـر لـلآ ... بـاء في اللّه مستنيرا خطاها
فلأنت الفحل الذي اقتاد بالفخـ ... ـر نواصي الفصحى وراض مِطاها
يـا خـطيـبـا مـفـوهـا بـاركـتـه ... آيـة الـضـاد مـقـولا لا يضاهى
إنني المخلص الوفي الذي عا ... شـ أسـيـرا بـحـبـكـم يـتـبـاهـى
ربـطـتـنـي بـكـم أواصـر حب ... عـقـدت منه بالتقى عروتاها
وحـدانـي فـيكم إلـى اللّه حاد ... بـات يـسـري تـخـالـه أفـواهـا
كنت في النوم إذ أريت مسرا ... ت تـجـلـت عـلـيـك فـي جـلـواها
وعـلـيـك اسـتـنـارةٌ ومـن البسـ ... ـطة في الجسم حالة ترضاها
والشعور البيض استحالت سوادا ... غير نـزر كالوشي نـورا علاها
وكـأنـي بـصـوت داع يـنـادي ... أن تـوجـه للّه تـحـدو بُـراهـا[3]

(١) الشُّقْرُ: الخيول. أشْآها: أسْبَقُها.

(٢) الصُّوَى: مفردها صُوَّة وهي العلامة التي تنصب في الطريق للدلالة على المكان.

(٣) بُرَاها: جمع بُـرَة وهي حلقة توضع في منخر الناقة لتذليلها. واللفظة هنا مستعارة للمطي وذلك من تسمية الشيء بشيء فيه. والعبارة فيها حث للإقبال على الله عزوجل بعزيمة خالصة وثابة كما يحدو صاحب الإبل نوقه في مضمار السباق.

حينما كنت جانب العاهل الشهـ ـم تراعي خطاه في ممشاها
وهو بين الرجال يقسم أرزاقـ ـا على الناس جوده مأتاها
ويسوس الدنيا بخاتم ملك باركته العزوم لما انتضاها
ولقد كنت حولكم وبجنبي من سمائيل[1] منزلي في رباها
وهي تسمو بكم فخارا وتختا ل سرورا وتستمد قواها
فعرضت الطعام لكن أبى السلـ ـطان رعيا منه لأشيا يراها
وأنا كنت مثلما كنت في الصح شبابا والحال ما أحلاها
حيث ناديتني تقول أما من قبلي حاجة أطيق قضاها
قلتُ أن يقبل المليك المفدى من طعامي نزرا به أتباهى
قلتَ أكفيكه فجاءني الر د بإيجاب ما سألت شفاها
غير أني انتبهت والليل يطوي في ردائي جمال رؤيا أراها
قد دخلت الحمى نشيطا ولكن أخرجتني حالٌ مُهيبٌ سطاها
ليتها حققت لي الحلم الحلـ ـو وآتت وحليها حلواها
فدعاني استمطر الله عفوا وأناديه مخلصا أواها
وسلام عليكم في المعالي وسلام عليكم في هداها
وسلام ونعمة الله تنهـ ـل صلاة غب السلام لطه
وتفض الختام يعبق بالمسـ ـك شذيا تخاله رياها

* * * * *

(١) سمائيل: اسم ولاية سمائل في العصور السحيقة.

(٩) عالي الجناب[١]

لكريم الآبـاء عـالي الجنـابِ ... كلـمـات كـالـسـابـق الـوثَّـــابِ
كلـمـات مـن الـسـلام عليها ... مشرق الوجه طاهر الأثـواب
تـتـرامـى إلـــى محـمـد يـمـنـا ... بـيـن تـلك الخيـام والأطـنـاب
مدلجات تبارك الخطو من مم ... ـشاه بين المحراب والأعتاب
فابتدرها يا نجل أحمد واعذر ... مقصرا دون واجـب الأحـبـاب
يـا سليل الهدى ويـا جوهر الف ... ـضل ويـا منـبـعاً مـن الآداب
محتد الجد محتد الشرف الأعل ... لى أمـيـر اللغا سمير الكتاب
إن آبـاءك الألـى عـرفـوا الله ... فكـانـوا كـصـارم ذي ذبـاب[٢]
جدك الفاضل الذي ركب الزهـ ... ـد إلـى اللّٰه وهـو لـب اللـبـاب
لم تشقه في زهوها هذه الدن ... ـيا أتـتـه فـي مـشـرق خـلاب
بل حداها وراضها في سبيل الله ... أخـــذا بـسـنـة الأواب
يا سعود العلياء يا واحد الفضل ... ولـيـاً يـا زيـنـة الـمـحـراب
لك عند الرحمن مقعد صدق ... أنـت فيه مجاهد أو صحابي
فـسـلام عـلـيـك حـيـاً ومـيـتـاً ... وسـلام وأنـــت بـيـن الـقـبـاب

---

(١) كتب أمير البيان هذه القصيدة في السيد محمد بن أحمد بن سعود البوسعيدي بتاريخ ١٩٨٩/٦/٢٩م.

(٢) الصَّارِمُ: السيف، والذُّبابُ حَدُّ طرْفيه.

وسلام على فتاك الذي سا ... ر على النهج مفضياً للصواب
خذ خطاهم يا واحد الفضل منهم ... واسلك الدرب في نقي الثياب
واحذُ ما استطعت حذوهم تجد الله ... لذاك الجدار خير محاب
فلكم في الوجود صاحب موسى ... تلك في الأرض سنة الوهاب
جاءني من لدنك ديوان شعر ... قصد تصحيح ما به من خراب
أرضة لاعبته تحت سني الإهمـ ... ـال فانصاع بعضه للتراب
ومشت فوقه يد الدهر حتى ... تركته ممزق الجلباب
أنا لو كنت مثلما كنت صَحًّا ... لم يَؤُدْني تصحيحه من كتاب[1]
غير أني أصبت بالداء صِلاًّ[2] ... يترامى مثبطا أعصابي
خان فيه كفي يراعي وعيني ... رؤيتي والجميل للأصحاب
فارض عمن يكن حبك سرا ... بين جنبيه يا كريم الجناب
واقبل العذر منه واعف عن التقـ ... ـصير فالعفو شيمة الأحباب
وعليك السلام ما طلعت شمس ... نهار وآذنت بالغياب

* * * * *

(١) صَحًّا: صحيحا غير مريض. لم يَؤُدْني: لم يُعْجِزْني.
(٢) الصِّلُّ: الخبيث.

(١٠) الخال[١]

ما للجمال أزيحت دونه الحُجُبُ ... والناس من حوله مرو ومرتقِبُ
تراه يَعْمَهُ[٢] ما للدين فيه يد ... تعوقه ومداه الطامح الذرب
فلا الإباء تَعُبُّهُ سوء نزعته ... ولا العِنان ولو سُلَّتْ به القضب
ولا النّخَا[٣] لا ولا الأخلاق تمنعه ... ولا التقاليد حتى الجحفل اللجب
حيران يسبح في بحر الهوى سَدِكاً ... في غيه يصطبيه[٤] العاشق الطرب
قال الزمان له خذني وراءك لا ... تنظر إليَّ إلى أن تبدو القبب
فسار موكبهم تحدوه أغنية ... بَلْها وحاديهم الأنغام والطرب
فخذ سبيلك عنهم يا بُنَيَّ إلى ... أن تبلغ القصد حيث المنهل العذب
وثابر العلم إن العلم مركبة ... للصالحين بهم نحو العلى تثب
وأفْرِغ الوُسْعَ[٥] فيه ترق مرتبة ... من دونها هامة الجوزاء والشهب
يا نجل سيف تحيات معطرة ... من دونها المسك عرفا والكبا الرطب
أتتك تقرع أبواب البنوة في ... أديمها الشوق والإخلاص والأدب
وأقبلت ونسيم الفجر ينشدها ... كما يشاء ويطوي عرفها اللبب
أتيت تسأل عن بيت تضمن عن ... روائع الشعر ما يزكو به الدأب

---

(١) كتب أمير البيان هذه القصيدة جوابا على سؤال شعري ورد إليه من أحد شعراء سمائل لم يذكر الشيخ في القصيدة من اسمه سوى اسم أبيه.

(٢) يَعْمَهُ: يتردد كالمحتار.

(٣) النَّخَا: مصدر نخوة: الفخر والمروءة والعظمة.

(٤) السَّدِكُ: المُولَعُ بالشيء. يصطبيه: يستثير صبوته.

(٥) أفْرِغ الوُسْع: ابْذل طاقتك في تحصيل العلم.

"الخال لص أمير الحسن أفرشه ... نطع الدماء وهزت دونه القضب"[١]

أتيت تسأل عن معناه مبتدرا ... وإن معناه لا نأيٌ ولا كثب

فلو تأملته ألفيت نائيَهُ ... يدنو إليك ولا أينٌ ولا نصب

وكان حولك موسى[٢] شاعرا لبقا ... فلو رجعت إليه نالك الرغب

لكن مطارحة أجريتها ويدا ... من الأخوة مدت والهوى الأرب

فهاكه رأيٌ لا غرٌّ ولا لبقٌ ... لكنه عاجز عن فعل ما يجب

فإن أُصِبْ ثغرات الحق فيه فقد ... وُفِّقْتُ أما سواه فهو مُجْتَنَبُ

الخالُ حبة مسك ذاب جوهرها ... وبات فوق أديم الحسن ينسكب

تلفيه لص الجمال دائما أَوَ مَا ... تراه نحو كنوز الحسن يقترب

بين الشفاه وبين العين تحسبه ... عبدا على قبلات الحب يرتقب

لذاك غار أمير الحسن منه فلم ... يطق فأصدر حكما وقعه عجب

ويا ترى مَن أمير الحسن ليس سوى ... حقيقة الحسن حيث الحجب والحجب

يا جوهر الحسن قلدت الإمارة في ... هذا الوجود فدان العجم والعرب

رفقا بخال ضعيف في تطفله ... على الجمال ولا سلب ولا سلب

والنطع وردة خد بت تفرشه ... أديمها والدم الغضبان يضطرب

يا وردة طفحت بالبشر ناضرة ... دم الشباب بها قد بات يختضب

ويا شفار الجفون السمر قَدْكِ[٣] ففي ... لحاظك البيض بالأقدام كم تثب

---

(١) البيت للشاعر البصري شهاب الدين ابن معتوق الحويزي من أهل الأحواز (١٠٢٥-١٠٨٧هـ/١٦١٦-١٦٧٦م). له ديوان مطبوع بعنوان: ديوان شهاب الدين. والبيت من قصيدة طويلة مطلعها:

(رَوَى عن الرِّيْقِ منها الثغْرُ والشَّنَبُ ... معنىً عن الراح تروي نظمه الحَبَبُ).

(٢) يعني الشاعر موسى بن عيسى البكري أحد أدباء سمائل المعروفين.

(٣) قَدْكِ: حَسْبُك.

هذا جوابي وما جهد المُقِلِّ وإنْ ... يجْهد لكنَّ عفو الله مرتقب
والحمد لله حمدا أستميح به ... ربي ومنه تعالى الفضل أرتقب
حمدا أفض ختام المسك عنه له ... من الصلاة على المختار مصطحب

* * * * *

(١١) عرف سمائل[١]

علق الطبيعة وهو في أعرابه ... فغدا يروض القول في إعرابه
وسرى وأجنحة الهوى تهوي به ... لكنه لم يُعَدِّ عن أعتابه
حيران يحسب غيه في رشده ... ويخال دميته على محرابه
ما باله لمس الهوى فتفاعلت ... حركاته فاستنقعت في صابه
يمشي الهوى من حوله متثنيا ... فيكاد يدهشه اضطراب حجابه
أترى الحجاب يشف عما خلفه ... والحب مرتهن لدى أبوابه
صف ما تشاء كما تشاء فلا سوى ... ثغر تبسم من خلال نقابه
فيه الحياة كما يشاء لها الحيا ... كالأرْيِ[٢] يمزجه الهنا برضابه
أهلال نجل سعيد أعل بمحسن ... شيخا جلا الإبداع في آدابه
فلقد صحبنا منه شهما ضيغما ... كالسيف يجتز الطلى بذبابه
وكأنما ببنيه بعد وفاته ... إرث الأبوة في كريم نصابه
إني رأيتك شاعرا متفننا ... تسمو بصعصعة ومن بهضابه[٣]
ورأيت روحا منك تسري بالفضا ... نحو العلاء ليُهْتَدَى بجنابه
فعرفت فيه من سمائل عرفها ... والشوق يحدوه وراء ركابه
وشممت أنفاس العلاية[٤] في ابنها ... حيث الهلال يلوح في أثوابه

---

(١) كتب أمير البيان هذه القصيدة في الشاعر هلال بن سعيد بن محسن العامري من أدباء سمائل.

(٢) الأرْيُ: العسل.

(٣) صعصعة: هو أبو عامر بن صعصعة عيص قبيلة بني عامر العربية الشهيرة لهم في مضمار الشعر والفروسية والنبل سادات كبار منهم شاعر المعلقات لبيد بن ربيعة، ومنهم الشاعر العاشق قيس بن الملوّح ومعشوقته الشاعرة ليلى العامرية. وغيرهم كثير. وكتب التاريخ تزخر بمآثرهم.

(٤) العلاية تقع في مركز سمائل والمقصود هنا سمائل ذاتها.

فعلمت أن أمومة عربية ... راحت لتجمع سرنا في غابه
أهلال عمرك شاعرا مترفعا ... لا مادحا أو هاجيا بكتابه
فاركبه مَحْدُوًّا به أو حاديا ... حتى تطول به على أترابه
والزم من الفصحى السنام فانه ... ما زال والشعراء من ركابه
وعلى بنوتك الفتية بالرضا ... مني سلام الله في تدآبه

* * * * *

(١٢) جَـــرَّدَتْــه[١]

جَــرَّدَتْــهُ من الهوى تجريدا ... واصطفته لنفسها تفريدا
وادَّعــتــه رقــا لـهـا وهــو حر ... لكن الـحُـبَّ كـم أذلَّ الصِّيدا
ودعـتـه إلـى الـسـجـود عليها ... غير أن الركوع بَــزَّ السجودا
وأتــت نـوبـة الـسـجـود فيا رف ... ـقا بـه إذ رأى الـتـرائـب تُـودَى
ذاك مما تأجج الشوق في الأحـ ... ـشاء نارا تـزجي الدخان عتيدا
وهـي بيضاء تستشف حواشيـ ... ـها فشام الترائب البيض سودا
فـتـولـى يَـرْفَـضُّ آهــاً ويـطـوي ... تحت آرابـه السباط البيدا[٢]
لا تـلـمـها فـنـار شـوقـك فيها ... رقمتها سحرا ونحرا وجيدا
يـا لـجـدي أكـلــمـا قـلـتُ شعرا ... نِمْتُ عنه والناسُ عرسا وعيدا[٣]
فـسـؤال يُـطْــوَى وآخـر يُــرْوَى ... وسـؤال يجتاز حتى الحدودا
وســؤال كـأنــمـا جَــرَّدَتْــهُ ... شـفـرات الـنـهـى يحز الكبودا

---

(١) قال أمير البيان هذه القصيدة في الشيخ سعود بن سليمان بن حمير النبهاني والدكتور العلامة الشيخ إبراهيم بن أحمد الكندي. وقد كتبها بمنزله في حي القرم يوم ٣٠ شوال١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٤/٤/١١م.

(٢) الآراب هي أعضاء البدن التي يقع عليها الإنسان حال سجوده وهي: الجبين والأنف واليدين والركبتين والقدمين. والسباط لعله أراد بها استرخاء تلك الأعضاء لفرط الهم، ففي المعجم: أسْبَطَ دَلَّى رأسَه كالمُهْتم، مُسْتَرخي البدن. وأسبط بالأرض لَصَقَ وامتد من ضَرْبٍ أو مرض. وكلمة آراب مفردها إرْب، والإرْبُ العضو الكامل.

(٣) هذا البيت على غرار قول المتنبي:

أنـا الـذي نـظـر الأعـمـى إلـى أدبـي ... وأسْـمَـعَـت كـلـمـاتـي مـن بـه صـمـمُ.

يـا ابـن ودي إيـاك لا تتوغـل ... واتـرك البحث للسلام عمودا
أنا أحدو بالشعر هاجس نفسي ... لا أريـد السِّـوَى[1] بـه تجريدا
لا أصـلـي فيـه بـمحـراب خلي ... أو أجـلـي عليه أطـغـى شـرودا
غير أنـي أرعـاه لوجد في الصـ ... ـدِّ وراش السهام خلفي مريدا
أنـا أشكو نفسي لنفسي إذا ما ... إن شكوت الحياة تدأى[2] أسودا
أنـا أرتـاد أنَّـتِـي في كتابي ... وأنـاجـي حسـي بـهـا تـغـريـدا
وعـلـى صـهـوة الـجـواد أبـاري ... سابقاتي حتى أجـوز الحدودا
وأروض السباق في ذات ربي ... فلعلي ألـقـى لـديـه الـمـزيـدا
خـلـيـانـي وراء طـاقـات جهدي ... أركـب الجد للمعالي مقودا
وأشـق الـدجـى بـصـارم عزمي ... أو أنـال الـمـرام فـيـه صمودا
يـا لـودي حـتَّـاَم تسهر في شعـ ... ـري عيون ترعى الهوى غرِّيدا
أمـنـام الـعـيـون مـنـي عـنـه ... سـامـه الـمـرج آمـنـا فـاقـتـيـدا
يـا سـعـودا ومـن لـنـا بـسـعـود ... قـدرا شـامخـا ومـجـدا وطـيـدا
يا عظيم المقام محترم السمـ ... ـعة شهم الفؤاد قرما مجيدا
يـا فـتـى حـمـيـر سـلالـة قحطـ ... ـان ابـن هـود ومـن يساجل هودا
جئتني بالسؤال عن باعث الشعـ ... ـر بحسي فلا إلا الفؤاد الحديدا
لم أشارك فيه سواي وحتى الدهـ ... ـر لـو كـان ضيغما صـنـديـدا
شدني منك حـدة الـذهـن لما ... أن طرحت البحث المجيد مجيدا
أدبـا فـي شـجـاعـة فـي تـرجٍّ ... هكذا الصامدون حدا بعيدا
وسلام على الأريب عميد الضـ ... ـاد مـن قـيـد الـلـغـى تـقـيـيـدا

(١) السِّوَى هنا بمعنى الغَيْر.
(٢) دأى (دأا) الذئبُ للصيد مشى له كالمُثْقَل ليخدعه.

أي فتى أحمد سليل سليما ... ن أخا كندة الهمام المجيدا
من تسمى باسم الخليل فأجدر ... بكريم أتى المعالي صعودا
وأتى في المفاجآت بتخمي ... س لبعض الأبيات زان القصيدا
إذ أتاه إيحاء موهبة الشعـ ... ـر بيانا يجلو عليه لبيدا
غير أن القصيد ما اكتملت إذ ذا ... ك ولا كان غيبها مشهودا
فلهذا دهشت تحت ذهول ... كدت من وطأتيه أُدْرَك مُودَى
فسلام عليكما في ابتداء ... وانتهاء نفض ختما سعيدا
في صلاة للمصطفى تلبس الكون ... برودا لألاءَةً وعقودا

* * * * *

(١٣) الإخـاء[١]

عبدالعزيز سلام الخالق الباري ... ينهل في سوحكم ما بين أنوارِ
يسري فتسري به الألطاف يَحْـزَأُها[٢] ... إليكم في هواه سابح سار
عجلان يدفعه حب تغلغل في ... أحشائه لكم عن دفع تيار
عبدالعزيز ابن عيسى يا ابن بجدتها ... إني أنا منكم يا خير أصهار
إني وإياكم من دوحة بذخت ... في المجد ثمة طالت كل إكبار
إخاء ما بيننا في الله مثل إخا المـ ... ـهاجرين ومن هم خير أنصار
قد كان بينهم أقوى من النسب الأ ... دنى ومن صلة الأرحام في الباري
ويا سعيد ابن إبراهيم بورك في ... مسعاك بين مصلى الذكر والدار
مُعَلَّقُ القلب فيه أو ومنقلبا ... عنه بقلب كأن يغلي على النار
بوركتم يا بني الأعلام من يمن ... يا آل كندة من هم حمية الجار
دعامة العلم أنتم بل منارته ... إذا تخبط في عشوائه الساري[٣]
قد صرح العلم عنه وهو منتسب ... حسبي بكندة أصلا بين أحبار

---

(١) قال أمير البيان هذه القصيدة يوم ٢٢ رجب ١٤١٣هـ، الموافق ١٥ يناير ١٩٩٣م. وهي في أصهاره بعض مشايخ كندة وهم الشيخ عبدالعزيز بن عيسى بن سعيد الكندي والشيخ سعيد بن إبراهيم بن يحيى الكندي وابنه مرشد بن سعيد بن إبراهيم الكندي بمناسبة زواج مرشد.

(٢) يَحْـزَأُها: يسوقها.

(٣) يقال في الأدبيات العمانية: كادت الإمامة تكون خروصية، وكاد العلم يكون كنديا. وقد عَـبَّـرَ أمير البيان عن هذا وهو خليلي من بني خروص بقوله في بيت سابق:

إنـي وإيـاكـم مـن دوحـة بـذخـت ... في الـمـجـد ثـمـة طـالـت كـل إكـبـار

دعوتموني إلى أغلى مناسبة ... يطوي الرداء على آياتها القاري
زواج مرشد توفيق لطالعه ... وجمع شمل الهنا ما بين أزهار
فبارك الله في الزوجين واكتنفت ... يد المهيمن منهم خير مضمار
إني لو اسْطَعْتُ للأذقان جئتكم ... حبوا ولكنَّ دائي ضارب ضار
ينقض نحوي فيلقيني لقىً فإذا ... ولى تجمَّلْتُ لكني بمقدار
وهكذا طول أيامي مكافحة ... كر وفر وربي عالم دارِ
فأصبح العذر عندي قائما ومن الـ ... ـبلا عذير لحب فيه عذار
وفي سمائل أسباب تجاذبني ... من الضرورة آتيها بإجبار
أما بَنِيَّ فإني لا أكاد أرى ... مستغنيا عنهم في كل أوطاري
لذا تجدني أداجي الداء إن سمحت ... يداه أزجيتُ سياري بتسياري
خوفا من السّقْم أن ينقضَّ مارده ... حتى يعوق عن التسيار سياري
فمنكم العفو ولتبقى مودتنا ... حبلا على صلة بالواحد الباري
لها من الله أنوار ترافقها ... ومن صميم الهدى آيات تذكار
وفي الختام صلاة الله ينشرها ... بخاتم المسك عرف زان أشعاري

* * * * *

(١٤) الغايات[١]

بين همي ومبلغي والأماني ... فجوات يهوي بها الثقلانِ
وجوادي قد هدَّه بُعْدُ غايا ... تي وآدَتْهُ عاديات الزمانِ[٢]
وسطوري تراكم النقع فاغبـ ... ـرّ عليها فما استطاعت تراني
والليالي تذيب حباتها السو ... د مدادا أوراقه من كياني
ويراعي يجري على تلكم الأو ... راق لكن بمعجزات البيان
وزماني ملاحم من كلام ... وسهام من مبسم أرجواني
تتلاشى حصائل الخير فيه ... كتلاشي الرؤى وراء الدخان
وتذوب الأحلام فيه كما ذا ... ب جليدٌ بالشمس في المعمان[٣]
وتموت الأخلاق فيه كما ما ... ت جواد الكمي تحت الطعان
عبثا راضني الزمان لأمر ... دون مرمى أبصاره القمران
وجلاني لغاية تقصر الغا ... يات عنها ويحسر المَلَوَانِ[٤]
غرستها يدا محمد فاخضـ ... ـلت رياضا وما سقتها يدان
ورعتها عناية الله عينا ... فزكت بين غيبه والعيان
وأنا بين أضلعي أنشد التقـ ... ـصير عوني ولم أبارح مكاني
يا للهفي على سوانح مرت ... والليالي تنوء بالعنفوان
والمواتاة كالشباك فلو حركـ ... ـت خيطا منها بلغت الأماني

---

(١) كتب أمير البيان هذه القصيدة في الشاعر موسى بن سالم بن سليمان الرواحي.

(٢) آدَتْهُ: أعْجَزَتْهُ. عاديات الزمان: حوادثه.

(٣) المعمعان: شدَّةُ الحر.

(٤) المَلَوَان: الليلُ والنهار.

أتـرانـي حـركـت خيطيه منه ... أم تـخـاذلـت فاستبيح عناني
أم تـرانـي ذهلـت إذ ذاك عني ... إن بعض الـذهـول ضـرب هـوان
يـا لـودي مـا الشعر غيـر نداء ... ونـــداء الـغـريـق نـفـثـة عـان
أيفيد الـنـداء من حاطه المو ... ت وغـالـتـه شـفـرة الـحـدثـان
غـيـر أن الـكـريـم جـلْـدٌ صبورٌ ... يـتـحـدى الأيـــام تـحـت السنان
ينـظـر الله فـي جـــلال محيا ... ه فيقوى على تحدي الـزمان
يا لشأني عيناي في الله لو لم ... أره فـي الـجـلال فـهـو يـرانـي
روحـه لا تـفارق الـدهـر روحـي ... وتـجـلـيـه لا يـريـــم جـنـانـي
ونسيـم الصبا تصافح قلبـي ... بـشـذاه المسكي بين الجنان
هكذا كنـت منـذ أن كـنـت في النا ... س صبيا فهـل لـشـأنـيَ شان
إيه موسى(١)ومن كموسى إذا ما ... أرسل الشعر سابحا في العنان
يتحدى رسائل الشوق في اللط ... ـف ويحدو أعنـة المعمعان[٢]
ويـنـادي كتائب الله فـي النجـ ... ـدة والدهر أحمر الطيلسان[٣]
فـكـأن الـوجـود رعـد وبـرق ... يـتـرآءى فـي حـلـتـي أرجـوان
وكـأن الـدنـيـا خـلاصـة شعر ... ذائـب فـي جـلال سحر البيان
يـا فـتـى سـالـم سليل سليما ... ن إلى المجد في رفيع المباني
جئتني بالبيان ينفث سحرا ... غير أني في حـازب[٤]من زماني
فـمـن الـدهـر شـاغـل بـي ملح ... ومـن الـداء والـعـنـا شـاغـلان

(١) موسى: الشاعر موسى بن سالم الرواحي.
(٢) أعِنَّةُ المَعْمَعَان: خيول الحرب.
(٣) الطيلسان: كساء. ووصف أمير البيان للدهر بأنه أحمر الطيلسان يريد أن عصرنا تَعُمُّهُ الحروب.
(٤) حازبٍ من زماني: أمر مهم يعوقني.

أَوَ عند الأحوال هذي تراني ... أقرظ الشعر أو أروض المعاني
لا أبالي إن كان في طاعة الله ... ومرضاته بما قد عناني
أنا لا أشتكي لغيرك ربي ... ورجائي في ذات ربي كفاني
فلعل الله الذي أنزل الدا ... ء يتيح الدواء بدون امتنان
ذاك ظني ولن يخيب ظني ... في كريم في فضله حَنَّانِ
عَوَّدَتْنِي يمينه الخير مذ كنـ ... ـت صبيا حتى استقام كياني
ورعاني جميله مع تقصيري ... فشكرا لمنعم منان
ما لنا يا فتى سليمان نشكو ... من قضاء مؤلل الآذان
إذْ أشحنا عن الهدى بوجوه ... خُلِقَتْ للهدى وحَدِّ السنان
وكسرنا السيوف في بؤرة السو ... ء فعدنا وما لدينا يماني
فأتانا العدو يجتاح باقيـ ... ـنا فبتنا نشتد في الخفقان
ثم قلنا: اللطف خير دواء ... عن دماء تعج في الجريان
ولزمنا الوطاء تحت غطا ... ء الذل نشتار لذة الهذيان
رقد الدين في العراء مُعَرًّى ... ورقدنا لكن بدون أمان
ورقصنا للكأس حتى عيينا ... حول ناي ومزمر وأغان
هكذا العيش وهو حلو لدينا ... أي حلو أحلى من الخذلان
عندنا سبق الجياد ولكنا ... أتينا الميدان بعد الأوان
فملأنا الميدان رقصا وقفزا ... أي خيل يزهو بها الفارسان
عربي جوادنا يسبق الحلبة ... لكن لدرهم ودنان
دمت موسى للعلم والشعر والمجد ... كريما وللقنا والطعان
وسلام عليك ما بزغت شمس ... عليها من الهدى حلتان
وسلام يفتض خاتم مسك ... عن صلاة للمصطفى العدناني
تشمل الآل والصحابة من قد ... بايعوا الله بيعة الرضوان

(١٥) الفؤادُ العبقري[١]

رويدك ذا الفؤاد العبقري ... إلام تهيم للطرف الشَجيِّ
وتعتسفُ الفضاءَ إليه سعيا ... وتلهو تحت بادرة القسيِّ
وأنت على القضاءِ له قضاء ... ولِلإقدام حد المشرفي
تُحكّم في الرقاب النصل عمدا ... لتثأر من طريقك بالسوي
وتؤثر قبلةً تأتيك خلسا ... بلا عِدَةٍ من الفَدْمِ الغوي[٢]
وترعى المارقَ المختال فيها ... وتُسلمه زمامك بالعشي
وتعرض عن أخي كَرَمٍ جوادٍ ... وصحبة ماجد علم رضي
يقيك الطارقاتِ بغير منٍّ ... وإن ناديت يأتي كالأتِيْ[٣]
وأنت على مِطا السباق تهوي ... إلى اللذات في سَرْجٍ سَرِي[٤]
وتقبل في طريق مستراب ... وتدبر عن مخالقة المُحَيْي[٥]
أليس العبقري بها جوادا ... تجود من السخاء على السخي
فديت لقد هديت بلا ترجٍّ ... وأنت على الوفا صفو الصفي
هديت الرشد والتقوى منار ... به يفدى أخو العقل الذكي

---

(١) كتب أمير البيان هذه القصيدة بمنزله بمدينة القرم بتاريخ ٢٨ من شهر ربيع الأول ١٤١٨هـ الموافق ٢ من شهر أغسطس ١٩٩٧م وهي تدور حول صفيِّه الشاعر سليمان بن خلف الخروصي. والقصيدة وردت في ديوان فارس الضاد، وقد نقلتها منه إلى هذا الديوان.

(٢) الفَدْمُ: الجافي.

(٣) الأتيُّ: السيلُ.

(٤) السَّرْجُ السَّريّ: الفرس الأصيل.

(٥) المُحَيْي: المُحَيِّيُ الذي يلقى صاحبه بالتحية.

وصلت إلى المقامات العوالي ... وأنت بها أخو الرأي الزكي
فوجِّه نحو ذي الآلاء وجها ... به تسمو إلى الشرف العلي
وتنجو من غبار الهول فيها ... وتسلم من مداراة الشقي
فإنك للهداية خير أهل ... وأنت على المقام الكسروي
ولا تطع المكابر فهو ندٌّ ... لدود لا يبالي بالهويِّ[1]
وفيك العبقرية وهي نور ... يشف عن الوفاء على الوفي
به الرحمن ينصر ناصريه ... ويهديهم إلى خلق النبي
رعاك الله واللحظات جَمْرٌ ... يُجَنِّبُها أخو القلب البرِيْ[2]
ويقصرها المحنك في دهاه ... ويزجرها بقاسٍ عنتري
تمرس بالدهاء فكان منه ... بمنزلة الصراط من السوي
وغادر حوضه والطقس يغلي ... فلم يأرِز إليه ولم يُحَيْي
ولكن صام عنه والليالي ... تجاذب منه بادرة الأبي
فيأخذه بسحر من بيانٍ ... ويلحظه بطرْفٍ بابلي
يهيم به وللأيام طيٌّ ... عليه وللدواهي ألف طي
ويرقُبُه على البيض المواضي ... ويحمله على ظهر عضي
ويُغرقُ في الحساب بلا حساب ... ويمتحن الأصالة في الولي
يجرد طرفه قوسا مريدا ... ليصرع ساكن المغنى الغني
وإن لم ينصرع فإلى التوقي ... وكيف يقيك ذو الخلق البذي
دعاني أصحب السمرَ العوالي ... وبيض الهند في درب عتي

(١) الهويّ: السقوط.
(٢) البرِي: البريء.

لأركب من هواها كلَّ صعب ... فأخرج للفضاء العبهري[١]
وينقشع السواد الفظ عني ... وأبقى في الجلال الأريحي
وأشرب صفوة التقوى هنيا ... وأفضي للمجال اللؤلؤي
هي الأخلاق تشهد والمواضي ... لفحلٍ في جبلته صفي
يبيت يسامر الأقلام كيما ... يذللها لذي كف ندي
ويشحذ في حماها النصل جمرا ... ليغمده بحُرٍّ لوذعي
فتى خلف سليمان المرجى ... ومن هو قمة الخلق الزَكي[٢]
أخي جنحت مثل الصقر لما ... هوى ينقض للخلق الوبي
وأنت من الوفاء على مقامٍ ... من العلياء في ملأ علي
أتيت تعودني لتعيد أنسا ... جفاني منذ خالطه رأيي
لداءٍ لابستنى منه أيد ... بغدرٍ لا يكف عن المضي
ولكني لبست له دروعاً ... من الصبر العتيد الجوهري
فكان خفيفه يهوي حثيثا ... ومهما اشتد قرع السمهري
يُعد التعبئات إلى لقائي ... ليأخذني مباغتة الحفي
ويهوي بي إلى الأعماق منه ... ليحكم فيَّ بالحيف الردي
وكنت تخفف الآلام عني ... وتطردها بمنطقك الشهي
وكنت إليك اشتاق المعالي ... تمثل في أخي خلق وفي
وكان لدى وصولك كاد يخفى ... وبيءُ الداء للوقت الحري
فعز عليه أن تلقى فيلقى ... أخوك من ارتياح بعض شيء

(١) الفضاء العبهري: الفوَّاح بالعطر.

(٢) هو الشيخ سليمان بن خلف الخروصي.

فَـكَـــرَّ بـعـودة لـلـشـر فيها ... شـرار والـهـنـا هَـيُّ ابـن بـي[١]
لـذاك لـجـأت لـلإضـراب عمَّن ... تـقـدم بـالـدخـول الـعـبـهـري[٢]
وذا خـلـق حـقـيـقـتـه مـعـيـب ... ولـكـن الـضـرورة شـر زِيِ
فسامح هفوة لأخـيـك جـاءت ... عـلـى إرغـام أنـف يـعـربـي
فـأنـت لعفوها نعم المرجى ... وأنـت سبيكة الذهب الوضي
ومسك الختم وصل من صلاةٍ ... مـع التسليم لـلـهـادي النبي
محـمـد مـن لـه الـعـلـم اللدني ... ومـن هـو منبت الخلق الزكي
ومـن هـو في تلطفه المربي ... ولـم تـذهـلـه مـاردة الـروي
ومـن هـو منبع الإيـمـان علما ... ومـن هـو مـصـدر الـنـور الجليّ

* * * * *

(١) هيُّ بن بي: كناية عمن لا يُعرف هو ولا أبوه.

(٢) يظهر أن أمير البيان رحمه الله تعالى كان يمتنع عند هجمات المرض عليه من استقبال الزائرين لما يحاذره من تأجيج ما يتجملون به من الأعطار لحالته المرضية، وهو أمر متعارف عليه في الطب التراثي العربي. وهو هنا يعتذر لسليمان بن خلف لصده عن الدخول عليه لذلك السبب كما يظهر لي والله أعلم.

(١٦) الشادي المرح

في سليمان بن خلف

قالها بتاريخ ٢١ صفر ١٤١٦هـ الموافق ١٩٩٦/٧/٧م

يا من علقت بشادٍ شادِنٍ مَرِحِ ... يسطو عليك بماض ماضغ قَرِحِ[١]

أو تتقيه بحام حامل لمعاً ... من القضاء لرام رامح جنحِ[٢]

في كفه صارم صار ضريبته ... يهزه قاسم قاس أخو مدحِ[٣]

يغدو على ضارب ضار طريدته ... في كفه تحت شاكٍ شاكدٍ جمحِ[٤]

يردد السجع مثل العندليب له ... أنغام مغتبق في لحن مصطبح

إلى فتى خلف[٥] منى يمانية ... عصماء ترفل بين الجد والمرح

مهلا فتى خلف أطلقت سُبَّقها ... جري المذاكي غلابا لم تكد تُرح

مهلا سليمان قد روحت عن مهج ... ورحت في الأنس تغذو القلب بالملح

سمعت منك حديثاً شف جوهره ... عن الصفا فَصِفِ الناموس واقترح

---

(١) الشادن: ولد الظبية. الماضغ: هما ماضغان علوي وسفلي يلتقيان عند مَنْبِتِ الأضْراس. الماضغُ القَرِح: المكتمل الأسنان.

(٢) حامٍ: اسم فاعل من حَمَى. مَنْ يحمي شيئا أو أحداً يدافع عنه، يسهر عليه. لُمَع: جمع ومفردُها لامِعٌ ولُمْعَة. واللُّمْعَةُ البُقْعَةُ من السواد، والجماعة من الناس. لِرَامٍ رامِحٍ: الرامي الرَّامِح الفارسُ ذو الرُّمْح. جَنِحٍ: مَيَّالٌ إلى الرمي.

(٣) صارم صارٍ: الصارمُ: السيف، الصاري: القاطع. قاسم: اسمُ فاعل من قَسَمَ، قَسَمَ القومَ: شتتهم. أخو مِدَح: صاحب مدائح.

(٤) ضارٍ: السبع الضاري المفترس، الآكل لحم طريدته. الشاكي: المدجج بالسلاح. الشاكدُ: كثير العطاء والمعروف.

(٥) هو الشيخ سليمان بن خلف الخروصي.

وشنِّف السمع منه فهو مصقلة[١] على جواد بسرج الجد متشح
وعدت تروي أقاصيصا مروحة عن القلوب تروض الهم بالسبح
مُفَوَّهٌ أنت إن تقْصُصْ حديثك في رهط من الصم تسمعهم فتنشرح
إني لأغبط منك القول بازله[٢] إذا تحدر في معذوذب مرح
حتى ربطت الذُّنَابَى[٣] في مفارقها جريا وأنت تعاني كبح ممتدح
وفيك سرٌّ يماني تقلده وَقَفْتَهُ للنهى طوعا فلم تبح
وكنت تحسب أن تلقاه منكشفا على العنا فَتَعَمَّى دون مصطبح
وكدت تلمس فيه الدهر حين طوى على الأسارير[٤] بدراً ثم لم يلح
وعدت تنشد عنه الساريات[٥] فلم تسمح بشيء ولم تفصح ولم تبح
والسر إن طاف عن خلين طار به في أفقه كاسر إن يجترح يشح
بلى لقد شاع لما ضاع مقوده من كفه واستطالته يد الملح
وشأنها لم تكد للسر تكتمه لكن تذوب بحضن المصطبي المزح
فأصبح السر يدحو الأرض مغربها على المشارق يهوي وهو كاللمح
يدعو إلى الله في سر وفي علن ويرسل الطرف بين الهم والفرح
حتى استبان بنور الله طالعه فوق المجرة عن أفلاك ذي قزح
نشوان تهوي به الشِّعْرَى فيسبح في بحر من الشعر من يغرق به يسح
له من الله إيواء يطول به على القرين يغطي الشكر بالمدح

---

(١) مصقلة: هو مصقلة بن رقبة من بني عبدالقيس. واحد من أشهر خطباء العرب. كان يُضرَبُ به المثل فيقال: أخطب من مصقلة.

(٢) بازل القول: عظيمه.

(٣) الذُّنابى: الذَّنَبُ.

(٤) الأسارير: تقاطيع الوجه، ملامحه.

(٥) الساريات: النجوم.

ومنه أيد على الجرد العتاق إذا ... جرين سبحاً به كالعارض السنح
فيا سليمان بارك فيك موهبة ... حباكها الله فالزمها ولا تشح
وسر بها نحوه تلقى الوفاء له ... غايات معتصم بالله منفتح
وقدم الشكر للرحمن فهو له ... حق على القلب والأعضاء والشَّبَح[1]
والحمد لله حمداً أستتم به ... نظمي وأجلو عليه فيه مصطلحي
حيث الصلاة على المختار تعبق عن ... عرف الرسول بتسليم لمنشرح
والآل والصحب ما جد الغمام على الـ ... ـغبراء سيبا فَرَوَّاها بمصطبح

* * * * *

(١) الشَّبَحُ: ما بدا لك شخصه من بعد غير جلي. والمقصود هنا جسد الإنسان.

مصادر التحقيق

مصادر التحقيق

أولا: كتب التفسير والحديث والسيرة النبوية

١. **كتاب تفسير البغوي "معالم التنزيل"** لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي المتوفى سنة ٥١٦هـ، تحقيق محمد عبدالله النمر، وعثمان جمعة ضميرية، وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ١٤١١هـ.

٢. **كتاب: الإكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم والثلاثة الخلفاء**، لمؤلفه أبي الربيع سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، المتوفى سنة ٦٣٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

٣. **كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول**، لمؤلفه أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد الشيباني الجزري المتوفى سنة ٦٠٦هـ، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، مطبعة الملاح، مكتبة دار البيان، بدون تاريخ نشر.

٤. **كتاب شرف المصطفى، لمؤلفه عبد الملك بن محمد بن إبراهيم** النيسابوري، المتوفى سنة ٤٠٧هـ، دار البشائر الإسلامية، مكة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ.

٥. **كتاب مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**، لمؤلفه أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ، تحقيق حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٦. **كتاب منتهى السؤل على وسائل الوصول إلى شمائل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم**، لمؤلفه عبد الله بن سعيد بن محمد اللّحجي

الحضرميّ المتوفى سنة ١٤١٠هـ، دار المنهاج، جدة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

١٤. **كتاب نَيْلُ الأوطار**، لمؤلفه الإمام محمد بن علي الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٠هـ، تحقيق عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

ثانيا: كتب الأدب

١. **كتاب الدر المنتخب في الفقه والأدب** ديوان شعر للشيخ سعيد بن خلف الخروصي، الطبعة الثالثة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢. **كتاب شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام**، جَمَعَهُ بشير يموت، المكتبة الأهلية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥٢هـ-١٩٣٤م.

٣. **كتاب شرح الموسوعة الشعرية** لأبي مسلم البهلاني لمؤلفه الدكتور راشد بن علي الدغيشي، مكتبة الضامري للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٤. **كتاب شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان**، لمؤلفه الشيخ محمد بن راشد الخصيبي، وزارة التراث القومي والثقافة، المطبعة الوطنية، روي، ١٩٨٤م.

٥. **كتاب العقد الفريد**، لابن عبد ربه: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي المتوفى سنة ٣٢٨هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ.

٦. **كتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفَّى سنة ٤٦٣هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٧. **كتاب يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر** لأبي منصور عبدالملك الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩هـ، تحقيق الدكتور مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

ثالثا: الدواوين الشعرية

١. **ديوان أبي الحكم**، جمع وتحقيق جوخة الحارثي، نشر مركز الدراسات العمانية بجامعة السلطان قابوس، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.

٢. **ديوان أبي سرور**، للشيخ القاضي حميد بن عبدالله بن حميد الجامعي، مكتبة الفردوس، سمائل، عُمَان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

٣. **ديوان أبي فراس الحمداني**، شرح الدكتور خليل الدويهي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٤. **ديوان أصداء من وادي عبقر**، للشيخ هلال بن سالم السيابي، نشر وزارة التراث والثقافة، مسقط، بدون تاريخ نشر.

٥. **ديوان الأعمال الشعرية الكاملة**، للشيخ صقر بن سلطان القاسمي، جمع وتحقيق ميسون بنت صقر القاسمي، شركة سيرة للإعلام والإعلان، القاهرة، الطبعة الأولى ٢٠٠٩م.

٦. **ديوان ابن الدُّمَيْنَة**، صنعة أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب، تحقيق أحمد راتب النَّفَّاخ، مكتبة دار العروبة، القاهرة، بدون تاريخ نشر.

٧. **ديوان ابن شيخان السالمي**، جمع قصائد الديوان الشيخ محمد شيبة بن عبدالله السالمي، تحقيق: عبدالستار أبو غدة، المجموعة الصحفية للدراسات والنشر، القاهرة، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/١٩٧٩م.

٨. **ديوان ابن اللبانة الداني** المتوفى سنة ٥٠٧هـ، جمع وتحقيق

الأستاذ الدكتور محمد مجيد السعيد، دار الراية للنشر والتوزيع، عمَّـان، الأردن، الطبعة الثانية ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٩. **ديوان حافظ إبراهيم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثالثة ١٩٨٧م.

١٠. **ديوان حسان بن ثابت، شرح عبدالأمير مهنا**، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

١١. **كتاب شعر عبدة بن الطبيب**، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، نشر جامعة بغداد، ودار التربية للطباعة والنشر ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

١٢. **ديوان شوقي**، تحقيق الدكتور أحمد محمد الحوفي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة، القاهرة، بدون تاريخ نشر.

١٣. **ديوان عبدالله بن رواحة**، تحقيق الدكتور وليد قصاب، دار العلوم للطباعة والنشر، الطبعة الأولى ١٤٠١هـ/١٩٨١م.

٤. **ديوان (الإمام) علي بن أبي طالب**، تحقيق الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي، دار ابن زيدون ومكتبة الكليات الأزهرية، بدون تاريخ نشر.

٥. **ديوان قلائد الدهر** للشيخ سليمان بن خلف الخروصي، الطبعة الأولى ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.

٦. **كتاب القلادة**، قصيدة في كبرى قبائل ومدن عمان، للشيخ هلال بن سالم السيابي، الناشر نفسه، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٧. **ديوان النبهاني**، تحقيق عز الدين التنوخي، وزارة التراث والثقافة، المطابع الذهبية، الطبعة الثانية سنة ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م، مسقط.

٨. **ديوان النفس الرحماني في أذكار أبي مسلم البهلاني**، مكتبة مسقط، الطبعة الأولى ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

رابعا: كتب التاريخ

١. **كتاب الإكليل** لأبي محمد الحسن بن أحمد الهمداني (٢٨٠- بعد ٣٣٦هـ)، حرره وعلق حواشيه نبيه أمين فارس، نشر دار العودة، ببيروت، ودار الكلمة، بصنعاء، بدون تاريخ نشر.

٢. **كتاب البداية والنهاية**، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي المتوفى سنة ٧٧٤هـ، الناشر دار إحياء التراث العربي، تحقيق علي شيري، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٣. **كتاب تاريخ الطبري** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤هـ-٣١٠هـ)، راجعه وأعد فهارسه نواف الجراح، الناشر دار ومكتبة الهلال، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

٤. **كتاب تاريخ مدينة السلام**، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي (٣٩٢-٤٦٣هـ)، تحقيق الدكتور بشار عوّاد معروف، الناشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٥. **كتاب تحفة الأعيان** للإمام عبدالله بن حميد السالمي، مكتبة الإستقامة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٦. **كتاب حياة المسيح**: عباس محمود العقاد، دار الهلال، بدون تاريخ نشر.

٧. **كتاب عمان عبر التاريخ**: للشيخ سالم بن حمود السيابي، الناشر: وزارة التراث القومي والثقافة، مطابع سجل العرب، الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.

٨. **كتاب الكامل في التاريخ**، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير، المتوفى سنة ٦٣٠هـ، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٩. **كتاب كلمة**، صفحات من تاريخ عمان، للشيخ سعود بن علي الخليلي، دار أبعاد، لبناذ بيروت، الطبعة الثانية ٢٠١٥م.

١٠. **كتاب المنتظم في تاريخ الأمم والملوك**، لمؤلفه أبي الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ، تحقيق محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

١١. **كتاب نهضة الأعيان بحرية عمان** لأبي بشير محمد شيبة بن نور الدين عبدالله بن حميد السالمي، مكتبة التراث، مطابع دار الكتاب العربي، القاهرة، بدون تاريخ نشر.

خامسا: كتب الأنساب والتراجم والسير

١. **كتاب الآثار العلمية** لسماحة الشيخ العلامة إبراهيم بن سعيد العبري، جمع وترتيب الدكتور علي بن هلال العبري وآخرون، مطبعة الألوان الحديثة، الطبعة الأولى ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٢. **كتاب إحياء الإرث في ذكر بعض أعلام الحرث**، للشيخ أحمد بن حمد الحارثي وسالم بن سعيد البوسعيدي، الناشر: رؤى، مكتبة السيدة فاطمة الزهراء، الطبعة الأولى ١٤٣٧هـ/٢٠١٦م.

٣. **كتاب الأعلام**، لخير الدين بن محمود الزركلي، المتوفى سنة ١٣٩٦هـ، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

٤. **كتاب الأنساب** لسلمة بن مسلم العوتبي، تحقيق الدكتور محمد إحسان النص، مطبعة الألوان الحديثة، مسقط، الطبعة الرابعة ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٥. **كتاب سالم بن حمود السيابي سيرة وعطاء**، إعداد وتحرير خميس بن راشد العدوي، الناشر النادي الثقافي ضمن البرنامج الوطني لدعم الكتاب، مكتبة الغبيراء، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

سادسا: كتب الرحلات

١. **كتاب الرمال العربية** لمؤلفه ويلفرد ثيسجر (المسمى في البادية العمانية بـ: مبارك بن لندن)، موتيفيت للنشر، مطبعة راشد، عجمان، دولة الإمارات العربية المتحدة.

سابعا: المعاجم والموسوعات والملاحق الصحفية

١. **معجم أعلام الإباضية من القرن الأول الهجري إلى العصر الحاضر**، محمد بن موسى باعمي وآخرون، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

٢. **معجم البابطين** لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين.

٣. **معجم البلدان، لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي المتوفى** سنة ٦٢٦هـ، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية ١٩٩٥م.

٤. **معجم الشعراء**، لأبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني المتوفى سنة ٣٨٤هـ، بتصحيح وتعليق الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، الناشر: مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٥. **كتاب معجم شعراء الإباضية**، قسم المشرق، لفهد بن علي بن هاشل السعدي، مطبعة الجيل الواعد، الطبعة الأولى ١٤٢٨هـ/٢٠٠٧م.

٦. **معجم القضاة العمانيين**، تأليف الدكتور عبدالله بن راشد السيابي، مكتبة خزائن الآثار، بركاء، عُمَان، الطبعة الأولى ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م.

٧. **معجم المؤلفين**، تأليف عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، بدون تاريخ نشر.

٨. **ملحق جريدة عمان الثقافي**، العدد ٧١٠٧، بتاريخ الخميس ١٩ من شعبان ١٤٢١هـ/١٦ من نوفمبر ٢٠٠٠م.